المملكة العربية السعودية

دار الحديث الخيرية

أسست عام ١٣٨٢هـ

بمكة المكرمة

مذكرة

الجغرافيا الإسلامية

من كتاب : (البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر)

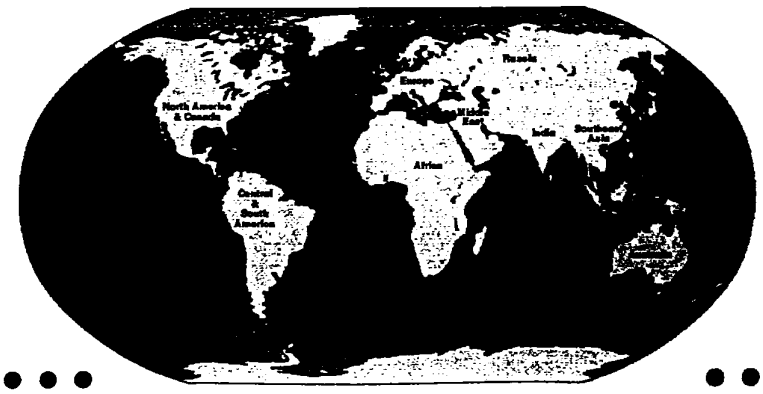
تأليف/ محمود شاكر وآخرين

****

من : (بقية الدول الإسلامية في قارة آسيا من دولة إندونيسيا ، إلى : جمهورية قرغيزيا) * و (البلدان الإسلامية في قارة إفريقيا) * و (ألبانيا في القارة الأوربية)

****

الثاني الثانوي



(٢٣) جمهورية اندونيسيا

جمهورية إسلامية تتكون من أكبر أرخبيل للجزر في العالم ؛ وتقع في الجنوب الشرقي من آسية حيث يمتد من شبه جزيرة الملايو إلى جزيرة غينيا الجديدة على طول خط الاستواء ، وتنحصر بين خطي الطول ٩٥ و١٥٠° شرقاً . ودائرتي العرض ٦° شمالاً و١١ جنوباً . وتتكون أندونيسيا من ١٣،٦٧٧ جزيرة ، منها ٦،٠٤٤ جزيرة مأهولة بالسكان ، والباقي غير مسكون . ولقد كان هذا الأرخبيل في الماضي البعيد معبراً قارياً يربط بين قارتي آسيا وأستراليا . وهو اليوم معبر بحري بين القارتين ، يربط بين المحيطين الهندي والهادي في مسافة تمتد ٦٠٠٠كم ، كما يربط بين نصفي الكرة الشمالي والجنوبي إذ يمتد بينهما لمسافة تزيد على ٢١٠٠كم ، وبذلك يغطي هذا الأرخبيل مسافة برية وبحرية تقدر بحوالي ١٢ مليون كم² . وتبلغ مساحة اليابس منه ٢،٠٢٧،٠٨٧ كم² .

ويشمل هذا الأرخبيل المجموعات الجزرية التالية :

١ – **المجموعة الغربية** : وتشمل جزر سومطره وجاوه وكاليمنتان وبورنيو وما حول هذه المجموعة من جزر صغيرة . وتعرف هذه المجموعة بجزر الصوند الكبرى . وتبلغ مساحة جاوه ومادورا ١٣٤،٧٠٣ كم² وسومطره ٥٤١،١٧٤ كم² وكاليمنتان (بورنيو) ٥٥٠،٨٤٨ كم² .

٢ – **الجزر الصغرى** : وهي سلسلة من الجزر الصغيرة تمتد من شرقي جاوه نحو أستراليا . وتعرف باسم جزر الصوند الصغرى . وتشمل بعض الجزر الهامة مثل بالي ولومبوك وسومباوا وفلوريس وتيمور .

٣ – **الجزر الشرقية** : وتشمل جزر سليبس (٢٢٧،٦٥٤ كم²) ومولوك التي تمتد حتى نقطتين .

٤ – **جزيرة غينيا الجديدة** : وتملك أندونيسيا القسم الغربي منها الذي يعرف باسم **إيريان الغربية** ، بينما يتبع استراليا القسم الشرقي من الجزيرة وتبلغ مساحة إيريان الغربية ٤٢١,٩٥١ كم² وتبلغ مساحة جزر بالي ونوسا تنجارا ومولوك وإيريان الغربية مجتمعة نحو ٥٧٢,٧٠٨ كم² .

وعملة البلاد هي الروبية التي تتكون من ١٠٠ سن ويعادل الدولار الأمريكي ٣٧٤ روبية للصادرات ، ٤١٥ روبية للواردات .

الإسلام في أندونيسيا :

بدأ الإسلام ينتشر في **جزيرة سومطره** في أواسط القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) ، وقد انتشر الإسلام في تلك الديار عن طريق التجار المسلمين الذين قدموا إلى الجزيرة من الهند . وكان التجار الهندوس يترددون على تلك البلاد فنقلوا إليها طابعهم ولكن ما لبث التجار المسلمون أن نجحوا في نشر دينهم بالجزيرة عن طريق الموعظة الحسنة بالقول والسلوك والعلاقات الإجتماعية . وهكذا كانت سومطرة أول جزر أندونيسيا إسلاماً نتيجه موقعها على الطريق التجاري بين الهند وفارس وشبه جزيرة العرب من ناحية والصين وما يليها شرقاً من ناحية أخرى . وأصبحت الموانىء الأندونيسية محط رحال التجار وسلعهم . ومن سومطره امتد الإسلام إلى جاوه وإلى قسم من كاليمنتان (بورنيو) وسليبيس والجزر الشرقية . وقد انتشر الإسلام بين الأندونسيين بفضل التجار المسلمين القادمين من الهند والذين تابعوهم على الإسلام من التجار الأندونسيين ، وكان هؤلاء التجار يبثون الإسلام كأفراد بين معامليهم دون نشاط جماعي منظم في أول الأمر . وقد انتهز مسلمو ملقا وسومطرة فرصة ضعف أمبراطورية ماجاباهين في **جزيرة جاوه** فقاموا بدعوة الجاويين إلى الإسلام .

وإلى جانب التجار أسهم بعض السلاطين المحليين الذين اعتنقوا الإسلام بأندونيسيا . وحين تنازل سلطان ولاية ملابار إلى الجنوب من الساحل الغربي للهند الذي كان يسمى محمداً عن العرش لابنه أبحر هو إلى ميناء سيمودرا في شمالي الشاطي الشرقي من جزيرة سومطره ، وهناك لقي أميرها وعرض عليه الإسلام فأسلم ، ونودي به ملكاً عليها وسمي بالملك الصالح ، وكان لإسلامه أثره في انتشار الإسلام بين رعاياه . كذلك فإن الإمير قاسم الذي تولى حكم دولة ملقا

الإسلامية بعد وفاة أبيه السلطان محمد شاه ولقب بالسلطان المظفر شاه الأول قد اتسعت حدود الدولة في عهده حتى وصلت إلى بروني في شمالي كاليمنتان (بورنيو) ولم يهمل السلطان في نشر الإسلام خلال تلك الأرجاء. وقد أعان ما وصل إليه التجار المسلمون من نفوذ في الملايو ومشاركتهم حكام المقاطعات الساحلية بشبه الجزيرة في السلطه على توافد العلماء المسلمين إلى أندونيسيا حيث قاموا بالدعوة إلى الإسلام. ومن أشهر الدعاة الشيخ عبدالله العارف الذي تركز نشاطه في شمالي سومطره خلال القرن السادس الهجري والشيخ برهان الدين الذي اختار لنشاطه غربي سومطره وجنوبيها. وفي القرن الثامن للهجرة قدم إلى سومطره دعاة من الحجاز على رأسهم الشيخ اسماعيل وقد اتسع انتشار الإسلام في سومطره على أيديهم. ومن أشهر دعاة الإسلام في جاوه التاجر العالم الشيخ ابراهيم الذي كان يعرف باسم الملك إبراهيم وكان مجال نشاطه الأجزاء الشرقية من جاوه.

ودخل الإسلام إلى **جزيرة كاليمنتان (بورنيو)** في القرن العاشر الهجري عن طريق مملكة بنجرماسين في الجنوب الغربي من الجزيرة وعن طريق مملكة سوكدنه التي تقع في الجانب الغربي من الجزيرة. وفي القرن الثاني عشر للهجرة بدأ الإسلام ينتشر بين قبيلة إيدان التي تقطن داخل جزيرة بورنيو.

وفي **جزيرة سلبيس** انتشر الإسلام في القرن الحادي عشر للهجرة على يد الملك ابن تونجالو الذي تلقب بالسلطان علاء الدين بعد اعتناقه الإسلام فتبعه أهل الجزيرة. كما انتشر الإسلام بين جميع الشعوب العديدة المسماة بالماكاسار والبوجينز وبوني والبوجي واضطلعت قبيلة البوجي بالعمل على نشر الإسلام واستطاع دعاتها هداية «الساساك» الذين يسكنون **جزيرة لمبوك** وأهالي **جزيرة سمبوا**. ويرتبط وصول الإسلام **لجزر المولوك** بتجارة القرنفل، ففي القرن الحادي عشر للهجرة اعتنق ملك تيدور الوثني الإسلام على يد الشيخ منصور، وأصبح اسمه الملك جمال الدين واتبعه على الهدى كثيرٌ من رعاياه.

كذلك كان للزهاد الذين قدموا إلى أندونيسيا على اختلاف أصولهم آثار في هذا السبيل، وكان لمن اجتمع عليهم من الأندونسيين نشاطهم الديني ومكانتهم في البيئة الاقتصادية والسياسية لمجتمع المدن.

الملامح الطبيعية :

الأرض الأندونيسية حديثة التكوين وهي غير مستقرة حتى اليوم. وقد كانت في الماضي شبه جزيرة متصلة فيما بينها تمثل معبراً قارياً بين جنوبي شرقي آسيا واستراليا. وقد نتج عن الضغوط الجانبية تكوّن الجبال الإلتوائية التي تكاد توجد في جميع الجزر الأندونيسية، كما هبطت الأرض بفعل الصدوع والإنكسارات التي صاحبت تلك الضغوط فغمرتها مياه المحيط فانفصل اليابس على شكل مجموعة من الجزر المتجاورة التي تحوطها مياه المحيط. ويتوافق امتداد المرتفعات في كل الجزر مع امتداد هذه الجزر، **فجزيرة جاوه** مثلاً تمتد من الغرب إلى الشرق بطول ١٠٠٠كم بينما يمثل امتدادها من الشمال إلى الجنوب عرض الجزيرة الذي يتراوح من ١٠٠ و١٥٠كم ونجد مرتفعاتها الجبلية تمتد على شكل سلاسل من الغرب إلى الشرق أيضاً، ويفصل هذه الجزيرة بحر جاوه عن جزيرة كاليمنتان (بورنيو) ومضيق الصوند عن جزيرة سومطره ومضيق بالي عن جزيرة بالي وقد تعرضت جزيرة جاوه لنشاط بركاني منذ القدم ومن ثم كانت تربتها بركانية خصبة وترتفع قمم الجبال فيها إلى أكثر من ٣٠٠٠م فوق سطح البحر وتنحدر منها أنهار نحو السهول الساحلية.

وتشتمل **جزيرة سومطره** على سلسلة جبلية تعدّ بمثابة العمود الفقري لها وتمتد مع امتداد الجزيرة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وتعتبر امتداداً للسلاسل الجبلية الإلتوائية في بورما عبر مجموعة جزر أندمان وما جاورها من جزر، ويستمر امتداد السلسلة الجبلية لسومطره في سلسلة متتابعة من الجبال تتخلل باقي جزر أندونيسيا ومنها جزيرة جاوه ومجموعة جزر الصوند الصغرى. ويفصل جزيرة سومطره عن شبه جزيرة الملايو مضيق ملقا وعن جزيرة جاوه مضيق الصوند. ويقدر طول سومطره بحوالي ١٧٦٠كم. ويتراوح عرضها بين ١٦٠ و٤٠٠ كم، ويصل ارتفاع قمم الجبال فيها إلى أكثر من ٣٥٠٠م. ومعظم أنهارها تنحدر نحو الجانب الشرقي فتصب في البحر مخترقه السهول الشرقية الواسعة. وتنحدر الجبال في سومطره انحداراً تدريجياً نحو الشرق وانحداراً شديداً نحو الغرب، ذلك أن المرتفعات الجبلية تتراجع عن السواحل الشرقية بينما تقترب من السواحل الغربية الضيقة. وتتراكم المستنقعات في أجزاء من السهول الشرقية نظراً

لاتساعها وانخفاضها. ويتركز المعمور من سومطره في إقليمها الشرقي مثلما يتركز المعمور من جاوه بإقليمها الشمالي.

وفي **جزيرة كاليمنتان (بورنيو)** تمتد المرتفعات الجبلية من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي مع امتداد الجزيرة نفسها. وترتفع قمة جونونج زيا من قمم جبالها الوسطى إلى ٢٢٧٨م وتتسع السهول في شتى أطراف الجزيرة نظراً لامتداد السلاسل الجبلية في الأجزاء الوسطى من الجزيرة، وتتراكم المستنقعات في مساحات واسعة من جموب غربي الجزيرة كما توجد مجموعة من الأنهار تنحدر نحو الشمال الغربي منها.

وتشغل **جزيرة سلبيس** المرتبة الثالثة بعد جزيرتي كاليمنتان (بورنيو) وسومطره من ناحية المساحة. وتسود المرتفعات الجبلية فيها على السهول، وترتفع القمم الجبلية فيها إلى ٣٤٥٠م، وتكثر البراكين والجبال البركانية كما توجد بها بحيرات متعددة يقبع بعضها فوق فوهات بركانية.

والجزر الأندونيسية تقع في النطاق العالمي للبراكين والزلازل، وهو نطاق يحف بمعظم أطراف القارات نتيجة لحداثة تكوينها وعدم استقرار أرضها. وتضم الأراضي الأندونيسية أكثر من ٣٠٠ بركان بعضها خامد منذ القدم وبعضها الآخر نشيط حتي العصور الحديثة. وتتعدد في البلاد المظاهر الطبيعية التي ترتبط بظاهرة البراكين مثل الجبال البركانية والتربة البركانية والبحيرات والينابيع الحارة. كما تقترن بالبراكين ظواهر بشرية كقلة السكان حيث توجد البراكين وهجرة سكان القرى القريبة من البراكين الثائرة إلى مناطق بعيدة مأمونة.

على أن للبراكين الخامدة آثارها غير المباشرة في تكوين التربات الخصبة التي تؤدي إلى تركز الزراعة وزيادة الإنتاج الزراعي وبالتالي تزايد كثافة السكان والعمران وهذا ما يتمثل بجلاء في جزيرة جاوه.

ومناخ أندونيسيا مداري بصفة عامة ويبلغ متوسط درجة الحرارة حوالي ٢٥م في السنة وتزداد درجة الحرارة عن المتوسط أثناء الإعتدالين عندما تتعامد أشعة الشمس على البلاد،

وهي في المرتفعات أقل منها في المنخفضات والسهول الساحلية. وترتفع الرطوبة النسبية بدرجة ملموسة نسبياً وتسقط الأمطار طول العام، وهي تزيد في المناطق المرتفعة عنها في المناطق المنخفضة حيث يبلغ متوسطها السنوي نحو ٦٠٠٠ ملم في الأولى ونحو ٢٥٠٠ ملم في الثانية. وتتنوع النباتات الطبيعية من الغابات المدارية المطيره في السهول الشمالية إلى الغابات الموسمية في السهول الجنوبية، وإلى الشجيرات الألبية على القمم الجبلية.

السكان والعمران :

قدر عدد سكان أندونيسيا في عام ١٣٩٤هـ (٧٤م) بنحو ١٢٧,٥٩٠,٠٠٠ نسمة وقدرت كثافتهم العامة بحوالي ٨٦ نسمة/كم٢، وكان التعداد الرسمي في عام ١٣٩١هـ (٧١م) قد دلّ على أن مجموع السكان آنذاك يبلغ ١١٩,٢٣٢,٠٠٠ نسمة وكثافتهم العامة ٥٩,٦ نسمة كم٢. ويبلغ معدل الزيادة الطبيعية للسكان ٢,٩٪ سنوياً، ومعدل العمر ٤٧,٥ سنة. وأندونيسيا خامس دولة في العالم من ناحية عدد السكان، والدول الأربع الأكثر سكاناً هي على الترتيب: الصين والهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. وتتفاوت الجزر فيما بينها من ناحية كثافة السكان، فبينما ترتفع كثافة السكان عن الكثافة العامة لسكان البلاد في جزيرتي جاوه ومادورا حيث تبلغ كثافة السكان فيهما حوالي ٥٦٥ نسمة/كم٢، فإنها تنخفض في بقية الجزر عن الكثافة االعامة حيث تبلغ في جزيرة سومطره ٣٨,٨ نسمة/كم٢ وفي جزيرة كاليمنتان (بورنيو) ٩,٢ نسمة/كم٢، وفي جزيرة سلبيس ٣٧,٣ نسمة/كم٢، وفي الجزر الأخرى (بالي ومولوك ونوساتنجارا وإيريان الغربية) مجتمعة تصل إلى ١٥ نسمة/كم٢ وكثافة السكان في إيريان الغربية وحدها ٢,٢ نسمة/كم٢.

ووفقاً لتعداد عام ١٣٩١هـ (٧١م) تستأثر جزيرتا جاوه ومادورا وحدهما بنحو ٧٦,١ مليون نسمة من مجموع سكان أندونيسيا البالغ نحو ١١٩,٢ مليون نسمة، أي أن سكانهما كانا يمثلان وقتذاك ٦٠٪ من جملة سكان البلاد، بينما تشغل أراضيهما ٦,٧٪ من مساحة الدولة. وتتفاوت مناطق جاوه فيما بينها من ناحية كثافة السكان، فهناك مناطق تقل فيها الكثافة عن كثافة سكان جاوه بصفة عامة، بينما نجد كثافة السكان في مناطق أخرى بوسط الجزيرة وغربيها تزيد كثيراً عن الكثافة العامة لسكان جاوه، وفيها أديورنا، وكلاتن، وتجيربون،

ويرجع عدم التوازن في توزيع سكان أندونيسيا ، وفي كثافتهم أيضاً ، إلى عوامل طبيعية كالتربة والسطح ، والمرتفع الجغرافي ، والمناخ وغيرها . ويأتي عامل التربة على رأس العوامل المؤثرة على هذا التوزيع ، بل إنه العامل الحاسم الذي يتحكم في قابلية الأرض للزراعة وقدرتها الإنتاجية . ففي جزيرة جاوه تسود التربة البركانية الخصبة ، بينما تسود تربة اللاترايت (الحمراء) في سائر الجزر ، وهي تربة فقيرة في المواد المعدنية وما يذوب منها بفعل الأمطار ينجرف بعيداً فلا يصل إلى حيث توجد جذور النباتات . ويترتب على هذا التفاوت في التربة تفاوت في نمط استخدام الأرض ، فالتربة البركانية تصلح كثيراً للزراعة الكثيفة فيزرع فيها الأرز والمحصولات الأخرى أكثر من مرة في العام ، بينما تعجز تربة اللاترايت عن تحمل مثل هذه الزراعة وتحتفظ بالغابات الطبيعية .

وتشهد المدن الأندونيسية نمواً سريعاً في سكانها بسبب تيار الهجرة الداخلية المتدفق عليها من الأرياف حولها ، ويؤكد ذلك نمو عدد سكان المدن بين تعدادي ١٣٨١هـ و١٣٩١هـ (٦١ ، ٧١م) ، فقد ارتفع بين هذين العامين عدد السكان في جاكرتا العاصمة من ٣,٧ مليون إلى ٥,٨ مليون نسمة ، وفي سورابايا من مليون إلى ١,٣ مليون ، وفي باندونج من ٠,٩ مليون إلى ١,١ مليون ، وفي سيمارانج من ٥٠٣,٠٠٠ إلى ٦٣٣,٠٠٠ ، وفي ميدان من ٤٧٩,٠٠٠ إلى ٦٢٠,٠٠٠ وفي باليمبانج من ٤٧٥,٠٠٠ إلى ٦١٤,٠٠٠ ، وفي أوجونج باندانج (ماكسّار) من ٣٨٤,٠٠٠ إلى ٤٩٧,٠٠٠ ، وفي مالانج من ٣٤١,٠٠٠ إلى ٤٢٩,٠٠٠ ، وفي جوجاكرتا من ٣١٣,٠٠٠ إلى ٣٩٤,٠٠٠ ، وفي بنجرماسين من ٢١٤,٠٠٠ إلى ٢٧٠,٠٠٠ ، وفي بونتياناك من ١٥٠,٠٠٠ إلى ١٩٤,٠٠٠ نسمة .

وينتمي الأندونيسيون الأصليون من الناحية العرقية إلى الجنس الملايوي ، وقد اختلط هؤلاء بالزنوج من عناصر البابوان في إيريان الغربية . وتوجد مجموعات عنصرية متعددة في أندونيسيا أهمها الصينيون الذين يعدون من أكبر الأقليات في البلاد ، والباتاك ، والميانج كابوس ، والجاويون ، والصوندانيون ، والمادورا ، والبالينزيون ، والساساك ، والميناودنيسيون ، والبوجيينزيون ، والدياياك ، والهنود ، والعرب ، والبابوا ، ثم انضاف إلى هؤلاء الهولنديون .

وتتعدد اللغات في أندونيسيا ، ولكن اللغة الرسمية هي باهاسا أندونيسيا التي ترجع أساساً الى الملايوية لكن أضيفت إليها كلمات كثيرة من اللهجات الأندونيسية فضلاً عن كلمات أخرى من العربية والسنسكريتية والهولندية . ولقد كانت اللغة الهولندية هي اللغة الرسمية أيام الاستعمار الهولندي ثم حلت محلها الإنجليزية بعد زواله وغدت اللغة الثانية في البلاد ، وهي تدرس في المدارس الثانوية .

ويؤلف المسلمون ٩٤٪ من مجموع السكان في أندونيسيا حسب تعداد عام ١٣٩١هـ (٧١م) ، بينما يمثل المسيحيون ٣٪ من السكان ، والهندوس والبوذيون معاً ٢٪ ، هذا إلى معتنقي ديانات أخرى في حدود ١٪ من مجموع السكان . ومسلمو أندونيسيا هم من أهل السنة والجماعة ويتركز المسيحيون في وسط وشرقي جاوه وشمال سلبيس وشرقي نوساتنجارا ومولوك لكن الجماعات التبشيرية تسعى جاهدة بمختلف السبل لزيادة عدد معتنقي المسيحية ويتركز النشاط التبشيري بصورة ملموسة في كاليمنتان (بورنيو) وإيريان الغربية ، ومن المسيحيين الأندونيسيين من وصلوا أحياناً إلى المناصب العليا في الدولة ومن هؤلاء رئيس هيئة الأركان في الجيش وبعض كبار الضباط والمستشارين ، ووزيرا الدفاع والمالية .

وتسود الهندوكية معظم جزيرة بالي ، أما القبائل المنعزلة في وسط بعض الجزر فلا تزال على عقائد بدائية .

الاقتصاد :

تزخر أندونيسيا بثروات طبيعية يجري استغلالها ، وقد كان الإنتاج الأندونيسي يمثل بالنسبة للإنتاج العالمي ٤٠٪ من المطاط ، و٢٠٪ من القصدير ، و٩٪ من الكينا ، و٣٣٪ من الكوبرا ، و٢٥٪ من الشاي ، و١٧٪ من السكر ، و٥٪ من البن ، و٣٪ من البترول .

وتعد أندونيسيا الآن ثانية دول العالم إنتاجاً للمطاط الطبيعي والقصدير . وقد تضاعف إنتاجها من الموارد المستغلة وظهر أثر ذلك في قوة الاقتصاد الأندونيسي ونشاط صادرات كثير

من السلع الأندونيسية.

وقد قدر دخل البلاد في عام ١٣٨٠هـ (٦٠م) بحوالي ٢٣٦ بليون روبية وكانت الزراعة والغابات وصيد الأسماك تمثل منه ٥٦٪ والصناعة ٨٪، والتعدين ٢٪، بينما تؤلف بقية الدخل القطاعات الأخرى الإقتصادية. وفي عام ١٣٩٤هـ (٧٤م) أصبح مجموع الدخل القومي حسب أسعار عام ١٣٨٠هـ نحو ٨٠٥ بليون روبية وقد أسهمت الزراعة في هذا الدخل بنسبة ٤٠٪ ويعزى انخفاض هذه النسبة إلى ارتفاع نسبة ما أسهمت به قطاعات أخرى في دخل البلاد كقطاع التجارة الذي أسهم بنسبة ١٧٪ من الدخل، وقطاع التعدين والصناعة الذي أسهم بنسبة ٢٥٪.

وبالرغم من التحسن الملموس الذي طرأ على الإنتاج القومي خلال السنوات الأخيرة إلا أن زيادة عدد السكان يجعل من العسير أن يساير نصيب الفرد من الدخل القومي تلك الزيادة فيه، ولقد قدر نصيب الفرد الأندونيسي من الدخل في عام ١٣٩٤هـ (٧٤م) بحوالي ٥١,٨٧٥ روبية سنوياً أو ما يعادل ١٢٥ دولار.

وبلغ مجموع السكان ذوي النشاط الإقتصادي في تعداد عام ١٣٩١هـ (٧١م) نحو ٤٠,١ مليون نسمة، منهم ٢٤,٩ مليون كانوا يعملون في الزراعة، و٣,٤ مليون كانوا يعملون في الصناعة. وبذلك تستوعب الزراعة ٦٠٪ من مجموع القوى العاملة. غير أن إنتاج المواد الغذائية لا يلبي حاجات السكان الإستهلاكية بسبب تزايدهم السريع وقد اضطرت أندونيسيا في السنوات الأخيرة إلى الإستيراد من الخارج لسد حاجتها من الأرز ثم بذلت الحكومة جهوداً كبيرة لزيادة إنتاج هذه المادة الغذائية الرئيسية في البلاد، وأعلن في عام ١٣٩٥هـ (٧٥م) عن توقف استيراد الأرز. وتسود الزراعة الكثيفة نظراً لتوفر المياه من جهة ولزيادة حاجات السكان إلى الموارد الزراعية من جهة أخرى. ويزرع الأرز والمحصولات الحقلية في المزارع الصغيرة، أما المحصولات النقدية كالمطاط وجوز الهند وقصب السكر والتوابل والبن فإنها تزرع في مزارع ضخمة أعدّت للإستغلال التجاري.

وقد أفادت أندونيسيا من الإرتفاع العالمي لأسعار مواد الخام فزادت قيمة صادراتها في السنوات الأخيرة عما كانت عليه من قبل. وفي سنة ١٣٩٤هـ (٧٤م) كانت قيمة صادرات اندونيسيا من المطاط نحو ٤٨٧ مليون دولار، ومن الخشب نحو ٧٢٤ مليون، ومن البترول الخام والمنتجات البترولية نحو ٥٢١١ مليون دولار. وقد تزايد إنتاج البترول بسرعة واستفادت البلاد من إرتفاع أسعاره العالمية فارتفع دخلها البترولي من ١٣٥٠ مليون دولار في عام ١٣٩٣هـ (٧٣م) إلى ٤٧٠٠ مليون في عام ١٣٩٤هـ، وفي عام ١٣٩٥هـ كانت أندونيسيا عاشر دولة منتجة للبترول إذ بلغ إنتاجها ١,٤ مليون برميل يومياً وقد تمكنت من تحقيق فائض في ميزان مدفوعاتها بلغ في عام ١٣٩٤هـ نحو ٧٠٠ مليون دولار ولكن من ناحية أخرى عانت البلاد من التضخم الذي بلغت نسبته ٥٠٪ في عام ١٣٩٤هـ (٧٤م) ويذكر أن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة قد أدت إلى الهبوط بهذه النسبة إلى ١٨٪ في أواخر عام ١٣٩٥هـ.

وقد قامت الحكومة بتنفيذ خطتها الخمسية الأولى للتنمية ١٣٩٠-١٣٩٤هـ (٧٠-٧٤م) وركزت الخطة آنذاك على تنمية القطاع الزراعي وكان من مواضع اهتمامها زيادة محصول الأرز وتحسين الري وتوسيع مساحة الأرض الزراعية وإقامة صناعات زراعية. ويذكر أنه في نهاية المدة المحدودة للخطة بلغت الزيادة في مساحة الأرض المزروعة حوالي ٩,٣ مليون هكتار وأصبح محصول الأرز يكفي حاجة السكان وارتفعت قيمة الناتج إلى ١٨,٢٠٠ مليون دولار، ووصلت قيمة الإحتياطي النقدي في البنك المركزي إلى ١٦٠٠ مليون دولار.

وكانت قيمة الصادرات في عام ١٣٩٤هـ (٧٤م) نحو ٣٥٠٠ مليون دولار، بينما وقفت قيمة الواردات ثابتة عند ٢٩٠٠ دولار.

ويجري حالياً إنفاذ خطة التنمية الخمسية الثانية ١٣٩٥-١٣٩٩هـ (٧٥-٧٩م) وهي تعنى بتنمية الطاقة الكهربائية والمواصلات والإسكان والتعليم والعمالة. وتمثل أرقام الإعتمادات المخصصة لمشروعات التنمية في موازنة الدولة أربعة أمثال ما خصص لذلك في الموازنة خلال الخطة الخمسية الأولى. وتهدف الخطة الحالية إلى زيادة فرص العمل القائمة بنسبة ١٣,١٪ وهذا يعني استحداث ٥,٥ مليون وظيفة. كما تهدف إلى زيادة مجموع الإنتاج المحلي بنسبة ٨٪ سنوياً.

الزراعة والثروة الحيوانية :

بلغ مجموع مساحة الأرض المزروعة بالمحصولات الدائمة وغيرها في أندونيسيا ١٨ مليون هكتار ، بينما بلغت مساحة الأراضي المكسوة بالغابات نحو ١٢٢ مليون هكتار. وقد صدر قانون الإصلاح الزراعي في البلاد عام ١٣٨٠هـ (٧٠م) وقد نصّ على تحديد الملكية الزراعية للفرد بحيث لا تتجاوز خمسة هكتارات من أرض الأرز الرطبة ، وستة هكتارات من أرض الأرز الجافة ، وذلك في الأقاليم المأهولة بالسكان. وجعل الحد الأقصى للملكية الزراعية في الأقاليم الأقل اكتظاظاً بالسكان عشرة هكتارات من أرض الأرز الرطبة واثني عشر هكتاراً من أرض الأرز الجافة. وفي الأقاليم غير المأهولة بالسكان مثل كاليمنتان (بورنيو) وسومطره ، جعل الحد الأقصى للملكية ١٥ و١٨ هكتاراً من أرض الأرز الرطبة والجافة على التوالي. وتم توزيع ما يقرب من مليون هكتار من الأراضي الزراعية على الفلاحين المعدمين وفقاً لهذا القانون ، ويذكر أن ٦٠٪ من سكان الريف العاملين في الزراعة قبل إنفاذه كانوا لا يملكون أرضاً البتة.

وقد أعيد النظر في النمط الزراعي أيضاً حيث كانت المحصولات التصديرية تستأثر بنسبة تتراوح ما بين ٣٥ و٤٠٪ من مجموع الأرض المزروعة ويستهدف النمط الزراعي حالياً الجمع بين الحاجات الإستهلاكية للمحاصيل الغذائية وحاجات التصدير. وتعد جزيرة جاوه من أكثر الجزر الأندونيسية من حيث الكثافة الزراعية وقد استغلت جميع الأرض القابلة للزراعة في ممارسة الزراعة الكثيفة. ويوضح الجدول التالي أهم المحصولات الزراعية في أندونيسيا مساحة وإنتاجاً في عام ١٣٩٤هـ (٧٤م).

المحصول	المساحة بالألف هكتار	الانتاج بالالف طن	المحصول	المساحة بالالف هكتار	الانتاج بالالف طن
الأرز	٨٥٠٠	٢٢,٨٠٠	فول الصويا	٧٠٠	٥٥٠
الـذره	٢٨٥٠	٢٧٦٠	البن	٤١٧	١٨٢
البطاطس	٣٧	١٣٨	الشاي	١٠٢	٦٥
الكاسافا	١٣٥٠	٩٣٩٩	التبـبـغ	١٧٣	١٢٢
قصب السكر	١٧٠	١٣,٧٧٠			

والأرز هو أهم محصولات أندونيسيا الزراعية لأنه غذاء السكان الرئيسي وهو يزرع في الأراضي المنبسطة التي تغمرها المياه أو فوق المرتفعات التي تعتمد على مياه الأمطار. وقد زاد إنتاج الأرز باستمرار خلال ربع القرن الأخير من ٥,٩ مليون طن في عام ١٣٧١هـ (٥١م) إلى ١٢,٧ مليون طن في عام ١٣٩١هـ (٧١م) ثم إلى ٢٢,٨ مليون طن في عام ١٣٩٤هـ (٧٤م). أما إنتاج الذرة فقد تذبذب بين ١,٤ مليون طن في عام ١٣٧١هـ و٣,٢ مليون طن في عام ١٣٨٨هـ (٦٨م) ثم ٢.٧ مليون طن في عام ١٣٩٤هـ وكان هذا هو الحال أيضاً بالنسبة لإنتاج الكاسافا (ويسمى أيضاً المانيوق، ويستخرج من درناته دقيق يسمى التابيوكا) فقد تذبذب إنتاجه خلال الفترة نفسها بين ٧,١ مليون طن و١٢ مليون طن ثم ٩,٤ مليون طن على التوالي. ويعد قصب السكر من المحاصيل الهامة وقد بلغ إنتاج السكر منه في عام ١٣٩٤هـ نحو ١٣,٧ مليون طن. وثمة محصولات زراعية أخرى تنتجها أندونيسيا منها القمح والنارجيل (جوز الهند) ونخيل الزيت والتوابل والبهارات والكينا والشاي والبن والكاكاو ونخيل الساجو والكايوك (القطن الحريري) والتبغ والكاكاو والموز والمانجو والأناناس.

ويعد المطاط الطبيعي من الحاصلات النقدية الهامة في أندونيسيا التي تشغل المرتبة الثانية بين دول العالم في إنتاجه بعد ماليزيا. ويقدر معدل إنتاجه السنوي بنحو ربع مليون طن. وإلى جانب الثروة الزراعية تنعم أندونيسيا بثروة خشبية طائلة من الأبنوس والتاك (الساج الهندي) والبامبو والموجني والخيزران ، وكلها من الأخشاب الثمينة وتسهم المحصولات الزراعية بنسبة ٥٠٪ من مجموع الصادرات الأندونيسية.

كذلك تحظى أندونيسيا بثروة حيوانية وسمكية لها قيمتها ففي عام ١٣٩٤هـ (٧٤م) كان في البلاد من الماشية ٦,٧ مليون رأس ، ومن الجاموس ٢,٩ مليون ، ومن الأغنام ٣,٢ مليون ، ومن الماعز ٧,٥ مليون ، ومن الخنازير التي يربيها غير المسلمين ٤ ملايين ، ومن الدواجن ١٠٠,٣ مليون ، ومن البط ١٤ مليون. وكان من إنتاج هذه الثروة الحيوانية في العام نفسه : اللحوم البقرية ١٨٠,٠٠٠ طن ، لحوم الأغنام والماعز ٣٧,٠٠٠طن ، لحوم الدواجن ٧١,٠٠٠ طن حليب البقر ٤٣,٠٠٠ طن ، بيض الدجاج ٦٢,٣٠٠ طن. بيض دواجن أخرى ٧٧,٠٠٠ طن

أما إنتاج أندونيسيا من الأسماك فقد بلغ في نفس العام ١,٣ مليون طن ، منها ٨٦٠,٠٠٠ طن من أسماك البحر ، و٤٤٠,٠٠٠ طن من أسماك المياه العذبة . وبلغت قيمة صادرات الأسماك نحو ٣٠ مليون دولار .

التعدين والصناعة :

تتعدد المعادن الموجودة بأندونيسيا ولكن بعضها يوجد بكميات محدودة . فالفحم يتركز في النصف الغربي من جزيرة سومطره وكاليمنتان (بورنيو) ولكن إنتاجه في عام ١٣٩٣هـ (٧٣م) كان نحو ١٤٩,٠٠٠ طن . كما يتركز النيكل في جزيرة سلبيس ، وقد تطور إنتاجه من ٢٦٢,٠٠٠ طن في عام ١٣٨٨هـ (٦٨م) إلى ٨٦٧,٠٠٠ طن في عام ١٣٩٣هـ (٧٣م) وهكذا بلغت قيمة صادراته حوالي ١٢ مليون دولار . وتعد جزر بانكا وبيلتون وسنكب الواقعة بين جزيرتي سومطرة وكاليمنتان (بورنيو) إلى جانب جزيرة سومطره من أغني المصادر في إنتاج القصدير وقد بلغ ما أنتج منه بأندونيسيا في عام ١٣٩٣هـ نحو ٢٢,٢٠٠ طن ، أي حوالي خمس إنتاج العالم كما تدخر الأراضي الأندونيسية ما يقرب من خمس احتياطي البوكسايت في العالم وقد ارتفع إنتاجه من ٨٧٩,٣٢٣ طن في عام ١٣٨٨هـ إلى نحو ١,٢٥ مليون طن في عام ١٣٩٣هـ . وقد أنتج في عام ١٣٩٣هـ من الذهب ٣٥٢ كجم ومن الفضة ٨٨٣٢ كجم . وتقع مناجم البوكسايت والذهب والفضة في جزر سومطره وبورنيو وسلبيس . ويستخرج النحاس من مناجمه الواقعة في المرتفعات الوسطى من جزيرة إيريان الغربية ، وقد بلغت صادراته السنوية ٢٢٥,٠٠٠ طن فقدرت قيمتها بنحو ٧٦ مليون دولار . ويستخرج من جاوه المنجنيز بمعدل ١٥٠٠٠ طن سنوياً كما تستخرج منها أيضاً الكبريت . وهناك معادن أخرى في أندونيسيا مثا خام الحديد والفوسفات واليود والملح والطين والكاؤلين والحجر الجيري وجميعها تستغل بكميات محدودة .

أما البترول فإنه يستخرج من عدة جزر أهمها سومطره وجاوة وبورنيو وكارام . وجزيرة سومطره هي أولى الجزر الأندونيسية في إنتاج البترول إذ تنتج حقولها :بالمانج وديامبي في الجنوب

وميدان في الشمال ما يقرب من ٤/٣ البترول الأندونيسي . وقد زاد إنتاج البترول في البلاد من ٢١,٢ مليون طن عام ١٣٨١هـ (٦١م) إلى حوالي ٧٠ مليون طن عام ١٣٩٣هـ (٧٣م) وبلغ إنتاج الغاز الطبيعي في العام الأخير نحو ٣,٥ مليون مليون م٣ .

وتحظى الصناعة بعناية المسئولين الأندونيسيين وتشجيعهم وإن كان إسهامها في إنتاج البلاد لا يتجاوز نسبته العشر . وتنمو الصناعات الزراعية بالاعتماد على الخامات الزراعية وأهم هذه الصناعات السكر والشاي والكوبرا والسيزال والأرز والكاسافا والمطاط . وقد قامت صناعات استهلاكية مثل الإطارات والأحذية والبطاريات والصابون والسمن الصناعي والسجاير والمنسوجات والزجاج والورق . هذا إلى جانب ما يوجد في البلاد من الصناعات الرئيسية الحديثة مثل المنسوجات والمخصبات والإسمنت والورق وإطارات السيارات وتكرير البترول وغيرها .

وقد أنتجت أندونيسيا في عام ١٣٩٣هـ (٧٣م) ٨٥٢ مليون متر من المنسوجات ، و١٧٧,٠٠٠ طن من المخصبات منها ١٢٧,٠٠٠ طن من الأوريا و٥٠,٠٠٠ طن من الأمونيا الكبريتية . هذا وقد افتتح في عام ١٣٩٤هـ مصنع جديد للأوريا في مدينة باليمانج بسومطره الجنوبية وتبلغ طاقته الإنتاجية ٤٠٠,٠٠٠ طن سنوياً كما وضع حجر الأساس لمصنع آخر طاقته الإنتاجية ٥٠٠,٠٠٠ طن سنوياً وهناك اتجاه إلى بناء مصنعين للمخصبات طاقة كل منهما ٥٠٠,٠٠٠ طن سنوياً أحدهما في كاليمنتان (بورنيو) الشرقية والثاني في سيربون بغربي جاوه وذلك ضمن خطة التنمية الخمسية الثانية .

وقد زاد إنتاج الإسمنت من ٥٤٢,٠٠٠ طن في عام ١٣٨٩هـ (٦٩م) إلى ٧٢٢,٠٠٠ طن في عام ١٣٩٣هـ . وينتج الإسمنت من مصنع جريسيك ومصنع بادانج ومن المقرر أن يصل إنتاج الإسمنت إلى ٧٧٠,٠٠٠ طن خلال عام ١٣٩٧هـ (٧٧م) ، نتيجة التوسع في الإنتاج وإدخال تحسينات على الأفران الموجودة في المصانع . وفي عام ١٣٩٣هـ كان إنتاج أندونيسيا من الورق ٣٨,٠٠٠ طن ومن الملح ١٧٥,٠٠٠ طن ، ومن الزجاج ١٥,٠٠٠ طن ، ومن

إطارات السيارات ٨٢٧,٤٠٠ قطعة، ومن الصودا ٢٨٤٠ طن، ومن البطاريات ٧٢,٠٠٠ بطارية، ومن أجهزة الراديو والتلفزيون ٧٠٠,٠٠٠ و٧٠٠٠ جهاز على التوالي، ومن تجميع السيارات ٢٣,٠٠٠ سيارة ومن تجميع الدراجات النارية ١٠٠,٠٠٠ دراجة، ومن السجاير ١٧ مليون سيجارة، ومن الصابون ١٣٢,٠٠٠ طن، ومن أنابيب الصلب ٣٤,٠٠٠ طن. ومن قضبان الصلب ٣٦,٠٠٠ طن.

وتوجد حالياً أربعة مصافٍ للبترول في جاوة وسومطرة مجموع طاقتها الإنتاجية ٤٠٠,٠٠٠ برميل يومياً وتتضمن خطة التنمية الخمسية الثانية إقامة مصفاة خامسة في جزيرة باتام جنوبي سنغافورة وتبلغ طاقتها الإنتاجية ١٠٠,٠٠٠ برميل يومياً.

المواصلات والتجارة الخارجية :

يبلغ مجموع أطوال الطرق في أندونيسيا ٨٥٠٠٠كم، منها ٢١,٠٠٠كم من الطرق المعبدة. وتشتمل كل من جزيرتي جاوة وسومطرة على أكثر من ثلث أطوال الطرق في البلاد وقد عملت على هذه الطرق في عام ١٣٩٣هـ (٧٣م) نحو ٣٠٨,٠٠٠ سيارة، و١٤٤,٠٠٠ شاحنة، و٣٠,٠٠٠ حافلة (باص) وثلاثة أرباع هذا العدد من السيارات كانت تعمل في جزيرة جاوة وتربط عابرات السيارات الجزر الأندونيسية المختلفة.

وتمتد خطوط حديدية في أرجاء جزر جاوة ومادورا وسومطرة وسلبيس وبانجكا وبليتون، ولكن جاوه وحدها هي التي تملك شبكة من الخطوط الحديدية. وتبلغ أطوال السكك الحديدية في البلاد نحو ٨٦٠٠كم وهي ملك للدولة. والطرق المائية الداخلية هي أهم وسائل النقل في كاليمنتان (بورنيو) وأجزاء من سومطره. ويعد مطار جاكرتا الدولي ملتقى لشبكة الخطوط الجوية الداخلية والعالمية، وتعمل شركة الخطوط الجوية الأندونيسية (جارودا) في نقل المسافرين والبضائع.

وأهم موانىء التجارة الخارجية هي جاكرتا العاصمة وسورابايا في جاوة، وبلاوان وميدان في سومطره وهناك موانىء أخرى أقل أهمية مثل سمارانج في جاوة وباليمانج وبادانج في سومطرة، وباليكيان وبونتياناك في كاليمنتان (بورنيو) وماكسّار في سلبيس. وقد بلغت قيمة الصادرات الأندونيسية في عام ١٣٩٤هـ (٧٤م) نحو ٧٤٢١ مليون دولار، أسهم البترول بحوالي ٧٠٪ منها، وبلغت قيمة صادرات البترول والمطاط والخشب معاً ٨٧٪ من قيمة مجموع الصادرات الأندونيسية. وبلغت قيمة الواردات في العام نفسه ٣٨٣٦ مليون دولار، كانت قيمة واردات المنسوجات والأرز نحو ثلثها بينما كانت السلع الرأسمالية نحو ربعها. وأهم السلع التي تصدرها أندونيسيا: البترول والمطاط والقصدير والتبغ والتوابل والبهارات. وأهم ما تستورده: المنسوجات والآلات والأرز (إلى أن استطاعت تحقيق الاكتفاء الذاتي كما ذكر) والمواد الكيماوية والورق. وتتعامل أندونيسيا مع كثير من الدول في تجارتها الخارجية، ويأتي في مقدمتها اليابان وألمانيا الإتحادية وسنغافورة وهولندا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

من معالم التقدم :

تتعدد في أندونيسيا الغرف التجارية والصناعية والمصارف والمؤسسات الاقتصادية العامة والخاصة، وتقوم فيها الإتحادات التجارية والنقابات العمالية. وفي البلاد مصرف مركزي وستة مصارف حكومية أخرى، إلى جانب عشرة مصارف تجارية ومصرف للتنمية وأحد عشر مصرفاً أجنبياً.

وترتكز السياحة في البلاد على جزيرتي جاوة وبالي بصفة أساسية، حيث تتحقق روعة مشاهد الطبيعة ولا سيما الجبال بمدرجاتها ومزارعها وبراكينها وأنهارها، كما توجد الأماكن ذات القيمة التاريخية وبخاصة آثار الحضارة الإسلامية. وقد بلغ عدد السياح الذين قدموا إلى أندونيسيا في عام ١٣٩٣هـ (٧٣م) نحو ٣١٠,٠٠٠ سائح أنفقوا ما يزيد على ٦٥ مليون دولار.

وقد حققت أندونيسيا تقدماً كبيراً في مجال التعليم. كان الذين يعرفون القراءة والكتابة في البلاد قبل أكثر من ثلث قرن لا تتجاوز نسبتهم ٦٪ من مجموع السكان فحسب، إذ كان

الإستعمار الهولندي حريصاً على انتشار الجهل لتيسير مهمة إخضاع الشعب الأندونيسي وإحكام السيطرة عليه. أما الآن فيذكر أ الذين يعرفون القراءة والكتابة بين الأندونيسيين قد ارتفعت نسبتهم إلى ٦٠٪ من مجموع السكان. وبينما كان لا يوجد في أواخر عهد الحكم الهولندي لأندونيسيا سوى ٣٥٩٥ مدرسة ابتدائية تضم ١,٩ مليون تلميذ، إذا بالبلاد الآن تضم ٦٥,٩٧٨ مدرسة ابتدائية فيها ١٦ مليون تلميذ، و٣٤٣,٠٠٠ معلم. وقد أصبح التعليم الابتدائي إلزامياً، وانخفضت نسبة الأمية في مختلف أنحاء البلاد باستثناء إيريان الغربية. وتقوم في أندونيسيا ٧٠٠٠ مدرسة متوسطة وثانوية، و٥٠٠ معهد لإعداد المعلمين، و١٢٠٠ معهد فني، إلى جانب ألفي معهد تدريبي متنوعة لأغراض. وفي البلاد ٢٩ جامعة تابعة للدولة، يوجد إلى جانبها ٢٣ جامعة خاصة. وقد ارتفعت موازنة التعليم من ١٠,٥ بليون روبية في عام ١٣٩٠هـ (٧٠م) إلى ٩٥ بليون روبية في عام ١٣٩٣هـ (٧٣م). وتوجد في أندونيسيا وكالة للطاقة النووية وعدد من مراكز البحوث والجمعيات العلمية والاقتصادية.

وقد كان للجمعيات الإسلامية نشاطها في نشر التعليم في نطاق جهودها لنشر المعرفة وإبلاغ تعاليم الإسلام. ومن الجماعات الإسلامية البارزة في أندونيسيا الجمعية المحمدية، وجمعية نهضة العلماء، وشركت إسلام. وقد أسس الجمعية المحمدية الحاج أحمد دحلان في عام ١٣٣١هـ (١٩١٢م) وتتبعها مدارس ومعاهد للمعلمين ومستشفيات وملاجىء، وقد اضطلعت بإعادة مسلمي أندونيسيا إلى التوحيد الصحيح واتباع الكتاب والسنة. وتنتشر آثار تلك الجهود الآن في جميع مناحي الحياة الأندونيسية: ثقافية واجتماعية وسياسية. أما جمعية نهضة العلماء فقد أسسها الشيخ هاشم الأشعري في عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) ويمتد نشاطها إلى المجالات السياسية.والتعليمية، ومن مدارسها معهد القرآن. وإلى جانب ذلك أنشئت جمعية الإرشاد في عام ١٣٣١هـ (١٩١٢م) بجهود أحمد السكرتي الأنصاري وتتبعها آلاف المدارس. كذلك قام مؤخراً في البلاد (ديوان الدعوة الإسلامية)، وقد كان من نشاط مركزه الإعلامي نشر نحو ٣٧٤,٠٠٠ نشرة ودورية في عام ١٣٩٣هـ كما قام بتوزيع ٦٢٥٠ مجموعة من المعدات اللازمة للمساجد، ويتضاعف نشاط هذه المنظمة وخدماتها عاماً بعد عام. وتقوم في أندونيسيا ٨١ مؤسسة إسلامية منها جامعات إسلامية خاصة تضم ١٢١ كلية. كما توجد فيها

المنظمة الإسلامية الدولية التي تمارس نشاطها محلياً وعالمياً. وتبرز بعض المساجد الهامة باعتبارخها مراكز ثقافية إسلامية، منها مسجد في مدينة داماك بجاوة، ومسجد الرسول ﷺ في سولو بوسط جاوة ومسجد الأزهر في العاصمة جاكرتا. وثمة أحزاب إسلامية عرفتها البلاد منها الحزب الإسلامي الأندونيسي وحزب برتي الإسلامي. كما عرفت البلاد من الأحزاب الأخرى: الحزب الوطني الأندونيسي، والحزب الكاثوليكي، والحزب البروتستنتي، وحزب أبيكي، وحزب موربا الاشتراكي، وحزب الفئة العاملة.

وتصدر في أندونيسيا ٤٨ صحيفة يومية، و١٨ صحيفة أسبوعية، و٣٧ دورية متنوعة أخرى. وتضم نقابة الصحفيين أكثر من ٣٠٠٠ عضو. وهناك ٤١ داراً للنشر تتألف منها الجمعية العامة للناشرين، ويتضمّن إنتاج هذه الدور كتباً إسلامية متعددة. وقد عرفت البلاد من الصحف اليومية ذات الوجهة الإسلامية: أبادى (الأبد) لسان الحزب الإسلامي الأندونيسي (ماشومي)، وفنداكن (النظرة) لسان شركة إسلام، ودوتا مشاركة (رسول المجتمع) لسان نهضة العلماء. هذا إلى جانب عدة مجلات إسلامية منها: الحكمة، الإصلاح، نهضة الإسلام، صوت المحمدية، الجهاد، صدى المسلمين، فرني بلتين (نشرة حزب التربية) وصوت ماشومي. وقد احتوت البلاد في عام ١٣٩٤هـ (٧٤م) على: ٣,٥ مليون راديو، و٢٣٧,٠٠٠ جهاز تلفزيون. وصدرت فيها ١,٨ مليون نشرة إعلامية.

وفي مجال الرعاية الصحية، افتتح كثير من المستشفيات والمراكز العلاجية، وذكر أن البلاد قد اشتملت في عام ١٣٩٤هـ على نحو ٦٨٠ مستشفى، ٦٢٢١ طبيب. كما ذكر أنه قد تمت السيطرة على مرض الملاريا.

وبلغ مجموع القوات المسلحة النظامية في أندونيسيا في ١٣٩٦هـ (٧٦م) ٢٦٦,٠٠٠ جندي، وبلغت نفقات الدفاع في ذلك العام نحو ١١٠٨ مليون دولار.

(٢٤) جمهورية اذربيجان

هي إحدى الجمهوريات الخمس عشرة التي يتألف منها الإتحاد السوفيتي، وفيها ست جمهوريات إسلامية اتحادية أذربيجان واحدة منها . ولكلٍّ من هذه الجمهوريات الإتحادية دستورها الذي تبدو فيه سماتها الخاصة، ولها هيئاتها في الحكم وتشكيلاتها العسكرية الخاصة ونشيدها الوطني وعلمها وشعارها وعاصمتها. وهي تتمتع بحق الإنفصال عن الإتحاد السوفيتي – بمقتضى ما يقرره الدستور ولو نظرياً، كما أن لها حق الدخول في علاقات مباشرة مع الدول الأجنبية وإبرام الإتفاقيات وتبادل التمثيل الدبلوماسي والقنصلي معها. وهكذا تمارس في داخل أراضيها بل وخارجها بصورة ما – سلطات الدولة المستقلة[1]. وقد تأسست جمهورية أذربيجان في عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) ثم اتحدت مع جمهورية روسيا خلال الفترة من عام ١٣٤١هـ إلى عام ١٣٥٥هـ (١٩٢٢–١٩٣٦م) إلى أن أصبحت جمهورية اتحادية في نطاق الإتحاد السوفيتي في عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م). وهناك مناطق تابعة لجمهورية أذربيجان الإتحادية تتمتع بالحكم الذاتي منها جمهورية ناخيتشفان ومقاطعة قره باخ.

وتقع أذربيجان في الجنوب الشرقي من قفقاسيا وهي تشرف على جزء كبير من الساحل الغربي الخزر (قزوين) وتمتد أراضيها داخله فيما يعرف بشبه جزيرة أبشيرون. وتبلغ مساحة أذربيجان ٨٦,٦٣٠كم٢ وتدخل في نطاق هذه المساحة أراضي مقاطعة قرهباخ ذات الحكم الذاتي (٤٤٠٠كم٢). وجمهورية أذربيجان تحيط بها من الغرب جمهورية أرمينية، ومن الشمال الغربي جمهورية جورجيا، ومن الشمال جمهورية داغستان وكل هذه من جمهوريات الإتحاد السوفيتي. ولأذربيجان حدود مشتركة مع إيران.

وعملة البلاد هي الروبل كسائر الإتحاد السوفيتي ويتكون من ١٠٠ كوبيك ويعادل الدولار الأمريكي ٧٦ كوبيك.

---

(١) انظر في الصيغة المركبة لدولة الإتحاد السوفيتي: عبد الحميد متولي: الأنظمة السياسية. فؤاد شبل: الدستور السوفيتي.

الإسلام في أذربيجان:

مضي المسلمون بعد هزيمة الفرس في فتح أراضي أرمينية وأذربيجان وبلغوا بلاد القفقاس عام ٢٢هـ (٦٤٤م) في خلافة عمر بن الخطاب، فقد نقل البلاذري عن المدائني رواية الزهري «لما هزم الله المشركين بنهاوند رجع الناس إلى أمصارهم وبقي أهل الكوفة مع حذيفة بن اليمان فغزا أذربيجان فصالحوه على مائة ألف». وروى الواقدي أن المغيرة بن شعبة غزا أذربيجان من الكوفة عام ٢٢هـ «ففتحها عنوة ووضع عليها الخراج. وروى ابن الكلبي عن أبي مخنف: أن المغيرة غزا أذربيجان سنة عشرين ففتحها ثم إنهم كفروا فغزاها الأشعث بن قيس الكندي... وصالحهم على صلح المغيرة، ومضي صلح الأشعث إلى اليوم». وروى البلاذري أيضاً أن «المغيرة بن شعبة قدم الكوفة والياً من قبل عمر بن الخطاب ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية أذربيجان فأنفذه إليه وهو بنهاوند أو بقربها فسار حتى أتي أردبيل وهي مدينة أذربيجان وبها مرزبانها وإليه جباية خراجها وكان المرزبان قد جمع إليه المقاتلة... فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً، ثم إن المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم وزن ثمانية على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبيه ولا يهدم بيت نار، ولا يعرض لأكراد البلاسجان... ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن في أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه. ثم إنه غزا موقان وجيلان فأوقع بهم وصالحهم على أتاوة». وروى المدائني أن الخليفة عمر استعمل عتبة بن فرقد السلمي على أذربيجان بعد حذيفة، فلما استخلف عثمان استعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي غزا أذربيجان حين نقض أهلها عام ٢٥هـ وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة. وذكر أن الوليد بن عقبة ولّى الأشعث بن قيس أذربيجان وأمده بجيش عظيم من أهل الكوفة لتأمين فتح أذربيجان «ففتحها على مثل صلح حذيفة وعتبة بن فرقد وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان وأمرهم **بدعاء الناس إلى الإسلام**. ثم تولّى سعيد بن العاص فغزا أهل أذربيجان فأوقع بأهل موقان وجيلان... ثم ولّى علي بن أبي طالب الأشعث أذربيجان، **فلما قدمها وجد أكثرها قد أسلموا وقرأوا القرآن، فأنزل أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب ومصّرها وبني مسجدها إلا أنه وسّع**

بعد ذلك... ولما نزلت العرب أذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصرين والشام وغلب كل قوم على ما أمكنهم، وابتاع بعضهم من العجم أرضين، وألجئت إليهم القرى للخفارة فصار أهلها مزارعين لهم...»[1]. كذلك غزا الوليد بن عقبة الديلم مما يلي قزوين وغزا أذربيجان وجيلان وموقان والبير والطيلسان ثم انصرف، وغزا بعده سعيد بن العاص الديلم «ومصّر قزوين فكانت ثغر أهل الكوفة وفيها بنيانهم». وفي خلافة عليّ بن أبي طالب روى عنه قوله للمسلمين «من كره منكم أن يقاتل معنا معاوية فليأخذ عطاءه وليخرج إلى الديلم فليقاتلهم». وقد ذكر البلاذري أن حصن قزوين «كان بالفارسية كشوين ومعناه الحدّ المنظور إليه أي المحفوظ، وبينه وبين الديلم جبل. ولم يزل فيه لأهل فارس مقاتلة من الأساورة يرابطون فيه فيدفعون الديلم إذا لم يكن بينهم هدنة ويحفظون بلدهم من متلصصيهم وغيرهم إذا جرى بينهم صلح»[2].

وقد وصلت فتوح المسلمين إلى مدينة باب الأبواب (دربنت حالياً وهي ثغر على بحر الخزر)، وشملت جميع بلاد شروان وجزءاً من الداغستان، كما شملت بلاد الأرمن والكرج وبلغ المسلمون بلنجر قاعدة الخزر. وغدت مدينة تفليس قاعدة الحكم الإسلامي في المنطقة بعد أن أمّن فتحها حبيب بن مسيلمة إذ وجهه لذلك معاوية بن أبي سفيان والي الشام والجزيرة في خلافة عثمان. واضطلع الولاة بدعوة الناس إلى الإسلام، وكان أول من دان به الكرج ثم أعقبهم الداغستان. واستمر انتشار الإسلام حتى بلغ قبرطاي ثم كوبا. وقد كانت المنازعات الداخلية التي تعرض لحكام المسلمين تؤثر على سير الفتوح بطبيعة الحال، وقد تتيح الفرصة للمتمردين والمنتقضين وبخاصة في تلك الجهات القاصية ذات الطبيعة الجبلية الوعرة. وفي خلافة هشام بن عبد الملك اضطلع مسلمة أخو الخليفة بتوطيد الحكم الإسلامي في تلك الديار التي كانت تدعى وقتذاك بالدربند، ووصلت فتوح المسلمين إلى بلاد الداغستان في عام ١٠٥هـ (٧٢٣م) «وصالح مسلمة أهل خيزان وأمر بحصنها فهدم واتخذ لنفسه ضياعاً وهي اليوم تعرف بخوزخيزان. وساله ملوك الجبال فصار إليه شروانشاه وطبرسرانشاه وفيلانشاه

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٢١-٣٢٥.
(٢) المصدر السابق ص ٣١٧-٣١٨.

وخدشانشاه... وصمد لمدينة الباب ففتحها وكان في قلعتها ألف أهل بيت من الخزر فحاصرهم... وأسكن مسلمة مدينة الباب والأبواب أربعة وعشرين ألفاً من أهل الشام على العطاء... وبنى هرياً للطعام وهرياً للشعر وخزانة للسلاح وأمر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرّفها. وكان مروان بن محمد مع مسلمة وواقع معه الخزر فأبلى وقاتل قتالاً شديداً». وقد ولى الثغر بعد ذلك مروان بن محمد فواصل الجهاد في بلاد الخزر «فأظهر عظيم الخزر الإسلام ووادع مروان على أن أقره في مملكته» وتابع مروان غزواته في أرض السرير وأرض زريكران وسلان وطبرسران واللكز وشروان «وجعل على صاحب شروان أن يكون في المقدمة إذا بدأ المسلمون بغزو الخزر وفي الساقه إذا رجعوا، وعلى فيلانشاه أن يغزو معهم فقط، وعلى طبرسرانشاه أن يكون في الساقه إذا بدأوا وفي المقدمة إذا انصرفوا»[1]. وقد أقيمت الثغور على بحر الخزر «قزوين» لتكون قواعد لحماية ديار الإسلام من جهة ومنطلقاً لنشر دعوته في تلك الأرجاء من جهة أخرى. وهكذا أصبح الحكم الإسلامي مستقراً بقفقاسيا في أواخر عهد الدولة الأموية. وإثر قيام الخلافة العباسية ولي المنصور يزيد بن أسيد السلمي أرمينية «ففتح باب اللان ورتب فيه رابطة من أهل الديوان ودوّخ الصناريه حتى أدوا الخراج فكتب إليه المنصور يأمره بمصاهرة ملك الخزر ففعل... وبعث يزيد إلى **نفّاطه أرض شروان** وملاحاتها فجباها...»[2].

الملامح الطبيعية:

تتكون أذربيجان من **هضبة مرتفعة** بصفة عامة تعتبر امتداداً لهضبة أرمينية في اتجاه الشرق. وتحف بهذه الهضبة **سلاسل جبلية عالية** هي جبال القفقاس في الجزء الشمالي الشرقي منها، وجبال أرمينية في الجزء الغربي، وجبال أذربيجان الايرانية في الجزء الجنوبي. أما **جبال القفقاس** فتمتد على شكل سلاسل جبلية متوازية من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي وتطل سفوحها الجنوبية على الهضبة فتواجه أشعة الشمس وتأمن الرياح الشمالية الشرقية الباردة وهكذا

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٠٩-٢١١.
(٢) المصدر السابق ص ٢١١-٢١٢.

تزدهر الحياة النباتية ولا سيما الأشجار المثمرة إذ يتمتع النبات بأشعة الشمس الدفيئة ويحتمي في الوقت نفسه من برد الشتاء. وتتخلل هذه السلاسل الجبلية أودية طولية تسير بمحاذاتها أو توجد فيما بينها، وهذه الأودية صالحة للزراعة والرعي خلال فصل الشتاء.

وتتخذ السلاسل الجبلية في أرمينية شكل الأقواس الجبلية التي تمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي وتتصل بجبال أذربيجان الإيرانية التي تتصل بدورها بسلاسل جبال البرز في شمال غربي إيران. وتزرع سفوح السلاسل الجبلية بالأشجار المثمرة، بينما تنمو الغابات الطبيعية على السفوح الوسطى، وتنمو الأعشاب صيفاً في المستويات العليا.

وتطل هضبة أذربيجان بحافتها العالية نسبياً على السهول الساحلية الشرقية المحاذية للسواحل الغربية لبحر الخزر (قزوين). وتمتد هذه السهول في بروز داخل بحر الخزر مكونة شبه جزيرة ابشيرون المشهورة بحقولها النفطية. وتنخفض السهول في الأجزاء الجنوبية فيما يعرف بمنخفض لنكوران المحصور بين البحر وبين جبال تاليش التي هي امتداد لجبال القوقاز. ويسمى المنخفض أيضاً بسهل تاليش وكانت تتخلله في كثير من جهاته المستنقعات والأدغال في الماضي غير أنه أمكن تحويل هذه الجهات إلى أرض زراعية منتجة.

وللأودية الطويلة في جبال القفقاس أهمية طبيعية وأخرى بشرية، فهي ممرات طبيعية لمجاري الأنهار مثلما هي منافذ سهلة لخطوط المواصلات التي تتبعها في اتجاهها من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي. كما أنها بيئات صالحة للزراعة والرعي وانتشار العمران. وأهم الأنهار التي تشق هذه الأودية نهر كورا الذي يجري على طول وادي كورا الواسع والمأهول بالسكان والعمران، وينحدر النهر بشدة نحو السهول الساحلية الشرقية التي يخترقها النهر في طرقه لمصبه في بحر الخزر. وقد قام النهر بتجديد شبابه خلال أواخر عصر البليوستوسين حين هبطت مستويات بحر الخزر والسهول الساحلية المطلة عليه. ونظراً لهبوط مستوى قاعدة النهر اضطر لتعميق مجراه بالحفر التراجعي وهذا يفسر مظهر النهر الخانقي وشدة انحداره. وقد أقيم سد على خانق النهر لتنظيم جريانه ودرء أخطار فيضانه الذي يحدث في فصل الربيع من كل عام نتيجة ذوبان الثلوج

فوق الجبال. وهكذا استفيد من المياه التي توفرت في البحيرة الإصطناعية وراء السد في ري البساتين والمزارع، كما استغلت مساقط المياه من فتحات جسم السد في توليد الطاقة الكهربائية التي زودت منطقة قفقاسيا كلها بشبكة من الخطوط الكهربائية. ويعد نهر أراس من أهم روافد نهر كورا وأطولها، ويلتقي النهران عند الطرف الشرقي للهضبة حيث تزدهر الزراعة على طول واديهما.

ويتفاوت مناخ أقاليم أذربيجان بين المنخفضات والمرتفعات، ففي الجهات المنخفضة كالسهول الساحلية وبخاصة سهل لنكوران ووادي كورا لا تتدني درجة الحرارة عن الصفر في الشتاء وتبلغ درجة الحرارة صيفاً في المعدل نحو ٢٥م° وتتراوح معدل كمية الأمطار السنوية ما بين ١٥٠ و٢٠٠ ملم في السنة. أما في إقليم المرتفعات فإن درجة الحرارة تهبط إلى ما دون درجة الصفر شتاء، وتصل في معدلها إلى ٢٠م° صيفاً، كما يتراوح معدّل كمية الأمطار السنوية بين ٥٠٠ و٧٥٠ ملم. وعلى العموم فإن المناخ في أذربيجان شبه مداري على طول سواحل بحر الخزر (قزوين) وشبه جاف في بقية الجهات المنخفضة، ويتميز بقوته في المرتفعات الجبلية ولا سيما في فصل الشتاء.

السكان:

تزايد عدد سكان أذربيجان من ٤,٢ مليون في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) إلى ٥,٥ مليون في عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) وإلى ٥,٦ مليون في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) وبلغ ٥,٧ مليون في عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م). وقد بلغ معدل الزيادة الطبيعية في عدد السكان خلال الفترة من (١٣٩٠، ١٣٩٥هـ (١٩٧٦م) وقد بلغ معدل الزيادة الطبيعية في عدد السكان خلال الفترة من ١٣٩٠ إلى ١٣٩٥هـ نحو ٢,١ سنوياً كما بلغت كثافة السكان ٦٤,٦ نسمة/كم^2. وترتفع الكثافة السكانية عن المعدل العام في بعض الجهات مثل الوادي الأوسط لنهر كورا وشبه جزيرة أبشيرون وسهل لنكوران.

وتعد باكو العاصمة من أكبر المدن في قفقاسيا عامة وأذربيجان خاصة وقد ازداد عدد سكانها من ٦٣٦,٠٠٠ نسمة في عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) إلى ١,٣ مليون في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م). وتقع باكو القديمة على مصب خليجي في الجانب الجنوبي لشبه جزيرة أبيشرون وموقع هذه النواة في الجهة الغربية من المدينة الحالية وترجع إلى القرن الثالث الهجري وهي تضم المباني السكنية والمحلات التجارية والمساجد والشوارع والأزقة ذات النمط الشرقي المتأثر بتخطيط المدن والعمارة الإسلامية. أما القسم الحديث من المدينة فإنه يضم المباني العصرية والمدارس الفنية وجامعة باكو وغيرها من المؤسسات. وتقوم في باكو مصانع كيماوية لصناعة المخصبات والمطاط وتوجد حولها آبار البترول ومصافيه الكبيرة وهي ميناء هام لتصدير البترول الخام. ومن المدن الهامة في أذربيجان كيروفباد التي يقدر عدد سكانها حالياً بنحو ١٥٠,٠٠٠ نسمة، ومدينة سمجيت (٧٠,٠٠٠ نسمة) ومدينة ناخيشفان (٣٥,٠٠٠ نسمة) ويقدر سكان المناطق الحضرية في أذربيجان بنحو ٤٠٪ من مجموع السكان ومن المتوقع أن ترتفع نسبتهم نتيجة إنشاء المدن والضواحي الجديدة التي يشملها التخطيط الإقليمي داخل البلاد.

وأهم العناصر القومية في أذربيجان **الأذربيجانيون** الذين تبلغ نسبتهم ٧٤٪ من مجموع السكان وهم تتار ينتسبون لعناصر تركية ومغولية، غير أن العناصر التركية من التتار هي السائدة إذ تبلغ حوالي ثلاثة أخماس السكان في أذربيجان. وإلى جانب الأذربيجانيين توجد عناصر أخرى تسكن أذربيجان منها **الروس** وتصل نسبتهم إلى ١٠٪ من مجموع السكان كما يؤلف **الأرمن** نفس النسبة (١٠٪) **والجورجيون** يؤلفون فقط ٣٪. وإلى جانب هؤلاء توجد **أقليات أخرى** تؤلف في مجموعها ٣٪ من السكان. وينتشر الأذربيجانيون في السهول، بينما تسكن الأقليات القومية في المدن بصفة خاصة، ويتركز الروس في باكو.

وتسود اللغة الأذربيجانية بين السكان وهي لغة تركية. أما اللغة الروسية فلها المرتبة الثانية في البلاد بعد الأذربيجانية. وإلى جانب ذلك تتكلم بعض الأقليات لغاتها كالأرمينية والجورجية. ويدين بالإسلام نحو ٧٨٪ من مجموع السكان في أذربيجان، وعنصر

الأذربيجانيين جميع أفراده مسلمون، بينهم من الشيعة نسبة لها اعتبارها. أما ديانات الأقليات فتأتي في مقدمتها المسيحية التي يعتنقها الأرمن والجورجيون، ثم تأتي أخيراً اليهودية ومعتنقوها فئة قليلة.

ويتولى الإشراف على أمور المسلمين الدينية في مناطق القفقاس مجلس منهم مقره مدينة باكو. وتقوم مجالس متشابهة في مناطق لجمع المسلمين الأخرى مثل طشقند (أوزبكستان) وأوفا (بشكيريا) وبوبناكسك (داغستان) ويرأس كل من هذه المجالس المفتي العام للمسلمين في المنطقة.

الاقتصاد :

أذربيجان بلد البترول والقطن، أي بلد الذهب الأسود والأبيض ويعبر عن هذا شعار جمهورية أذربيجان الذي يصور رافعة للزيت تحوطها لوزات القطن المتفتحة وقد تطور الإقتصاد والأذربيجاني خلال نصف القرن الأخير من اقتصاد رعوي بصفة أساسية إلى اقتصاد متعدد الأركان متين البنيان يقوم على البترول والصناعة إلى جانب الزراعة والرعي. وقد تغيرت المنطقة بفعل البترول فهي واحداً من أقدم حقوله في العالم وهي تسهم بنسبة ٩٪ من إنتاج البترول في الإتحاد السوفيتي. وتتركز الآبار في حقول تقع في شبه جزيرة أبشيرون وأخرى تقع في بعض الجزر القريبة في بحر الخزر (قزوين) وفي قاع البحر بالقرب من الشاطىء.

وقد انكمشت المساحات الرعوية التي كان يتحول التتار بقطعانهم من الأغنام خلالها في طول البلاد وعرضها في الماضي، إذ حولت مساحات واسعة منها إلى أراض زراعية تعتمد على نظام الري وإلى قرى مستحدثة للعمال، وأمسي الرعي مقصوراً على المناطق الوعرة التي لا تصلح للزراعة حيث يقوم الرعاة برحلتين خلال السنة إحداهما صيفية إلى قمم الجبال العالية والثانية شتوية إلى بطون الأودية وسفوح التلال حيث الدفء والأعشاب الغنية. وهكذا تطور المجتمع الأذربيجاني إلى مجتمع زراعي صناعي بالدرجة الأولى، فأذربيجان تجمع الآن بين كونها مركزاً للزراعة شبه المدارية، ومركزاً للصناعات الثقيلة تقوم فيها صناعات البترول والمخصبات

والآلات الزراعية والصناعات المعدنية والهندسية والكيماوية والكهربائية. وقد أعان على هذا النشاط الصناعي توفر الطاقة الهيدوكهربائية التي تستمد من سد نهر كورا وقد أفادت هذه الطاقة أيضاً منشآت الري وهناك ثلاث محطات كهربائية ضخمة تقع على طول نهر كورا وتعمل على رفع مياهه ونقلها خلال قنوات مائية لري الأراضي الزراعية الممتدة في وادي كورا وبذلك أصبح في الإمكان ري حوالي ٣٠,٠٠٠ هكتار من الأراضي الزراعية.

الزراعة والثروة الحيوانية:

تبلغ مساحة أراضي المحصولات الزراعية في أذربيجان حالياً ٢,٦ مليون هكتار أي حوالي ٣٠٪ من مجموع مساحة البلاد. وتبلغ الأراضي الزراعية المروية ١,٥ مليون هكتار وبذلك تمثل ١٧٪ من مجموع المساحة الزراعية. وقد بلغ عدد العاملين في الزراعة في عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) نحو ٤٨٢,٠٠٠ عامل، ويعمل هؤلاء العمال في ٩١٣ مزرعة جماعية بالإضافة إلى ٤٦٥ مزرعة تابعة للدولة.

وتشتمل أذربيجان على أراضي خصبة ومصادر مائية وافرة، لذا يتنوع الإنتاج الزراعي فيها وبخاصة بالنسبة للغلات شبه المدارية ويوضح الإحصاء الرسمي تطوّر إنتاج المحصولات الزراعية (بالألف طن) خلال الفترة ١٣٩٠-١٣٩٣هـ (١٩٧٠-٧٣م) على النحو التالي:

المحصول	١٣٩٠ هـ (٧٠ م)	١٣٩١ هـ (٧١ م)	١٣٩٢ هـ (٧٢ م)	١٣٩٣ هـ (٧٣ م)
الحبوب	٧٢١,٧	٦٠٩	٨٥٩	٨٧٠
القطن	٣٣٥,٤	٣٨٢	٤٣١	٤١٠
البطاطس	١٢٩,٨	٩١	١٠٢	١٣١
الخضر	٤٠٨,٨	٤١٩	٤٦٥,٩	٥٥٥

المحصول	١٣٩٠ هـ (٧٠ م)	١٣٩١ هـ (٧١ م)	١٣٩٢ هـ (٧٢ م)	١٣٩٣ هـ (٧٣ م)
الفواكه	١٥٧	٩٥	١١٥	١٣٤
العنب	٣٥٢	٣٢٢	٢٣٤,٦	٤٤٠
الشاي	٩,٨	١٠	١٠,٧	١١,٦
التبـــغ	٣١,٨	٣٣,١	٣٦	٣٨

ويتبين من الأرقام السالفة ما طرأ على إنتاج المحصولات الزراعية خلال السنوات الأخيرة، فباستثناء الفواكه تشير الأرقام الرسمية إلى زيادة سائر المحاصيل بشكل ملحوظ خلال فترة قصيرة ولعل اعتماد الأشجار المثمرة على الأمطار جعل إنتاجها من الفواكه متبايناً تبعاً لكمية الأمطار وإن كانت زراعة القمح والذرة في البلاد تعتمد أيضاً على المطر بصفة أساسية. وتنتشر بساتين الأشجار المثمرة على مدرجات الجبال وفي بطون الأودية والمناطق الساحلية لبحر الخزر ويعد العنب من أهم الفواكه التي تنتجها البلاد إذ حققت زراعته نجاحاً كبيراً. أما الحبوب فأهم ما يزرع منها القمح والذرة والأرز والأعلاف ويعتمد بعضها كالأرز والأعلاف على مياه الري المتوفرة في السهول والمنخفضات بينما يعتمد القمح والذرة على الأمطار بصفة أساسية، وقد أدخلت زراعة نوع مستحدث من القمح الشتوي وفير الغلة يتلاءم مع المناطق الجبلية.

ويتزايد بصورة مستمرة ومنتظمة إنتاج المحصولات التي تعتمد عليها الصناعة كالقطن والشاي والتبغ. وتنتج البلاد نوعاً ممتازاً من القطن طويل التيلة من النوع المعروف في مصر وأمريكا وتتركز زراعة هذا النوع في السهول والمنخفضات حيث يعتمد على مياه الري ولا سيما في السهول الوسطى. أما الشاي فتتركز زراعته في الجزء الجنوبي من ساحل بحر الخزر، أي في سهل لنكوران حيث الرطوبة أوفر وحيث تقوم إلى جانب مزارع الشاي بساتين الجمضيات وغيرها من الغلات شبه المدارية. ويمثل إنتاج أذربيجان من التبغ ١٧٪ من مجموع إنتاجه في الإتحاد السوفيتي. وتزرع أشجار التوت في شمالي البلاد لتربية دودة القز عليها وإنتاج الحرير،

وقد نجحت أذربيجان في تربية أنواع جديدة من دود القز تعطي ضعف ما تعطيه الأنواع العادية. وقد جففت المستنقعات على ساحل بحر الخزر وقامت محلها مزارع واسعة للتبغ والشاي وبساتين الفواكه ولا سيما التين والكمثرى والكرز والحمضيات.

وفي مجال الثروة الحيوانية تتنوع المراعي الطبيعية على قمم الجبال وفي بطون الأودية، ويعني السكان بتربية الحيوان، كما تنتشر زراعة الأعلاف لتربية الأبقار في مزارع خاصة بها أو ضمن مزارع عامة تشتمل على زراعات متعددة. وهكذا تنوعت الثروة الحيوانية ونمت، وجلبت سلالات جديدة من أغنام المارينو ذات الصوف الجيد، إلى جانب ما يوجد من قطعان الجاموس والبقر محدب الظهر والدواجن وغيرها.

ويذكر أنه في خلال الفترة ١٣٨٣ – ١٣٩٤هـ (١٩٦٣ – ١٩٧٤م) قد زاد عدد الماشية من ١.٤ مليون رأس إلى ١,٦ مليون، منها ٠,٦ مليون رأس من البقر. بينما تناقص عدد الخنازير من ١٨١,٠٠٠ رأس إلى ١٤٣,٠٠٠. أما الأغنام فقد زادت زيادة طفيفة من ٤,٩ مليون رأس إلى ٥ ملايين. وفي البلاد ١٢,٥ مليون من الدواجن.

وقد أنتجت أذربيجان من المنتجات الحيوانية في عام ١٣٩٣هـ (٧٣م) ما يزيد عن ١٠٤,٠٠٠ طن من اللحوم و٥٨٠,٠٠٠ طن من الحليب و٩,٢٠٠ طن من الصوف، كما أنتجت ٤٩٣ مليون بيضة.

التعدين والصناعة:

أذربيجان غنية بالبترول والغاز الطبيعي كما أنها غنية بالرواسب المعدنية المشتملة على خامات الحديد والبوكسايت والكروميوم والموليبدنوم والكوبلت والملح الصخري والرخام. لكن البترول هو أهم ثروة للأرض الأذربيجانية حيث بلغ إنتاجه في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) نحو ١٨,٣ مليون طن. كما بلغ إنتاج الغاز الطبيعي ٨٤٠٠ مليون م^3. وقد بدأ إنتاج البترول من حقوله الواقعة في شبه جزيرة أشيرون حول مدينة باكو منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وفي بداية القرن الحالي قدر إنتاج البترول من منطقة باكو بنصف إنتاجه في العالم، على الرغم من أن

الإنتاج كان قليلاً وقتذاك. وليس حقل باكو إلا جزءاً من منطقة بترولية عظيمة تمتد شمالاً إلى ما بعد حدود جمهورية أذربيجان. وتصدر كميات من البترول الخام بحراً إلى ميناء استراخان الواقع على مصب نهر الفولجا، ومن هناك يوزع بالسفن النهرية على معامل تكرير البترول المنتشرة في روسيا. كما يمتد خطان من الأنابيب لنقل البترول من باكو إلى باطوم على البحر الأسود، على أن كثيراً من هذا البترول الخام يصفى محلياً في موضع إنتاجه حيث توجد مصاف له حول باكو.

وتتنوع الصناعات في أذربيجان فتشمل منتجاتها الحديد والصلب والألومنيوم والآلات الثقيلة التي تتضمن المعدات والآلات اللازمة لاستخراج البترول وتكريره كما تشمل المنتجات البتروكيمائية (البلاستيك، المطاط، المخصبات، مبيدات الأعشاب والآفات، أنواع الطلاء)، ومواد البناء (مثل الإسمنت والزجاج والمواسير الإسمنتية)، والمنسوجات (القطنية والحريرية والصوفية).

وبالإضافة إلى إنتاج البترول والغاز الطبيعي، أنتجت أذربيجان في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) من الصلب ٧٨٩,٠٠٠ طن، ومن المخصبات ٧٥٣,٨٠٠ طن، ومن الإسمنت ١,٥ مليون طن، ومن المنسوجات القطنية ٩٧٦ مليون م^2، ومن المنسوجات الصوفية ١٢ مليون م^2، ومن المنسوجات الحريرية ٢٤,٥ مليون م^2، ومن القوة الكهربائية ١٣,٥٠٠ مليون كيلوات/ساعة. وتعد محطة مينجشاور الكهربائية التي تولد الطاقة من اندفاع نهر كورا من أكبر محطات الكهرباء المقامة على سد مينجشاور، وقد أصبحت مدينة مينجشاور من المراكز الصناعية الهامة التي تنتج الآلات الزراعية والكيماويات وقطع غيار الأجهزة الإذاعية وألياف النسيج الصناعية. وإلى جانب باكو ومينجشاور تقوم مراكز صناعية أخرى منها كيروفاباد المشهورة بالصناعات الغذائية، وستيباناكيرت، وناخيتشيفان، ولنكوران، وأخيراً سومجيت المشهورة بإنتاج المطاط الصناعي.

من معالم التقدم:

بلغت نسبة المتعلمين الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ سنوات و٤٩ سنة في جمهورية أذربيجان

نحو ٩٩.٦٪ وتدل أرقام الإحصاء الرسمي لعام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) على أن نسبة الذين واصلوا التعليم الثانوي أو العالي ممن يزيد سنهم على ٩ سنوات قد بلغت ٥٢,٥٪ من الأهلين. وذكر أن البلاد قد اشتملت في العام الدراسي ٩٣-١٣٩٤هـ (٧٣-١٩٧٤م) على ٤٧٩١ مدرسة ثانوية تضم ١,٦ مليون طالب إلى جانب ٧٧ معهداً ثانوياً متخصصاً تضم ٧٠,٠٠٠ طالب. كذلك يوجد في أذربيجان ١٥ جامعة ومعهد عال تضم ٩٨,٧٠٠ طالب.

وتوجد في جمهورية أذربيجان ١١٦ صحيفة، ويصل عدد نسخ الصحف اليومية إلى ٢,٤ مليون نسمة. وتصدر ٩٢ صحيفة باللغة الأذربيجانية، وبها يصدر مليون نسخة من الصحف اليومية. وإلى جانب ذلك تنشر في البلاد ١٥٠ دورية أخرى متنوعة، منها ٩٧ دورية باللغة الأذربيجانية، وعدد نسخها ٣١,٥ مليون. وتقوم مؤسسات للبحوث في مختلف المجالات العلمية يبلغ عددها ٢٥ مؤسسة تعمل تحت إشراف أكاديمية العلوم المحلية. وقد ذكر أن دار النشر التابعة للدولة قد نشرت مؤخراً في سنة واحدة مطبوعات تتناول ما يزيد عن ٣٥٠ موضوعاً في خمسة ملايين كتاب. كما ذكر أن بأذربيجان ٣٢٤٤ مكتبة تضم ٢٥,٣٢٣ كتاباً، وبها ٣٨ متحفاً و١٣ مسرحاً.

(٢٥) جمهورية اوزبكستان

تقع جمهورية أوزبكستان في الجزء الجنوبي الشرقي من الإتحاد السوفيتي، وهي إحدى الجمهوريات الإسلامية الإتحادية ضمن الجمهوريات الإتحادية الواقعة في الإتحاد السوفيتي والتي لها وضعها السياسي الخاص[1].

وتضم جمهورية أوزبكستان الحالية أراضي كانت تؤلف من قبل وحدات سياسية مختلفة منها: جمهورية كاراكلباكيا، وجزء من إمارة بخارى التي ضمتها الأمبراطورية الروسية إلى أراضيها مع إمارة سمرقند في عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م)، وقسم من خانية خوارزم التي كانت قد غدت جمهورية خوارزم، فضلاً عن مناطق أخرى. وقد أنشأ الإتحاد السوفيتي جمهورية أوزبكستان الحالية على أنقاض تلك الدويلات. وهي تشتمل الآن على أقاليم ذات حكم ذاتي هي: أنديزهان، بخارى، فرغانة، خوارزم، سمرقند، سورخان-دارنسك، طشقند، وذلك إلى جانب إقليم كاراكلباكيا الذي يكون جمهورية مستقلة ذاتياً عاصمتها مدينة نوكس. وقد أصبحت أوزبكستان جمهورية اتحادية في عام ١٣٤١هـ (١٩٢٤/١٠/٢٧م)، وتبلغ مساحتها ٤٤٧,٤٠٠كم٢.

ويلاحظ أن الروس قد خططوا حدود جمهورية أوزبكستان على نحو غريب، فقد اتخذت شكلاً طولياً ينفرج في شرقي البلاد على شكل قوس يحيط بجمهورية طاجيكستان. وقد ظلت سمرقند عاصمة للجمهورية منذ نشأتها حتى عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) حين نقلت العاصمة إلى طشقند إثر مقاومة أهل سمرقند تغيير الطابع الإسلامي لمدينتهم ومن ثمّ رأى الإتحاد السوفيتي أن طشقند قد تكون أطوع في هذا الصدد إذ يسكنها عدد من الروس يبلغون نحو نصف سكان المدينة. ولجمهورية أوزبكستان حدود مشتركة مع أفغانستان في الجنوب، لكنها محاطة بأقاليم سوفيتية من نواح أخرى متعددة، فإلى الشمال منها تقع قازاخستان، وفي الشرق تجاور قيرغيزيا، وتقع طاجيكستان في جنوبها وتركمانيا في جنوبها الغربي.

---

(١) انظر ما سبق عن ذلك في جمهورية اذربيجان.

وعملة البلاد هي الروبل الذي يسود الإتحاد السوفيتي كله ويتكون من ١٠٠ كوبيك. ويعادل الدولار الأمريكي ٧٦ كوبيك.

الإسلام في أوزبكستان وسائر أراضي التركستان (ما وراء النهر):

على أثر انتصار المسلمين الحاسم على الفرس في موقعة نهاوند، انساحت جيوش المسلمين في بلاد فارس، وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد أذن بذلك بعد نهيه عنه إذ اقتنع برأي الأحنف بن قيس في الانسياح[1]. وسار الأحنف نفسه على رأس جيش إلى مدينة هراه ثم إلى مرو، وبفتحها خلصت خراسان للمسلمين. وحين تولى عبدالله بن عامر البصرة سنة ٢٨هـ في خلافة عثمان بن عفان، غزا خراسان في عام ٣٠هـ وبعث على مقدمته الأحنف بن قيس. وواصل الأحنف فتوحه في الشرق ففتح طخارستان الولاية الكبيرة في أعالي نهر جيحون التي تعد جزءاً من أراضي جمهورية طاجيكستان الحالية الواقعة إلى الجنوب والشرق من جمهورية أوزبكستان، وقد «جمع أهل طخارستان للمسلمين، فاجتمع أهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم فبلغوا ثلاثين ألفاً، وجاءهم أهل الصغانيان وهم في الجانب الشرقي من النهر... والأحنف في خمسة آلاف من المسلمين: أربعة آلاف من العرب وألف من مسلمي العجم... وقاتل (الأحنف) قتالاً شديداً... ثم إن الله ضرب وجوه الكفار فقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً... وفتح الأحنف الطالقان صلحاً وفتح الفارياب، ثم سار الأحنف إلى بلخ وهي مدينة طخارى فصالحهم أهلها على أربعمائة ألف ويقال سبعمائة ألف... وقال أبو عبيدة: فتح ابن عامر ما دون النهر، **فلما بلغ أهل ما وراء النهر أمره طلبوا إليه أن يصالحهم ففعل...**». وكان للفتن الداخلية في دولة الإسلام أثرها في توقف الفتوح وانتقاض بعض الأطراف، ولما استقرّ الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ضم إلى عبدالله بن عامر خراسان مع البصرة. ثم تولى زياد بن أبي سفيان البصرة في عام ٤٥هـ، ففرّق عماله على أنحاء خراسان، فكان أمير بن أحمر عامله على مرو، وهو «**أول من أسكن العرب مرو**. ثم ولّى زياد (خراسان) الحكم بن عمرو الغفاري

(١) تاريخ الطبري: مطبعة الحسينية المصرية ج ٣ ص ٢١٢، ج ٤ ص ٢٩، ٦١، ٦٣، ١٩٥، ٢١٨.

وكان عفيفاً وله صحبة... فمات بها في سنة خمسين، **وكان الحكم أولّ من صلّى من وراء النهر**... قال عبدالله بن المبارك لرجل من أهل الصغانيان كان يطلب الحديث: أتدري من فتح بلادك؟ قال: لا، قال: فتحها الحكم بن عمرو الغفاري. ثم ولّى زياد الربيع بن زياد الحارثي في سنة إحدى وخمسين خراسان، **وحوّل معه من أهل المصرين (البصرة والكوفة) زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم... وأسكنهم دون النهر... ثم ولّى معاوية سعيد بن عثمان خراسان فقطع النهر، وكان أول من قطعه بجنده...**»[1]. وثمة روايات لليعقوبي وغيره تجعل أول من عبر نهر جيحون عبيدالله بن زياد في عام ٥٤هـ (٦٧٤م) أثناء ولايته خراسان في خلافة معاوية، ويذكر أنه حاصر بخارى ثم فتح بيكند التي تقع بين بخارى ونهر جيحون، وتبعد مسافة ٤٤ كم عن بخارى. وقد انتهى حصار بخارى بمصالحة أهلها للمسلمين. وأعقب ذلك عبور سعيد بن عثمان بن عفان عام ٥٥هـ (٦٧٥م) على حدّ قول أصحاب هذه الرواية[2]. ويذكر أن سعيد بن عثمان قد أغار على بخارى أيضاً، وكان أهلها قد تعاونوا مع أهل الصغد على محاربة المسلمين. وتقع بلاد الصغد بين مدينتي سمرقند وبخارى، ويخترقها نهر الصغد وعاصمتها سمرقند. وقد تجدد الصلح بين المسلمين وأهل بخارى إذا صحت رواية سبق الصلح على يد ابن زياد، كما أغار سعيد على سمرقند. ويبدو أن نكث بخارى قد تكرر، ومن هنا تتابعت الحملات عليها في أكثر من عهد وتكررت أخبار حصارها وفتحها واختلطت أحياناً. ويذكر من قواد الحملات على بخارى مسلم بن زياد بن أبي سفيان، ثم المهلب بن أبي صفرة. فإن الحجاج بن يوسف حين «ولى خراسان مع العراقين، ولّى خراسان المهلب بن أبي صفرة ويكني أبا سعيد سنة تسع وسبعين فغزا كثيرة وفتح الختل وقد انتقضت وفتح خجندة، فأدت إليه السفد الأتامرة، وغزاكش ونسف ورجع فمات بزاغول من مرو الروذ... وكان بدء علته الحزن على ابنه المغيرة بن المهلب، واستخلف المهلب ابنه يزيد فغزا مغازى كثيرة...»[3].

وعندما تولّى قتيبة بن مسلم الباهلي أمر خراسان عام ٨٨هـ دخلت فتوح الإسلام في بلاد ما وراء النهر مرحلة جديدة، وصلت فيها إلى الإستقرار. وقد عبر قتيبة النهر في المرحلة الأولى من

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٩٧-٤٠١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٨١ وانظر تاريخ الذهبي: تاريخ دول الإسلام ج ١ ص ٢٢ وقارن رواية البلاذري بما أورده ياقوت في معجم البلدان ج ٢ ص ٨٤ وما بعدها ج ٢ ص ٨٤ وما بعدها. ج ٥ ص ١٢٣.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٠٧.

جهاده (٨٣-٨٤هـ) واستطاع أن يستعيد طخارستان الدنيا وفي المرحلة الثانية (٨٧-٩٠هـ) فتح بخارى. ثم استطاع قتيبة في المرحلة الثالثة من جهاده المتواصل (٩٠-٩٣هـ) أن يثبت راية الإسلام في حوض نهر جيحون ويبسط نفوذ دولته على بلاد الصغد ثم توّج هذا البلاء المبين في المرحله الرابعة من جهاده (٩٤-٩٦هـ) بتوجيه الحملات إلى ولايات سيحون وتدعيم فتوح بخارى وبيكند وسمرقند عاصمة الصغد ومدّ النفوذ الإسلامي إلى كش وفرغانة والشاش (طشقند). وهكذا تواصلت غزوات قتيبة المظفرة طيلة أربعة عشر عاماً «فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ فعبروا معه النهر، فأتاه حين عبر النهر ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب وأعطاه الطاعة ودعاه إلى نزول بلاده... وأتي قتيبة ملك كفيان بنحو ما أتاه به ملك الصغانيان... فانصرف قتيبة إلى مرو وخلف أخاه صالحاً على ما وراء النهر، ففتح صالح كاسان وأورشت وهي من فرغانة، وكان نصر بن سيار معه في جيشه... وأرسل ملك الجوزجان إلى قتيبة فصالحه على أن يأتيه فصار إليه... ثم غزا قتيبة بيكند سنة سبع وثمانين وهي أدني مدائن بخارى إلى النهر، واستنصروا السغد فقاتلهم وأغار عليهم وحصرهم فطلبوا الصلح ففتحها عنوة... وغزا قتيبة بخارى ففتحها على صلح... فأوقع قتيبة بالسفر وافتتح كش ونسف... وغزا قتيبة سمرقند... وفتح عامة الشاش وبلغ اسبيجاب»[1]. وقد انتقضت بخارى على قتيبة ثلاث مرات، لكن استقر أمر الإسلام فيها حين دخلها قتيبة في المرة الرابعة، وبني أول مسجد في بخارى عام ٩٤هـ، ويعدّ هذا المسجد ومنارته من أهم الآثار الإسلامية في بخارى الآن. وقد واصل ذلك القائد المجاهد مسيرته حتي فتح مدينة كاشغر وقارب تخوم الصين وفقاً لبعض الروايات. ومن المؤسف حقاً أن عصفت بتلك المنجزات وبقتيبة المجاهد نفسه الأهواء والأحقاد حين تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك عام ٩٧هـ. ولعلّ أبرز ما حققه ذلك الفاتح المجاهد فتح بخارى وسمرقند فتحاً دائماً مستقراً حتي صارتا بعدئذ من ديار الإسلام وقواعد حضارته. ومن روائع عدالة الإسلام الدولية وتجاوز مثالية شريعته في الحرب كل تصور ما روي من أن الخليفة عمر بن عبد العزيز «لما استخلف وفد عليه قوم من أهل سمرقند، فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر. **فكتب عمر إلى عامله أن ينصب**

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٠٩-٤١١.

لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا، فإن قضي بإخراج المسلمين أخرجوا. فنصب لهم جميع بن حاضر الباجي، **فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء.** فكره أهل سمرقند الحرب وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم»[1]. فلا عجب أن يؤدي هذا العدل الذي لم تسمع به الدنيا قط إلا من المسلمين، إلى انتشار الإسلام بين الناس فيما وراء النهر ودخولهم في دين الله أفواجاً. وقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز «إلى ملوك ما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم بعضهم... ورفع عمر الخراج عمّن أسلم بخراسان، وفرض لمن أسلم، وابتني الخانات. ثم بلغ عمر عن الجراح (بن عبدالله الحكمي والي خراسان) عصبية وكتب إليه (إلى الخليفة) أنه لا يصلح أهل خراسان إلا السيف، فأنكر ذلك وعزله...». وكان لعدالة الحكم الإسلامي ورعايته لحقوق الناس وعمارته للبلاد آثارها في انتشار الإسلام، ويذكر أن أهل ما وراء النهر سارعوا إلى الإسلام في خلافة هشام بن عبد الملك.[2]

الملامح الطبيعية:

تؤلف سفوح جبال تيان شان والبامير الجزء الجنوبي من أوزبكستان، وهي تنحدر من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. وفي وسط البلاد وشماليها تمتد سهول كيزيل كوم (الرمال الحمراء) وهي سهول شبه صحراوية فسيحة تغطي الكثبان الرملية معظمها. ويعود تاريخ هذه السهول جيولوجيا إلى الزمن الأول عندما تكونت التواءات هرسينية خفيفة تعرضت في العصور الجيولوجية اللاحقة للنحت والتعرية فأحالها ذلك إلى سهول تحاتية مرتفعة، تغطت أصول الجبال الإلتوائية فيها خلال عصري البليوستوسين والهولوسين بالرواسب الرملية في غالب الأحوال، باستثناء بعض التلال التي بقيت ظاهرة على سطح الأرض حتي يومنا هذا في وسط السهول وعلى طول الحدود الشرقية لجمهورية أوزبكستان. وتؤلف سهول طوران الجزء الشمالي من أوزبكستان وتشرف هذه السهول على بحر آرال حيث تمتد جنوبي البحر وغربيه ثم تدخل في أراضي إقليم كاراكلباكيا.

(١) المصدر السابق ص ٤١١.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤١٥-٤١٧.

وقد تعرضت سفوح الجبال في الجنوب من أوزبكستان إلى تقطيع الأودية النهرية لها فأحالتها إلى إقليم ذي مظهر جبلي. ففي الجزء الجنوبي الشرقي تجري بعض الروافد والمجاري العليا لنهر سيحون في اتجاه عام من الشرق إلى الغرب، وقد كونت هذه بعض الأودية مثل وادي فرغانة ووادي طشقند. كما ينحدر نهر زيرافشان من جبال آلاي متجهاً نحو الغرب، حيث تقع عليه مدينة سمرقند، وينتهي إلى سهول واحة بخارى. هذا ويجري الجزء الأدنى من نهر جيحون داخل أراضي أوزبكستان، ويصب في جنوب بحر آرال بدلتا كبيرة نسبياً.

ويمكن أن نميز بين **إقليمين مناخيين** داخل أوزبكستان أحدهما إقليم الأسبتس في المناطق المرتفعة في جنوبي البلاد وجنوبها الشرقي، والثاني إقليم شبه صحراوي في الوسط والشمال. فالجهات الجبلية مناخها معتدل بارد عموماً وإن كان بردها يشتد شتاء، ويقارب متوسط أمطارها ٣٥٠ ملم في السنة. أما الجهات شبه الصحراوية فإنها ذات مناخ قاري متطرف جاف. وتسود حشائش الاسبتس الجهات الجبلية وعلى طول الأودية النهرية ودالاتها، بينما تنتشر النباتات شبه الصحراوية في بقية البلاد.

السكان والعمران :

في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) بلغ عدد سكان أوزبكستان ٩,٦٥٥,٠٠٠ نسمة، وكانت كثافتهم ٢١,٥ نسمة/كم٢. وفي عام ١٣٩٥هـ (١٩٦٥م) أصبح عدد السكان ١٣,٦٩٥,٠٠٠ نسمة، أي أن كثافتهم زادت إلى ٣٠,٦ نسمة/كم٢. وقد انخفض معدل الزيادة الطبيعية للسكان من ٣,٤٪ في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) إلى ٢,٧٪ في عام ١٣٩٣هـ (١٩٦٣م). وتتفاوت كثافة السكان داخل أوزبكستان فهي مرتفعة في مناطق الواحات والأودية النهرية حيث تتراوح ما بين ١٥٠ و٣٠٠ نسمة/كم٢، وهي متوسطة في المناطق المرتفعة الجنوبية (٧٥–١٢٥ نسمة/كم٢) وتكون الكثافة منخفضة جداً في بقية البلاد حيث تتراوح ما بين ١ و٥ نسمة/كم٢.

ويتكون السكان من عناصر مختلفة أكبرها الأوزبك (٦٥,٥٪ من مجموع السكان) ثم يليهم الروس (١٢,٥٪)، والتتار (٤,٩٪)، والقازاخ (٤٪)، والطاجيك (٣,٨٪)، والكاراكلباك (٢,٥٪). ويتركز الأوزبك في الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من البلاد، بينما يتركز الكاراكلباك في جمهوريتهم ذات الحكم الذاتي التابعة لجمهورية أوزبكستان والواقعة في منطقة جنوبي بحر آرال. وينتشر الروس في معظم المدن وبخاصة العاصمة طشقند. ويتكلم الأوزبك لغة تركية قريبة من لغة الترك العثمانيين ولغة الترك الأذربيجانيين وهي اللغة الرسمية للجمهورية وتنتشر إلى جانبها اللغة الروسية، بينما تتكلم باقي الفئات باللغات الخاصة بها.

وأكثر من ٨٨٪ من السكان مسلمون من أهل السنة، وجميع الأوزبك مسلمون. وطشقند هي مقر المجلس الإسلامي الأعلى الذي يشرف على شئون المسلمين في جمهوريات التركستان الإسلامية، ويترأس هذا المجلس المفتي ضياء الدين باباخانوف، وهو يشارك عادة في المؤتمرات الإسلامية ممثلاً لمسلمي الإتحاد السوفيتي ومنها جلسات المؤتمر الخامس لدول العالم الإسلامي الذي عقد في بغداد عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م).

وقد ارتفعت نسبة سكان المدن إلى مجموع سكان البلاد في السنوات الأخيرة من الثلث إلى الخُمْسَيْنْ، وقد نجمت الزيادة في سكان المدن عن حركة التصنيع بها وما صاحبها من هجرة داخلية من الريف إلى المدينة.

وأهم المدن **طشقند** العاصمة التي زاد عدد سكانها من مليون نسمة في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) إلى ١,٦ مليون نسمة في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م). وتقع طشقند على رافد لنهر سيحون بالقرب من حدود قازاخستان، وتمتد خلفها المرتفعات الجبلية الإلتوائية، لذا يكثر حدوث الزلازل في المدينة بسبب حداثة تكوينات الجبال وعدم استقرار المنطقة. ولطشقند أهميتها التاريخية كمركز للثقافة الإسلامية فضلاً عن أنها ظلت لفترة طويلة خلال العصور الوسطى محطة على طريق التجارة بين الصين والعالم الغربي، وقد امتلأت أسواقها ببضائع الشرق، وازدهرت المدينة لمناشطها المتعددة من إدارية وتجارية وثقافية وزراعية وغير ذلك.

المعدنية والصناعية قد اتجه إلى الزيادة بين عامي ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) و١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) فارتفع إنتاج الصلب من ٣٨٩,٠٠٠ طن إلى ٤٠٣,٠٠٠ طن ، وارتفع إنتاج الفحم من ٣,٧ مليون طن إلى ٤,٢ مليون طن ، لكن إنتاج البترول هبط من ١,٨ مليون إلى ١,٣ مليون طن . أما إنتاج الغاز الطبيعي فقد زاد من ٣٢,١٠٠ مليون م^{٣} إلى ٣٧,١٠٠ مليون م^{٣} ، كما زاد إنتاج الكهرباء من ١٨,٣٠٠ كيلوات/ساعة إلى ٢٦,٢٠٠ مليون كيلوات/ساعة . وفي عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) بلغ إنتاج البلاد من الجرارات ١٩,١٠٠ جرار ، ومن النسيج القطني ١٧٤ مليون م^{٢} . ومن النسيج الحريري ٧٢ مليون م^{٢} .

وتقوم صناعات أخرى في البلاد كالإسمنت وتكرير النحاس والأسمدة المعدنية والأحذية والنبيذ والبلاستيك والملابس والأدوات المنزلية والآلات الزراعية والصناعات الغذائية وأجهزة استخراج البترول وتكريره والمحركات والمحولات والمكبرات وأجهزة الصوت للسينما وأدوات الراديو والمصابيح الكهربائية والأدوات الدقيقة .

من معالم التقدم :

بلغت أطوال السكك الحديدية في أوزبكستان نحو ١٦٨٠كم ، وأطوال الطرق البرية ٢٨,٦٠٠كم ، منها ١١,٢٠٠كم صلبة السطح . كما بلغت أطوال الخطوط الملاحية النهرية ١٢٠٠كم . وقد بدأت الملاحة الجوية تؤدي خدماتها الداخلية بين المدن الكبيرة داخل الجمهورية من جهة ، وبين طشقند ومدن الإتحاد السوفيتي من جهة أخرى .

ولا تزال في بخارى مدرسة دينية إسلامية . ويذكر أن ثمة اتفاقات قائمة للتبادل الثقافي بين جامعة طشقند من جهة والجامعات العربية والإسلامية من جهة أخرى وبخاصة فيما يتعلق باللغة العربية والدراسات الإسلامية . وتشير الإحصاءات إلى أن نسبة المتعلمين بين الذين تبلغ أعمارهم من ٩ إلى ٤٩ سنة تبلغ ٩٩.٧٪ وإلى أن ٥٣,٨ من سكان أوزبكستان الذين يزيد عمرهم عن ٩ سنوات يحملون شهادة المرحلة الثانوية أو الشهادة الجامعية .

كما تشير الإحصاءات إلى أن البلاد كانت تحتوي في العام الدراسي ١٣٩٣-١٣٩٤هـ

(١٩٧٣م-١٩٧٤م) على ٩٦٠٠ مدرسة ثانوية تضم ١٧٢,٢٠٠ طالب ، وكانت تحتوي أيضاً على ١٧٧ مدرسة ثانوية متخصصة تضم ١٧٢,٢٠٠ طالب . وقد كان في البلاد ٤٠ جامعة ومعهداً عالياً تضم ٢٣٣,٤٠٠ طالب . وهناك معهد للطب يضم ٦٠ قسماً من أقسام التخصص ، كما يوجد معهد تقني ومعاهد للري والهندسة والآلات الزراعية وغير ذلك . وفي عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) أنشئت في أوزبكستان أكاديمية وطنية للعلوم ، تتبعها مؤسسات للبحوث عددها ٢٦ ، وينتمي إليها ١٠٥ من الأكاديميين ، إلى جانب ٣١١٢ من العلماء . وفي البلاد ٥٤٤٨ مكتبة تضم ٢٦,٦ مليون كتاب ، وفيها أيضاً ٢٢ متحفاً تشتمل على كثير من روائع التراث الإسلامي . كما يوجد بالبلاد ٢٤ مسرحاً .

ويصدر في البلاد ٢٣٠ صحيفة منها ١٤٤ صحيفة تنشر باللغة الأوزبكية ، كما ينشر ١٢٤ من الدوريات المتنوعة منها ٣١ باللغة الأوزبكية . وقد بلغ مجموع الكتب التي صدرت عن دور النشر في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) ١٨٨٩ كتاباً منها ٩٣٦ كتاب باللغة الأوزبكية .

وفي مجال الصحة بلغ مجموع الأطباء في البلاد ٢٥,٠٠٠ طبيباً ، وعدد أسرة المستشفيات ١٠٠,٠٠٠ سرير ، بالإضافة إلى ٦٥,٠٠٠ سرير مخصص للأطفال في مستشفيات الولادة . ويتخرج مئات من الأطباء سنوياً من كليات الطب ومعاهده في البلاد .

(٢٦) جمهورية طاجيكستان

هي إحدى الجمهوريات الإسلامية الإتحادية الستة ، التي تدرج بين الجمهوريات الإتحادية الخمس عشرة في الإتحاد السوفيتي[١] . وتقع جمهورية طاجيكستان في وسط آسية بين دائرتي العرض ٣٦َ٤٠ْ و٣٩َ٤٠ْ شمالاً . ويمتد منها نتوء نحو الشمال الغربي إلى دائرة العرض ٤١ْ شمالاً . يشتمل على جزء من وادي فرغانة يقع في أعالي نهر سيحون (سرداريا) . وتبلغ مساحة طاجيكستان ١٤٣,١٠٠كم٢ ، ويحدها من الشرق إقليم التركستان الصيني ، ومن الشمال جمهورية قرغيزيا ، ومن الغرب والشمال جمهورية أوزبكستان . ويمثل المجرى الأعلى لنهر جيحون (أمودارياً) الحدود بين طاجيكستان وأفغانستان . ويعتبر الإقليم الإداري جورنو-باداخشان المتمتع بالحكم الذاتي تابعاً لجمهورية طاجيكستان . ويشتمل هذا الإقليم على كتلة البامير ، ويشترك في حدوده مع الصين وأفغانستان وتبلغ مساحته ٦٣,٧٠٠كم٢ ، وعدد سكانه ١٠٠,٠٠٠ نسمة . وقد حصلت جمهورية طاجيكستان على استقلالها الذاتي في عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤/١٠/١٤م) وصارت جمهورية اتحادية في عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩/١٠/١٦م) . وعملة البلاد هي الروبل كسائر الإتحاد السوفيتي من ١٠٠ كوبيك ، ويعادل الدولار الأمريكي ٧٦ كوبيك .

الإسلام في طاجيكستان :

أنظر ما سبق عن الإسلام في أوزبكستان .

معالم سطح الأرض :

يتكون سطح الأرض في جمهورية طاجيكستان من كتلة جبلية مرتفعة تصل إلى أقصى ارتفاعها في الجزء الشرقي من البلاد حيث تقوم هضبة البامير التي تدعى سقف العالم . وتتلاقى

(١) أنظر ما سبق عن وضع «الجمهوريات الإتحادية» في الإتحاد السوفيتي في صدر الحديث عن «جمهورية قرغيزيا» .

فوق الهضبة مجموعة من السلاسل الجبلية في عقدة البامير وتتفرع منها صوب اتجاهات مختلفة ، وأهم هذه السلاسل تيان شان وهندوكوش وقره قورم والهيملايا . وتشتمل جبال تيان شان على أعلى قمة جبلية في الإتحاد السوفيتي وقد دعيت قمة ستالين (٧٤٩٥م) ، كما تشتمل أيضاً على قمة لينين (٧١٣٤م) وعلى عدد من القمم العالية الأخرى . وتغطي هذه القمم بالثلوج طوال العام وتنحدر منها بعض الأودية الجليدية (الثلاجات) التي تجري على مستويات تقع فوق خط الثلج الدائم ، وأهم هذه الثلاجات ثلاجة فيشنكو التي تعد من أطول الثلاجات في العالم (١٠٥كم) .

وتدخل معظم أراضي جمهورية طاجيكستان في الحوض الأعلى لنهر جيحون (أمودارياً) حيث تتخلل البلاد مجموعة من الأودية العميقة التي تمتد بين الشرق والغرب وترفد نهر جيحون . وتفيض هذه الأودية بالمياه في الربيع وأوائل الصيف عندما تأخذ الثلوج في الذوبان . أما النتوء الشمالي من البلاد فإنه يدخل في وادي فرغانة وحوض سيحون (سرداريا) . وتتفاوت الصورة المناخية تبعاً لمستويات الإرتفاع ، فالجهات العالية جداً باردة معظم أيام السنة وهي تغطى بالثلج الدائم وتنمو فوقها الأعشاب الألبية القصيرة ، والجهات متوسطة الإرتفاع (١٥٠٠-٣٠٠٠م) تتعرض للصقيع الدائم في فصل الشتاء بينما تعتدل حرارتها نسبياً في الصيف (١٠ْم) ، ويزيد متوسط كمية الأمطار التي تسقط عليها عن ٥٠٠ ملم في السنة وتنمو بها الحشائش المعتدلة وبعض الأشجار . أما الأجزاء المنخفضة نسبياً وكذلك الأودية فإنها باردة شتاء (٤ْم) وحارة جافة صيفاً (٣٠ْم) ، ولا تزيد أمطارها السنوية عن ٢٥٠ ملم ، والحياة النباتية فيها مقصورة على الأعشاب الشوكية .

السكان والعمران :

قدر عدد سكان طاجيكستان في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) بحوالي ٢,٣ مليون نسمة ، وقدر عددهم في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) بحوالي ٣,٣٨٥,٠٠٠ نسمة . وتبلغ كثافتهم ٢٣,٦ نسمة/كم٢ . وترتفع كثافة السكان عن المعدل العام في الجزء الجنوبي الغربي من البلاد ، وكذلك في وادي فرغانة نظراً لتوفّر مصادر المياه ولانخفاض الأرض نسبياً وقلة وعورتها .

فالسكان أقرب إلى التركز في السهول بعامة وفي المدن بخاصة ، بينما يقلون في المناطق الجبلية حتى أن الكثافة في مطقة البامير تنقص كثيراً عن ١٠ نسمة/كم٢ . وقد بلغ معدل الزيادة الطبيعية للسكان خلال الفترة ١٣٨٠-١٣٩٣هـ نحو ٢,٨٪ سنوياً . ومن ثم يُتوقع أن يكون عدد سكان طاجيكستان قد وصل الآن إلى ٣,٤ مليون نسمة .

والطاجيك أكبر العناصر السكانية في البلاد ، إذ يمثلون ٥٦,٢٪ من مجموع السكان ، ومن هنا كانت تسمية البلاد باسم بلاد الطاجيك أ طاجيكستان . وينتمي الطاجيك من الناحية العرقية إلى سلالات خليطة من الإيرانيين والترك ، وهم زراع مسلمون ، يشغلون كل القسم الغربي والشمالي الغربي من البلاد المعروف بفرغانة كما يشغلون الجزء الغربي من إقليم البامير . ويتكلم الطاجيك لغة خليطة من التركية والفارسية . وتنتشر عناصر الطاجيك في عدة أقطار في المنطقة ، فبالإضافة إلى طاجيك الإتحاد آلسوفيتي يوجد طاجيك التركستان الصينية في الشرق ، كما يوجد طاجيك أفغانستان وباكستان إلى الجنوب .

ويمثل **الأوزبك** ٢٣٪ من سكان طاجيكستان ، ويسكن معظمهم في الجزء الشمالي الغربي من البلاد . أما **الروس** فهم يزيدون على عشر السكان (١١,٩٪) ويتركز معظمهم في المدن . ويبلغ التتار ٢,٤٪ من السكان ، ويتركز معظمهم في الجزء الشرقي من البامير . وثمة عناصر أخرى تؤلف بقية السكان أهمها الأوكرانيون والقرغيز .

وتصل نسبة المسلمين في طاجيكستان إلى ٩٨٪ من مجموع السكان . وأكثرهم من الشيعة ، بينما نجد أكثر سكان إقليم التركستان في مجموعه من أهل السنّة . ويوجد في طاجيكستان ما يقارب من ١٠٠,٠٠٠ إسماعيلي يعيشون في هضبة البامير ويدينون بالزعامة الروحية لأغاخان وخلفائه .

وعاصمة جمهورية طاجيكستان هي دوشانبي (دو شانب) وتقع على نهر سورخان داريا في غربي البلاد ، وهي مدينة حديثة النشأة عمرها أقل من نصف قرن ، وكانت حتى فترة قريبة تعرف باسم ستالين أباد . ويحيط بالعاصمة إقليم زراعي وصناعي ، إذ يزرع القطن في الأودية

التي حولها ، كما يزرع قصب السكر والفواكه والجوت . كذلك قامت فيها صناعات مختلفة على بعض الغلات الزراعية مثل الصناعات القطنية ، وتجفيف الفواكه والنبيذ ، وتعليب اللحوم ، والإسمنت . وقد بلغ عدد سكان العاصمة وفقاً لإحصاء عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) ٤٣٦,٠٠٠ نسمة .

ومن مدن الجمهورية الهامة مدينة لينين أباد الواقعة على نهر سيحون في المدخل الغربي لوادي فرغانة ، وهي إحدى المدن القديمة التي نشأت على الطرق الصحراوية التي كانت تصل بين الصين وداخل آسية ، وتشتهر بالصناعات الخفيفة والصناعات الغذائية . ويقدر عدد سكانها بنحو ١٥٠,٠٠٠ نسمة . وهناك مدن أخرى أهمها كولياب الواقعة في منطقة زراعية منخفضة السطح ، ثم مدينة خوروج الواقعة في البامير المرتفعة على الحدود الجنوبية مع أفغانستان وهي عاصمة إقليم جورنو باداخشان المستقل ذاتياً والتابع لطاجيكستان .

الاقتصاد :

يقوم اقتصاد طاجيكستان على الزراعة والرعي والصناعة . فالحرفة الرئيسية للسكان هي الزراعة وتربية الحيوان . ويزرع القطن وقصب السكر وأنواع الفواكه والحبوب بعامة والأرز بخاصة . كما تقوم بالبلاد صناعات ثقيلة تعتمد على رواسب الخامات المعدنية والطاقة الهيدروكهربية . وأهم صادرات البلاد القطن والحرير والفواكه المجففة والرصاص والزنك .

الزراعة والثروة الحيوانية :

بلغ مجموع العاملين في الزراعة في عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) نحو ٣٤٠,٠٠٠ عامل ، يعملون في ٢٥١ مزرعة جماعية إلى جانب ١٢٣ مزرعة تابعة للدولة . وتزيد مساحة الأراضي االزراعية في طاجيكستان عن مليون هكتار . وقد نفذت في السنوات الأخيرة مشروعات كبيرة للري أتاحت السبيل إلى تكثيف الزراعة بوجه عام وزراعة بعض المحصولات شبه المدارية بوجه خاص . وتمتدّ في البلاد شبكة من قنوات الري تزيد في أطوالها عن ٥٠,٠٠٠كم ، كما تستخدم

احدث أساليب الزراعة بما يتناسب مع طبيعة الأرض وظروف المناخ. وقد أعان تقدم الري على نجاح زراعة بعض المحصولات كالقطن والخضر والجوت وبنجر السكر وقصب السكر وبذور الزيت بالإضافة إلى محصولات الحبوب كالقمح والأرز والذرة. ويذكر الإحصاء الرسمي إنتاج المحصولات الزراعية (بالألف طن) على الوجه التالي:

المحصول	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٣٩٣هـ ١٩٧٣م	المحصول	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٣٩٣هـ ١٩٧٣م
الحبوب	١٦٦	٢٢٠	٢٣٠	البطاطس	٣١	٦٧	٩٥
الأرز	١٠	٢٧	٣٢	الفواكه	٨٤	١٤٦	١٨٥
القطن	٣٩٩	٧٢٧	٨٠٥	العنب	٤٤	٩٥	١٠٩
الخضر	٤٩	١٩٧	٢٣٦				

ويدل الإحصاء على تزايد كبير مستمر في الإنتاج الزراعي ويذكر أن محطات التجارب الزراعية قد نجحت في تهجين عشرات الأنواع من الحبوب والخضر والفواكه. وإدخال البذور المحسنة وفيرة الغلة، وتعميمها على المزارعين. وهكذا ارتفعت الكفاءة الإنتاجية، وكان للإنسان دوره الأساسي في ذلك بعد توجيهه بوسائل الإرشاد والتدريب على أداء مختلف أعمال الزراعة بكفاءة.

وقد نمت الثروة الحيوانية أيضاً نتيجة استعمال الأساليب الحديثة في الري، ويذكر أن عدد رؤوس الماشية التي يربيها السكان قد ارتفع من ٦٨٣,٠٠٠ في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) إلى ١,١ مليون في عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) وتضاعف عدد الأبقار خلال الفترة نفسها من ٢٦٤,٠٠٠ إلى ٤١٢,٠٠٠ رأس، وزادت الأغنام من ٢١٨٣ إلى ٢٧٧٧ رأس. ومن ثم زادت المنتجات الحيوانية، وقد بلغت الزيادة خلال نفس المدة في إنتاج اللحوم من ٤٧,٠٠٠ طن إلى ٧٤,٠٠٠ طن وفي إنتاج الحليب من ٢٠٣,٠٠٠ طن إلى ٣٥١,٠٠٠ طن، وفي إنتاج البيض من ٩١ مليون إلى ١٨٧ مليون بيضة. وفي إنتاج الصوف من ٤٦٠ طن إلى ٥٣٠ طن.

التعدين والصناعة:

اكتشفت في جمهورية طاجيكستان معادن متنوعة أهمها الفحم والبترول والغاز الطبيعي والرصاص والزنك والتنجستن والذهب والفضة. ونمت صناعة حديثة في البلاد أهم مجالاتها المنسوجات القطنية والمواد الغذائية والتعدين والهندسة الكهربائية والصناعات الكيميائية. وقد قامت في العاصمة مصانع لإنتاج الجرارات وقطع غيار السيارات والمنسوجات القطنية والحريرية والصوفية. وتشير الإحصاءات الرسمية إلى تقدم الصناعة بسرعة خلال السنوات الأخيرة، فبين عامي ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) بلغت زيادة الإنتاج في البترول من ١٨١,٠٠٠ طن إلى ٢٢٦,٠٠٠ طن، وفي الغاز الطبيعي من ٣٨٨ مليون م^3 إلى ٥٢٠ مليون م^3، وفي الكهرباء من ٣١٤٥ مليون كيلوات/ساعة إلى ٣٧٧٩ مليون كيلوات/ساعة، وفي الفحم من ٨٨٧,٠٠٠ طن إلى ٩٠٠,٠٠٠ طن، وفي الإسمنت من ٨٧٢,٠٠٠ طن إلى ٩٧٥,٠٠٠ طن، وفي المخصبات من ٢٥٢,٠٠٠ طن إلى ٣٧٣,٠٠٠ طن، وفي المنسوجات القطنية من ٧٥ مليون م^2 إلى ٨٥ مليون م^2، وفي المنسوجات الحريرية من ٤٠ مليون م^2 إلى ٤٦ مليون م^2.

من معالم التقدم:

تدل الإحصاءات الرسمية على أن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة بين سكان البلاد الذين يتراوح سنهم بين ٤٩,٩ سنة تبلغ نحو ٩٩,٦٪. كما أن نسبة المواطنين الذين يحملون الشهادة الثانوية أو الجامعية ممن يزيد سنهم عن ٩ سنوات تبلغ ٤٩٪، أي أقل قليلاً من نصف مجموع السكان. وخلال العام الدراسي ١٣٩٣/١٣٩٤هـ (١٩٧٣/١٩٧٤م) كان في البلاد ٣٢٠٠ مدرسة ثانوية تضم ٨٨٥,٠٠٠ طالب و٣٩ مدرسة ثانوية متخصصة تضم ٣٧,٤٠٠ طالب. كما كانت هناك ٩ جامعات ومعاهد عالية تضم ٤٧,٦٠٠ طالب، وفي طاجيكستان أكاديمية للعلوم تتبعها من مؤسسات البحوث ١٦ وهذه تضم ٤١ أكاديمياً و٨٨٨ عالماً. وتوجد في أنحاء البلاد ١٠٥٥ مكتبة تحتوي على ٩,٨٦٢,٠٠٠ كتاب، كما يوجد بها ٥ متاحف و٩

مسارح وتنشر في البلاد ٦٠ صحيفة منها ٥٠ تصدر بلغة الطاجيك. كما تنشر ٤٨ دورية متنوعة منها ١٦ بلغة الطاجيك. وقد نشر في خلال عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م): ٦٤٥ كتاب منها ٣٢٥ بلغة الطاجيك. وتقوم في طاجيكستان أعلى محطة إرصاد في العالم تعتلي جبال البامير. كذلك تشتمل البلاد على ١٥٠ مستشفى بها آلاف الأسرة. بمعدل سرير واحد لكل ١٠٠ شخص وقد بلغ مجموع أطوال الطرق فيها حوالي ١٧٠٠كم.

(٢٧) جمهورية تركمانيا (تركمانستان)

جمهورية إسلامية اتحادية في الإتحاد السوفيتي[1]، استولى الروس على القسم الأكبر منها إثر الحرب التركمانية ١٢٩٧-١٢٩٨هـ (١٨٧٩-١٨٨٠م) ولكن جنوبي شرقي البلاد لم يخضع للروس حتى عام ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) وقد أصبحت ضمن الجمهوريات الإتحادية الخمس عشرة في الإتحاد السوفيتي منذ عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م). وهي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من آسيا الوسطى بين دائرتي العرض ٣٥° و٤٥° شمالاً، وتمتد أراضيها الجنوبية في بروز صغير نحو الجنوب بين الأراضي الأفغانية والإيرانية، وهو بروز يمثل أقصى امتداد للإتحاد السوفيتي نحو الجنوب. ويحد تركمانيا من الشمال جمهورية قازاخستان، ومن الشمال الشرقي جمهورية أوزبكستان، ومن الجنوب الشرقي أفغانستان، ومن الجنوب إيران، ومن الغرب بحر الخزر (قزوين). وتبلغ مساحتها ٤٨٨,١٠٠ كم^2، وتشغل أربعة أخماس مساحتها صحراء قره‌قورم وحدها.

الإسلام في تركمانيا:

أنظر ما سبق عن الإسلام في أوزبكستان.

المعالم الطبيعية:

تتكون الأراضي التركمانية من هضبة تنحدر بصفة عامة من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. ويظهر الجزء الجنوبي من الهضبة على شكل مرتفعات جبلية متوسطة الإرتفاع (٧٠٠م في المعدّل) بفعل تقطيع الأودية النهرية لهذا الجزء. وأهم ما يجتازه من أنهار نهران ينبعان من الجبال القائمة في شمال أفغانستان ويتجهان بصفة عامة نحو الشمال إلى أن ينتهيا بدالات مروحية في صحراء قره‌قورم، والنهر الأول هو نهر هاري مورغاب الذي تقع عليه مدن مرو وبيرام على

(١) انظر ما سبق عن وضع «الجمهورية الإتحادية» في الإتحاد السوفيتي في صدر الحديث عن «جمهورية اذربيجان».

ومورغاب ، أما النهر الثاني فهو نهر تادزهن (هاري رود) الذي يكون جزءاً من حدود إيران في شمالها الشرقي ، ويستمر في سيره شمالاً داخل الصحراء لمسافة ١٥٠كم. ويخترق جزء من نهر جيحون الطرف الجنوبي الشرقي من تركمانيا ، منحدراً عبر الهضبة بمحاذاة الحدود مع جمهورية أوزبكستان ، ثم يدخل أراضي أوزبكستان في مجراه الأدنى قبيل مصبه في بحر آرال.

وتمتد سلاسل جبال كوبت داغ بين الهضبة وبحر الخزر (قزوين) متجهة من الجنوب الشرقي صوب الشمال الغربي وهي تمثل الحدود بين تركمانيا وإيران وتقع هذه الجبال الإلتوائية في الأراضي الإيرانية وتمثل حواف مرتفعة لهضبة إيران ، وتتشعب بعض سفوحها في تركمانيا فتبدو على شكل شريط ضيق في منطقة الحدود. ويظهر امتداد جبلي لهذه السلاسل في الطرف الجنوبي لبحر الخزر (قزوين) حيث ترتفع أعلى قمة هناك إلى ١٨٨٠م.

أما صحراء قره قورم (الرمال السوداء) فتمتد على شكل سهول فسيحة مغطاة بالكثبان الرملية ، وتمثل امتداداً طبيعياً للهضبة الجنوبية ومنطقة استقبال لرواسب الرياح والماء. ويتراوح ارتفاع هذه الصحراء بين ١٠٠ و٢٠٠م فوق سطح البحر ، وإن كانت تنخفض دون سطح البحر في الجزء الشمالي الشرقي منها قرب نهر جيحون في بحر آرال ، حيث توجد بعض المستنقعات. كما ينخفض منسوب الأرض عن سطح البحر أيضاً في السواحل الشرقية لبحر الخزر (قزوين).

ومناخ تركمانيا صحراوي قاري متطرف ، وتتراوح درجة الحرارة في النصف الشمالي من البلاد ما بين دون الصفر شتاء و٨م صيفاً. ولسواحل بحر الخزر ميزة الدفء النسبي شتاء بسبب انخفاضها عن سطح البحر ، كما أن للمرتفعات الجبلية في الأطراف الجنوبية من البلاد ميزة الإعتدال النسبي صيفاً بسبب ارتفاعها. وهذه المرتفعات متميزة أيضاً في حظها من المطر فهي تتلقى سنوياً ٢٥٠ ملم في المعدل في حين يقل معدل المطر عن ١٠٠ ملم سنوياً في سائر أنحاء البلاد ، لذلك تسود حشائش الاستبس القصيرة على المرتفعات الجنوبية ، بينما تسود الحشائش الشوكية الصحراوية والملحية سائر البلاد.

السكان والعمران :

قدر عدد سكان تركمانيا بحوالي ١,٧٧٥,٠٠٠ نسمة في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) وقدر عددهم في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) بحوالي ٢,٤٩٥,٠٠٠ نسمة ، أي أن عددهم يعد من أقل أعداد السكان في جمهوريات آسيا الوسطى. وقد انخفض معدل الزيادة الطبيعية للسكان من ٣,٦٪ في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) إلى ٢,٧٪ في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) وتعد كثافة السكان في تركمانيا من أقل الكثافات السكانية في الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفيتي. وإن كانت هذه الكثافة قد ارتفعت من ٣,٦ نسمة/كم^2 في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) إلى ٥,١ نسمة/كم^2 في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م). والواقع أن السكان في صحراء قره قورم نادرون ، وبذا تكاد تخلو ٨٠٪ من مساحة البلاد من السكان ، بينما تكتظ بهم الأودية النهرية والواحات. ويتخذ توزيع المعمور من الأرض والمأهول بالسكان تارة شكل قطاعات طولية تساير الأودية النهرية وتارة أخرى شكل بقاع متناثرة تبعاً للواحات ، ثم شكل أشرطة متقطعة بالسفوح في الجبال تارة ثالثة. وبصفة عامة يتركز المعمور في الأطراف الجنوبية الشرقية والجنوبية والجنوبية الغربية من تركمانيا ، أي بالقرب من مناطق الحدود مع أفغانستان وإيران حيث كانت تقوم في تلك المنطقة بلاد خراسان المعروفة في العهود الإسلامية وكانت مدينة مرو عاصمة لها. ومن أمثلة الجهات كثيفة السكان وادي جيحون (أموداريا) ووادي مورغاب ، وواحات خورزم وتادرهن وأتراك وعشق آباد وسفوح جبال كوبت داغ في منطقة الحدود مع إيران. وتصل كثافة السكان في هذه المناطق إلى ٣٠٠٪ نسمة/كم^2. وبالرغم من ندرة الكثافة السكانية في المناطق الصحراوية الجافة ، إلا أن اكتشاف الرواسب المعدنية الغنية في بعض أجزاء هذه المناطق بالإضافة إلى حفر قناة تركمانيا التي تربط بين نهر جيحون وبحر الخزر عبر الصحراء قد أديا إلى قيام التجمعات الإستيطانية حتى في أكثر الجهات جفافاً.

وعناصر التركمان هي أكثر عناصر السكان عدداً في البلاد ، إذ تمثل ثلثي مجموع السكان أو ٦٥,٦٪ منهم وتتكون عناصر التركمان من ست قبائل كبيرة استقرت في الأودية النهرية على الساحل الشرقي لبحر الخزر بعد أن كانت في الماضي تتجول بقطعانها في طول البلاد وعرضها.

ويمارس معظم التركمان الآن الزراعة ، وهم يتكلمون لغة تركية تنتسب إلى مجموعة اللغات التركية الجنوبية الغربية ، كما يدينون بالإسلام . ويمثل الروس ١٤,٥٪ من مجموع السكان ، ويتركزون في ميناء كرازنوفودسك على بحر الخزر وفي بعض الأخرى . كما يمثل الأوزبك ٨,٣٪ من مجموع السكان ، والقازاخ ٣,٢٪ . بينما ينتظم السكان عناصر مختلفة أخرى منها التتار والأرمن والأوكرانيين .

وأكثر من ٩٠٪ من سكان تركمانيا مسلمون من أهل السنة . وقد أخرجت هذه البلاد فقهاء وأسهم أهلها في الدعوة للإسلام وتثبيت دعائمه في تلك الأرجاء وفي بناء صرح الحضارة الإسلامية . وقد قدم للبلاد أعداء من الروس والأوكرانيين للعمل في المشروعات التي أقيمت فيها مما عرض للتناقص نسبة التركمان والمسلمين إلى مجموع السكان في تركمانيا .

وأهم مدن البلاد عاصمتها عشق أباد (آشخباد) التي بلغ عدد سكانها في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) نحو ٢٠٧,٠٠٠ نسمة ، ثم تزايد إلى ٢٨٩,٠٠٠ نسمة في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) وإلى نحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمة حالياً . وتقع العاصمة على الخط الحديدي بين سمرقند وكراسنوفودسك ، بالقرب من واحة تجتازها مجموعة من المجاري المائية المنحدرة من جبال كوبت داغ ، ومن ثمَّ تكثر الحدائق والبساتين حولها وعلى طول المسافة بين سفوح الجبال والمدينة . وقد زاد من أهمية موقعها الجغرافي نشأتها عند الخط الفاصل بين البيئتين الجبلية والسهلية من جهة ، وفي منطقة تمثل جافة إنتقالية بين الزراعة والصحراء من جهة ثانية . وقد أسهم مرور قناة قره قورم خلال إقليم المدينة في جعلها مركزاً زراعياً هاماً ، بالإضافة إلى أهمية مركزها التجاري في ملتقى خطوط مواصلات عديدة .

وهناك مدن هامة أخرى بالبلاد مثل مدينة تشارجو الواقعة على نهر جيحون في ملتقى خطوط السكك الحديدية ، وهي تجمع على هذا النحو بين أهمية الموضع والموقع حيث تغلب على المنطقة الوظيفتان الزراعية والتجارية وتليهما الوظيفة الصناعية ، وتنمو المدينة بسرعة حيث بلغ عدد سكانها الآن حوالي ١٥٠,٠٠٠ نسمة . وهناك مدينة مرو وتقع في وسط واحة جميلة

فتحوط المدينة مزارع القطن وأشجار الفواكه التي ترويها مياه نهر مورغاب . وبالإضافة إلى أهمية موضع المدينة فإن موقعها هام أيضاً حيث تقع عند الخط الفاصل بين المناطق الصحراوية شمالاً والمناطق الزراعية جنوباً ، كما أنها تقع على الخط الحديدي بين عشق أباد وبخارى . وكانت مدينة مرو قاعدة خراسان في العهود الإسلامية ومقر واليها . وقد دافع عنها سكانها دفاع الأبطال ضد الإحتلال الروسي لها في عام ١٢٩٩هـ (١٨٨١م) ثم قام الروس بعد استيلائهم عليها بتخريبها انتقاماً من سكانها وأقاموا مكانها مدينة جديدة سميت بيرام علي ، كما أقاموا على مسافة ٣٠كم إلى الغرب منها مدينة مرو الحالية التي تعرف باسم الجنة القديمة . وتشتهر المدينة بمنتجاتها الزراعية وبسجادها الفاخر ، ويصدر رقم كبير من هذه المنتجات . ويبلغ عدد سكان مرو ٦٥,٠٠٠ نسمة . ويقع ميناء كرازنوفودسك على الساحل الشرقي لبحر الخزر (قزوين) حيث ينتهي الخط الحديدي القادم من سمرقند والمار في الجزء الجنوبي من البلاد ، وحيث تصب قناة تركمانيا التي تربط نهر جيحون ببحر الخزر مجتازة في طريقها صحراء قره قورم . وتقع المدينة في وسط واحة خصبة مشهورة بالفواكه وبخاصة العنب . ويكثر فيها الروس والأوكرانيون الذين قدموا للعمل في مشروعات الصناعات الثقيلة والغذائية والمنسوجات في الإقليم . وقد تقدم التصنيع في تركمانيا إلى تزايد نسبة سكان المدن إلى مجموع السكان من ٣٣٪ في عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) إلى ٥٠٪ في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) ثم إلى ٦٠٪ من مجموع السكان حالياً .

الاقتصاد :

يقوم اقتصاد تركمانيا على الزراعة بصفة أساسية ، وتمثل زراعة القطن المحصول الرئيسي النقدي في البلاد . كما أصبحت الصناعة مؤخراً دعامة قوية للاقتصاد الوطني .

الزراعة والثروة الحيوانية :

تطورت الزراعة خلال نصف القرن الماضي نتيجة التوسع في مشروعات الري ، وتذكر الإحصاءات الرسمية أن مساحة الأرض الزراعية كانت لا تتجاوز ٣٥٠,٠٠٠ هكتار قبل قيام جمهورية تركمانيا الإتحادية ، وقد بلغت ٤٦٠,٠٠٠ هكتار في عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) ثم

٥٦٠,٠٠٠ هكتار في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) كما يتوقع أن تصل إلى ٦٠٠,٠٠٠ هكتار في عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م). وقد جاء تزايد مساحة الأرض الزراعية نتيجة لتنفيذ مشروعات الري في هذا البلد الصحراوي الجاف، إذ أقيمت الخزانات المائية على الأنهار، كما حفرت القنوات العديدة التي تستمد مياهها من قناتين رئيسيتين إحداهما قناة تركمانيا في الشمال وهي تربط نهر جيحون ببحر الخزر، والثانية قناة قره قورم في الجنوب وتأخذ مياهها من نهر جيحون وتسير غرباً حتى العاصمة عشق أباد، وتملك تركمانيا أكبر شبكات الري وأحدثها في شتى أنحاء التركستان. ومن المقرر أن يكون العمل قد انتهى في عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) من تنفيذ المرحلة الرابعة في مشروع قناة قره قورم. وكانت المرحلة الأولى من القناة قد انجزت في عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) بحفر مسافة ٤١٠كم في الصحراء، ثم تتابعت مراحل المشروع حتى غدا طول القناة عند انتهاء المرحلة الرابعة ٨٥٠كم. وهي تستمد مياهها من نهر جيحون وتسير غرباً حتى العاصمة عشق أباد، فتزودها هي والإقليم الذي تتوسطه بالمياه، كما تروي الأراضي الزراعية وتيسّر السبيل لري مساحة تبلغ ١٦٠,٠٠٠ هكتار من الأراضي الصحراوية وأراضي الواحات التي تجتازها في طريقها مثل واحتي المورغاب وتادزهن. ومن المنتظر أن تمتد القناة في المرحلة الخامسة إلى محطة أرجمان وبذلك يصل طولها في نهاية المشروع إلى ٥١٢٠كم. ويتراوح اتساع القناة بين ٣٠ و٤٥٠م ويبلغ تصريفها ١٥٠م٣ في الثانية. وقد أدى تنفيذ المشروع إلى مضاعفة كميات المياه المتاحة في الجزء الجنوبي من تركمانيا، وتزايدت المساحة المحصولية بنسبة ٥٠٪ عما كانت عليه قبل حفر القناة، وتحولت الصحراء إلى شريط مستطيل أخضر من مزارع القطن وبساتين الفاكهة والكروم. وإلى جانب استعمال القناة لري المزارع وتزويد المدن بمياه الشرب، فإنها تستخدم في الملاحة أيضاً حيث تسيّر فيها مراكب صغيرة وبذلك تعين القناة على النقل داخل الجمهورية وخارجها، وهكذا يمكن نقل القطن وغيره من المواد الخام من أوزبكستان إلى تركمانيا ومنها إلى وسط روسيا، كما تنقل الحبوب والمنتجات الصناعية من روسيا إلى تركمانيا وإلى أوزبكستان.

وقد بلغ عدد العاملين في الزراعة في عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) نحو ٢٩٤,٠٠٠ عامل يشتغلون في ٣٣٠ مزرعة جماعية بالإضافة إلى ٥٥ مزرعة تابعة للدولة. وتشير الإحصاءات

الرسمية إلى تزايد إنتاج المحصولات الزراعية بصورة ملحوظة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية، نتيجة لتوسع المساحة المزروعة أفقياً ورأسياً واستخدام أساليب الزراعة الحديثة. وتبين هذه الإحصاءات إنتاج المحصولات الزراعية خلال الفترة من ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) إلى ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) على النحو التالي:

المحصول	الانتاج بالالف طن ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٣٩٣هـ ١٩٧٣م	المحصول	الانتاج بالالف طن ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٣٩٣هـ ١٩٧٣م
الحبوب	١٩	٨٢	٢٧	الخضر	٦٨	١٥٠	١٩٠
الأرز	٠٫١	١٥٫٣	٢٠	الفواكه	٢٨	٥٧	٣٥
القطن	٣٦٣	٨٦٨	١٠٠٧٫٥	العنب	٢٤	٣٦	٥٥
البطاطس	٥	١٣	١٢				

ويمثل القطن العمود الفقري للزراعة وإحدى الدعائم الإقتصادية الأساسية للبلاد. ويشغل القطن أكثر من نصف المساحة المخصصة للزراعة فهو على قمة المحصولات الزراعية. وقد نجحت زراعة القطن طويل التيلة في أودية مورغاب وتادزهن وأتراك، وتقوم عليه صناعة المنسوجات والملابس القطنية من النوع الجيد، وتحتل الخضر المرتبة الثانية بعد القطن من ناحية الإنتاج. وتتركز زراعتها في الواحات ولا سيما واحة عشق أباد، ويُعدّ القمح والأرز والذرة من المحصولات الهامة في مجموعة الحبوب وتستخدم الذرة كعلف للحيوانات إلى جانب البرسيم، أما القمح فإنه يزرع في القطاعات الجافة من مناطق عشق أباد ومرو وتشارجو. وتتركز زراعة الفواكه في الجزء الجنوبي الغربي من تركمانيا وأهمها العنب والبلح والتين والبطيخ والشمام والرمان والليمون.

كذلك يُعنى بتنمية الثروة الحيوانية في البلاد ويذكر أن بين عامي ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) و١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) قد زاد عدد رؤوس الماشية فيها من ٣٦٥,٠٠٠ إلى ٤٨٩,٠٠٠ بينما

تناقص عدد الأغنام من ٤.٦ مليون رأس إلى ٤.٣ مليون رأس، كما يذكر أنه بين عامي ١٣٨٠ و١٣٩٣هـ (١٩٦٠-١٩٧٣م) وقد زاد إنتاج اللحوم في البلاد من ٥١,٠٠٠ طن إلى ٦١,٠٠٠ طن، وزاد الإنتاج في الحليب من ١٢٦,٠٠٠ طن إلى ٢١٨,٠٠٠ طن، وفي البيض من ٤٦ مليون بيضة إلى ١٤٩ مليون بيضة لكن تناقص إنتاج الصوف من ١٦,٠٠٠ طن إلى ١٤,٠٠٠ طن.

الثروة المعدنية والصناعة:

البترول هو الثروة الأساسية لتركمانيا، وهي تنتج الغاز الطبيعي أيضاً. ويستخرج الكبريت والفحم والمغنيسيوم والملح ومعادن أخرى من صحراء قره قورم. وتدين المدينة الصحراوية نبيت‌داغ القريبة من بحر الخزر بقيامها بوجود البترول بالقرب منها. وتقوم الصناعات الكيميائية والصناعات الأخرى على الخامات المنتجة محلياً. ومن الصناعات التي اتسع نطاقها صناعة المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية، وصناعة المواد الغذائية. ويعد إنتاج الآلات من أحدث فروع الصناعة الثقيلة في تركمانيا، وهي تنتج الآلات الهندسية و(البلدوزرات) والجرارات وآلات الحصاد والمعدات والأوهزة الكهربائية.

وتصدر الإحصاءات تزايد الإنتاج الصناعي في تركمانيا خلال فترة قصيرة تمتد بين عامي ١٣٩٠ و١٣٩٣هـ (١٩٧٠-١٩٧٣م) فقد زاد الإنتاج في البترول خلال هذه الفترة من ١٤,٤ مليون طن إلى ١٦,١ مليون طن، وفي الغاز الطبيعي من ١٣,١٠٧ مليون م^3 إلى ٢٨,٦٤٥ مليون م^3 وفي الإسمنت من ٤٥٠,٠٠٠ طن إلى ٥٣٤,٠٠٠ طن، وفي الأقمشة القطنية من ١٧ مليون م^2 إلى ٢٠ مليون م^2، ومن المراكز الصناعية الهامة في البلاد عشق أباد ومرو وتشارجو وكركيش. وتشتهر مرو بسجادها الفاخر، كما تشتهر عشق أباد بصناعات متعددة مثل حلج القطن ونسجه ونسج الحرير وصناعة الزجاج والصناعات الغذائية والنبيذ.

من معالم التقدم:

يبلغ مجموع أطوال الطرق التي تخترق أنحاء تركمانيا ٩٠٠٠كم، وقد نظمت خدمة للسيارات بين عشق أباد ومشهد من إيران. أما الخطوط الحديدية فيبلغ مجموع أطوالها ٢٥٠٠كم. كذلك توجد خطوط ملاحية داخلية طولها ١٠٠٠ كم، كما تربط خطوط جوية داخلية بين المدن الرئيسية.

وفي تركمانيا ٥٠٠٠ طبيب، وتوفّر مستشفياتها ٢٥,٠٠٠ سرير للمرضي. كما يتوفر ١٨,٠٠٠ سرير للأطفال ملحقة بمستشفيات الولادة. وبالبلاد أيضاً ١٠٠ مركز للوقاية الصحية.

ويذكر أن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة بين الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ سنوات و٤٩ سنة في تركمانيا قد بلغت نحو ٩٩,٥٪. كما بلغت نسبة الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية أو الشهادة الجامعية بين الذين يزيد سنهم عن ٩ سنوات نحو ٤٩,٦٪. وقد كانت البلاد في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) تشتمل على ١٨٠٠ مدرسة ثانوية تضم ٦٣٤,٠٠٠ طالب، و٣٠ مدرسة ثانوية متخصصة تضم ٢٨,٣٠٠ طالب كما كان بها ٦ جامعات ومعاهد عالية تضم ٢٩,٦٠٠ طالب. وفي عشق أباد معهد طبي يعمل على تلبية حاجة البلاد من الأطباء. وقد أنشئت أكاديمية للعلوم يتبعها عدد من المعاهد العلمية ومؤسسات البحوث يبلغ ١٦ معهداً ومؤسسة، يعمل فيها ٣٧ من الأكاديميين و٦٥٤ من العلماء. ويوجد فرع لهذه الأكاديمية في كراسنوفودسك كما توجد بها جامعة تركمانيا.

(٢٨) جمهورية قازاخستان

إحدى الجمهوريات الإسلامية الإتحادية في الإتحاد السوفيتي[1] منذ عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)، وكانت قد حصلت قبل ذلك على استقلالها الذاتي كجمهورية في نطاق الإتحاد عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م). وتقع في وسط آسيا وتبلغ مساحتها ٢,٧١٧,٣٠٠ كم٢ وتشمل الأراضي المحصورة بين نهر الفولجا وبحر الخزر (قزوين) غرباً وجبال الطاي شرقاً، وكذلك الأراضي الواقعة بين سهول سيبيريا شمالاً وصحاري وسط آسيا جنوباً. تحيط بها الجمهوريات الإسلامية التركستانية (أوزبكستان، وتركمانيا، وقرغيزيا) من الجنوب، كما تكتنفها جمهورية روسيا الإتحادية من الشمال، وتجاورها الصين من الشرق. وقد هيّأ هذا الإمتداد الواسع لقازاخستان أن تحتل المرتبة الثانية في المساحة بين أقالين الإتحاد السوفيتي بعد روسيا، كما وجه إليها أنظار المسئولين لإقامة محطة بيكونر في قلب منطقة الاستبس بها لإطلاق سفن الفضاء السوفيتية منها. وعملة البلاد هي الروبل كما في سائر الإتحاد السوفيتي ويتكون من ١٠٠ كوبيك، ويعادل الدولار الأمريكي ٧٦ كوبيك.

الإسلام في قازاخستان:

أنظر ما سبق عن «الإسلام في أوزبكستان».

المعالم الطبيعية:

تتنوع المظاهر الطبيعية في جمهورية قازاخستان تنوعاً واضحاً، إذ يمتد إقليم السهوب في شماليها بأراضيه المتموجة والسهلية، وبأمطاره القليلة، وأعشابه القصيرة. ويمثل إقليم السهوب المدخل إلى سهول سيبيريا في الشمال، كما أنه يمثل قاعدة صالحة للإنتشار منها إلى الأقاليم الأخرى.

---

(١) انظر ما سبق عن وضع «جمهورية الإتحادية» في الإتحاد السوفيتي في صدر الحديث عن «جمهورية أذربيجان».

ويتكون الإقليم الأوسط من أراض تتوالى فيها السهول والروابي والتلال، فهي أقرب إلى التموج منها إلى الإنبساط، ويمثل الإقليم منطقة انتقال بين سهوب الشمال ومرتفعات الجنوب حيث تمتد المرتفعات الجنوبية بسفوحها التلية إلى هذا الإقليم.

ويتكون إقليم جنوبي البلاد وشرقيها من هضبة قازاخ التي هي امتداد واستمرار لهضاب آسيا الوسطى التي عرفناها في جمهوريات التركستان الأخرى. وتتخلل هذه الهضبة العالية سلاسل جبلية أهمها تيان شان في الجنوب والطاي في الشرق، وبين هاتين السلسلتين توجد مجموعة من البحيرات أكبرها بحيرة بلخاش التي تعتبر المصرف الداخلي لمجموعة من الأودية الصغيرة المنحدرة من الجبال العالية. وينبع من جبال الطاي نهر ارتيش، ويجري واديه في حوض طولي بين المرتفعات الجبلية وهو يمر خلال جريانه نحو الشمال في منطقة منبسطة من الأرض تقع في أقصى الشمال الشرقي من البلاد، ويرفد في النهاية نهر أوب الذي يجري في سيبيريا متجهاً إلى مصبه في المحيط المتجمد الشمالي. وينبع نهر سيحون من جبال تيان شان في الجنوب، ويجري في أرض قرغيزيا من الشرق نحو الغرب، ثم ينحني نحو الشمال فيدخل قازاخستان ويجري موازياً للحافة الغربية من هضبة قازاخ، مجتازاً أراضي منبسطة صحراوية تنحدر تدريجياً نحو الشمال الغربي، ثم يصب في بحر آرال. وهناك نهيرات صغيرة أخرى تنحدر من المرتفعات الجبلية في الجنوب نحو الإقليم الأوسط أو نحو بحر آرال ولكن لا تستطيع مياهها القليلة مواصلة سيرها فتفيض على رمال الصحراء المنبسطة في الأراضي المنخفضة الواقعة إلى الشرق والشمال من بحر آرال. وإلى الشمال من الحوض الداخلي لبحر آرال، يوجد حوض داخلي آخر يشغله نهر تورجاي وروافده.

أما الإقليم الغربي من قازاخستان فيتكون من سهول وأراض منخفضة تحيط بشمال بحر الخزر (قزوين) وشرقه. وتعرف هذه الأراضي في الشمال بمنخفض قزوين حيث تنخفض حوالي ٢٥م عن سطح البحر، وتنتشر فيها الكثبان الرملية والمستنقعات. ويجري في هذا الإقليم نهر أورال الذي ينبع من السفوح الجنوبية لجبال أورال ويتجه نحو الجنوب فيصب في بحر قزوين، كما يجري نهر أمبا الذي ينبع من السفوح الجنوبية لجبال أورال أيضاً ويتجه نحو الغرب فيصب في

بحر قزوين. وفي جنوب غربي قازاخستان توجد هضبة أوست يورت المنخفضة التي تفصل بين حوضي بحر الخزر (قزوين) وبحر آرال.

ويمكن القول أن مناخ قازاخستان قاري متطرف، وهو في إقليم السهوب الشمالية والإقليم الأوسط جاف، ويشتد الجفاف في مناطق الأحواض الداخلية لبحيرة بلخاش وبحر آرال وبحر الخزر (بحر قزوين). وعلى العموم فإن الجزء الشمالي من البلاد يتلقى أمطاراً سنوية تتراوح بين ٢٥٠ و٥٠٠ ملم، بينما يقل هذا المتوسط عن ٢٥٠ ملم في معظم الجهات الأخرى، ما عدا الجهات الجبلية في الجنوب الشرقي حيث تزيد معدلات الأمطار السنوية فيها عن ٥٠٠ ملم. وتسود من النباتات الطبيعية الحشائش القصيرة في النطاق الشمالي من البلاد، بينما تسود الحشائش الشوكية باقي أراضي قازاخستان عدا المرتفعات الجبلية الجنوبية والشرقية حيث تنمو بعض أشجار الغابات الجبلية.

السكان والعمران:

بلغ عدد سكان قازاخستان في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) نحو ١١,٤٧٣,٠٠٠ نسمة، وقد أصبح عددهم في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) نحو ١٤,١٧٠,٠٠٠ نسمة، وبذلك تشغل قازاخستان بين أقاليم الإتحاد السوفيتي المرتبة الثالثة بعد روسيا وأوكرانيا من ناحية عدد السكان. وقد كان معدل الزيادة الطبيعية للسكان ٣٪ في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، فأصبح ١,٧٪ في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م). وبالنظر لاتساع مساحة البلاد فإن كثافة السكان فيها قليلة، إذ تبلغ ٥,٢ نسمة/كم^2. ويتركز معظم السكان في إقليم السهوب، وعلى طول الأودية النهرية حيث نشأت معظم المدن الرئيسية، وفي المناطق الجبلية في الجنوب والشرق. ويعد وادي نهر سيحون من مناطق الكثافات السكانية المرتفعة حيث تزيد الكثافة في بعض الواحات التي ترصعه على ٣٠٠ نسمة/كم^2، ومن ناحية أخرى نجد أن الكثافة السكانية قليلة جداً في المناطق الصحراوية بين بحر الخزر وبحر آرال، وكذلك بين بحر آرال وغربي بحيرة بلخاش إذ تتراوح بين ١ و٥ نسمة/كم^2.

ويتكون السكان من عناصر متعددة أهمها الروس الذين يكونون ٤٣,٢٪ من مجموع السكان، والقازاخ (٣٢,٦٪)، والأوكرانيون (٧,٢٪)، والتتار (٢,٢٪)، إلى جانب فئات أخرى. ومما يسترعي الإنتباه أن نسبة الروس هي أعلى نسبة بين السكان، ويعزى ذلك إلى نزعة نشر الصبغة الصقلبية في شتى أنحاء الإتحاد السوفيتي، وقد صاحبت هذه النزعة مشروعات التصنيع والتنمية الزراعية بعد الحرب العالمية الثانية. وكانت السياسة الإستعمارية الروسية أثناء حكم القياصرة تقوم على ابتلاع الدول المجاورة المحيطة للإمبراطورية الروسية ونهب خيراتها وإذلال شعوبها والقضاء على عقيدتهم الدينية. فلما جاء الحكم الشيوعي واصل سياسة القياصرة الإستعمارية ولكن بأسلوب آخر، فهي تشجع القوميات في الظاهر وتحاول القضاء عليها بمختلف الوسائل في حقيقة الأمر، وهي تكفل الحريات الدينية نظرياً في الوقت الذي تسعى فيه لإبعاد المتدينين عن عقائدهم وبخاصة المسلمين منهم. وقد اتبعت في الأقاليم غير الروسية من الإتحاد السوفييتي وبخاصة الإسلامية منها سياسة التزيق والتهجير والدمج الإقتصادي للقضاء على القوميات وعلى العقائد الإسلامية مع مرور الزمن. وليست هجرة الروس بالذات، وبأعداد كبيرة إلى جمهوريات قازاخستان، إلا صورة للإستعمار الشيوعي الذي أخذ يتسلل مع هؤلاء الروس إلى البلادان الإسلامية لنشر المبادىء الشيوعية بين صفوف أهلها أو لإبعادهم عن عقيدتهم الدينية على الأقل، بالإضافة إلى إقامة استعمار استيطاني للروس في تلك البلاد حتى يحكموا سيطرتهم الإقتصادية والثقافية على البلادان الإسلامية في آسيا الوسطى.

ويتكلم القازاخ لغة تركية، وأغلبهم مسلمون من أهل السنة، كما تتكلم العناصر الأخرى لغاتها الخاصة. وكان المسلمون يكونون معظم سكان البلاد، إلا أن تهجيرهم خارج قازاخستان وتوطين كثير منهم في سيبيريا لتعميرها، وإحلال أعداد كبيرة من الروس والأوكرانيين محلهم جعل نسبة المسلمين مقصورة على ٦٨٪ من مجموع السكان، وقد أشرف الأمين العام السابق للحزب الشيوعي السوفيتي خروتشوف بنفسه على تنفيذ مخطط يرمي إلى تصفية المسلمين في التركستان وإضعاف قوتهم عن طريق تهجيرهم خارج ديارهم ودمجهم في المجتمعات الإلحادية الأخرى حتى تخرج الأجيال الجديدة من أبنائهم على صورة هذه المجتمعات وبعيدة عن العقيدة الإسلامية. وفي الوقت نفسه استقدمت أفواج كبيرة من الروس والأوكرانيين في هجرات جماعية

في الجمهوريات الإسلامية في التركستان للعمل في الزراعة والتعدين والصناعة والتجارة، وبقي القازاخ يعملون في الزراعة والرعي وتربية الحيوان في وهم يتركزون في إقليم السهوب الشمالية والشرقية.

وأكبر مدن قازاخستان عاصمتها ألما أضا (أبو التفاح) التي كان عدد سكانها في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) نحو ٥٨٠,٠٠٠ نسمة، بينما قدر عدد سكانها في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) بحوالي ٨٣٧,٠٠٠ نسمة. وتقع العاصمة على سفوح منطقة جبلية تغطيها أشجار الصنوبر، وفي وسط منطقة زراعية تتوفر فيها المياه وتصلح تربتها للزراعة وتكثر بساتين الفواكه حولها ولا سيما أشجار التفاح، لملاءمة ظروفها الطبيعية من مناخ وأرض جبلية لزراعة الفواكه، وكانت هذه المدينة قد تأسست باعتبارها قلعة في عام ١٢٧١هـ (١٨٥٤م). وقد دمرت مرتين بفعل الزلازل في عامي ١٣٠٥ و١٣٢٨هـ (١٨٨٧م و١٩١٠م)، وأعيد بناؤها من جديد، وهي اليوم مركز صناعي وثقافي إلى جانب كونها عاصمة سياسية للبلاد.

ومن المدن المهمة الأخرى في قازاخستان مدينة كراجندا، وهي مركز حوض كراجندا للفحم، وقد تطورت بسرعة سكانياً وعمرانياً، ويقدر سكانها بحوالي نصف مليون نسمة. وهناك أيضاً مدينة سيميبلا تنسك على نهر إرتش وعدد سكانها ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، ومدينة تشيمكنت وهي مركز مقاطعة جنوب قازاخستان وعدد سكانها ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، ومدينة أكمولنسك وعدد سكانها ١٣٠,٠٠٠ نسمة ومدينة جامبول.

وقد تزايدت المدن في قازاخستان عدداً وحجماً بوجه عام، كما تزايدت التجمعات الصناعية حولها في السنوات الأخيرة في حين كانت نسبة سكان المدن في قازاخستان في الثمانينات حوالي ٤٠٪ من مجموع السكان فإنها اليوم تقارب ٦٠٪ منهم.

الاقتصاد :

يقوم اقتصاد قازاخستان على دعائم من الزراعة والرعي والصناعة معاً. فهي من جهة تعدُّ من أكثر جمهوريات الإتحاد السوفيتي إنتاجاً للحبوب وبخاصة القمح الذي يعمل في زراعته

وإنتاجه الأوكرانيون والروس المستوطنون. وتنتج نحو ١٨,٢٪ من مجموع الحبوب في الإتحاد السوفيتي، أي أنها تشغل المرتبة الثانية في إنتاجه بالإتحاد بعد جمهورية أوكرانيا، كما إنها تنتج ٢٢,٣٪ من مجموع إنتاج الصوف في الإتحاد السوفيتي وتشغل المرتبة الثانية في هذا الإنتاج بالإتحاد، وهي تنتج ٦,٨٪ من مجموع إنتاج اللحوم فيه وتشغل المرتبة الثالثة في إنتاجها بالإتحاد، كما تنتج ٤,٨٪ من مجموع إنتاج الحليب، ومن جهة أخرى تعد قازاخستان المصدر الرئيسي لإنتاج الرصاص والزنك في الإتحاد السوفيتي، وهي تشغل فيه المرتبة الثانية في إنتاج النحاس، والمرتبة الثالثة في إنتاج الفحم والبترول. كذلك فإن قازاخستان هي ثالث جمهوريات الإتحاد السوفيتي من ناحية حجم الإنتاج الصناعي.

الزراعة والثروة الحيوانية :

كانت حرفة حرفة الرعي هي السائدة بين سكان قازاخستان في الماضي، غير أن الزراعة تفوقت عليها اليوم، بالرغم من احتفاظ حرفة الرعي بأهميتها وبخاصة بين القازاخ والقرغيز. وقد بلغت مساحة الأراضي الزراعية في قازاخستان في مطلع التسعينات (السبعينات م) نحو ١٤٪ من مجموع المساحة الزراعية في الإتحاد السوفيتي. وفي عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) بلغ عدد العاملين في الزراعة ١,٤٧٢,٠٠٠ عامل، يشتغلون في ٤٣٧ مزرعة جماعية، بالإضافة إلى ١٧٨٣ مزرعة تابعة للدولة. وتذكر الإحصاءات أن إنتاج المحصولات الزراعية قد تضاعف خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة على النحو التالي.

المحصول	الانتاج بالالف طن ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٣٩٣هـ ١٩٧٣م	المحصول	الانتاج بالالف طن ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٣٩٣هـ ١٩٧٣م
الحبوب	١٥,٥١١	٢٢,٢٠٠	٢٧,٦٨٧	الخضر	٣٩٠	٧٧٦	٩٠٦
الأرز	٢٣,١	٢٧٤	٤٢٨	البطاطس	١٢٦٥	١٨٩٢	١٩١٣
القطن	٨٦	١٠٥	٣١٣	الفواكه	٧٠	٢٠٦	١٥٥
بنجر السكر	١١٤٨	٢٢٣٩	٢٣٤٦	العنب	١٦	٦٠	٩٨

وقد أصبحت قازاخستان «سلة الخبز» بالنسبة للإتحاد السوفيتي نظراً لكثرة ما تنتجه من الحبوب بعامة والقمح بخاصة ، وهي تأتي بالنسبة لإنتاج القمح في المرتبة الثانية في الإتحاد بعد أوكرانيا . وقد أمكن تحويل قمح أوكرانيا الشتوي إلى قمح ربيعي يزرع في إقليم السهوب في شمالي بقازاخستان حيث حل نطاق القمح الربيعي محل الحشائش القصيرة على امتداد الإقليم من الغرب إلى الشرق . ويزرع الأرز في الأودية النهرية حيث تتوفّر مصادر المياه الكافية لزراعته ، ويذكر أن إنتاجه قد تضاعف بصورة ملفتة للنظر ؛ فقد ارتفع من ٢٣,٠٠٠ طن إلى ٤٢٨.٠٠٠ طن . وتتركز زراعة المحصولات الصناعية كالقطن وبنجر السكر في السهول والمنخفضات الواقعة في الجنوب الغربي من البلاد حيث تتوفّر مصادر المياه والحرارة المناسبة وبخاصة في وادي سيحون الأدني . أما الفواكه فتنتشر زراعتها في المرتفعات الجبلية الشرقية والجنوبية على المنحدرات وفي بطون الأودية النهرية بين المرتفعات ، وأهم ما يزرع من الفواكه التفاح والعنب . وتنتظم الخضر دورة زراعية مع بقية المحصولات الحقلية . وتوجد بالبلاد محصولات أخرى كالتبغ والمطاط وقصب السكر والبرسيم وبذور الزيت وغيرها .

وفي قازاخستان ثروة حيوانية ضخمة تعتمد على المراعي الطبيعية التي لا تزال تشغل قسماً كبيراً من السهول والسفوح الجبلية ، بالإضافة إلى اعتمادها على ما يزرع من نباتات العلف كالذرة والبرسيم والحلبة وغيرها . وقد زاد عدد الماشية من ٥,٥ مليون رأس في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) إلى ٧,٩ مليون رأس في عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) ، وكان نصيب الأبقار من هذه الزيادة ملحوظاً ، إذ ارتفع عددها من مليوني رأس إلى ٢,٧ مليون رأس . كذلك كانت زيادة الأغنام كبيرة أيضاً في تلك الفترة إذ ارتفع عددها من ٢٧,٦ مليون إلى ٣٤,٦ مليون رأس . وقد زاد عدد الدواجن من ١٩,٧ مليون إلى ٣٥,١ مليون . وتمتلك قازاخستان أكثر من خمس الثروة الحيوانية في الإتحاد السوفيتي ، ومن ثمّ تتزايد أهمية المنتجات الحيوانية حتى تلبي حاجات السكان ويصدر الفائض إلى الجمهوريات المجاورة . وتذكر الإحصاءات أن إنتاج البلاد قد ارتفع بين عامي ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) و١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) في اللحوم من ٥٤٥,٠٠٠ طن إلى ٩٥٨.٤٠٠ طن . وفي الحليب من ٢,٥ مليون طن إلى ٤,٢ مليون طن ، وفي البيض من

٨٥١ مليون إلى ٢٣٨٧ مليون بيضة . وفي الصوف من ٦٥,٣٠٠ طن إلى ٩٩,٦٠٠ طن . وتصاد الأسماك من الأنهار والبحيرات والبحار الداخلية .

التعدين والصناعة :

قازاخستان كنز معدني ثمين ، فهي الأولى في إنتاج الكروم في العالم ، كما أنها تنتج ٦٢٪ من نحاس الإتحاد السوفيتي و٦٠٪ من رصاصه و٥٠٪ من التوتياء فيه . وتتوفّر في البلاد معادن أخرى كالحديد ، والفحم ، والبترول والغاز الطبيعي ، والذهب ، والفضة ، والنيكل ، والمنجنيز ، والتنجستن والبوكسيت وغيرها . ويستخرج الفحم من منطقة كاراجندة حيث ينقل جزء منه إلى ماجنيتوجرسك عن طريق خط سيبيريا . كما يستخرج النحاس من منطقة بلخاش قرب البحيرة ومن منطقة كارزاكبي . ويستخرج البترول من حقوله حول نهر إمبا وينقل جزء كبير منه عبر خط أنابيب إلى معامل التكرير في أورسك في الأورال .

ويجمع الإقتصاد الصناعي في قازاخستان بين الصناعة الثقيلة والصناعات الخفيفة والصناعات الغذائية . وقد نمت الصناعات الإستخراجية والكيميائية وصناعات مواد البناء . ويبلغ مجموع العاملين في الصناعة ١,١ مليون نسمة . وقد أنتجت قازاخستان في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) من الحديد ٣,٥ مليون طن ، ومن الفحم ٧٩,٨ مليون طن ، ومن البترول ٢٠,٣ مليون طن ، ومن الغاز الطبيعي ٤٨٠٠ مليون م^3 ، ومن القوة الكهربائية ٤٤,٠٠٠ مليون كيلوات/ساعة ، ومن الصلب ٤,٨ مليون طن ، ومن الأسمدة المعدنية ٤,٢ مليون طن ، ومن الإسمنت ٦,٣ مليون طن ، ومن المنسوجات القطنية ٨٢,١ مليون م^2 .

من معالم التقدم :

بلغ مجموع أطوال الطرق التي تشق أنحاء قازاخستان ١٢٠,٠٠٠كم ، وبلغ مجموع أطوال السكك الحديدية ١٤,٠٠٠كم . ويوجد في البلاد ١٤ طبيب لكل ١٠,٠٠٠ من السكان .

ويذكر أن نسبة المتعلمين بين الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و٤٩ سنة قد بلغت ٩٩,٧٪ ، ونسبة الذين يحملون الشهادة الثانوية أو الجامعية بين الذين تتجاوز أعمارهم ٩ سنوات قد بلغت ٥٢,٢٪ . وفي العام الدراسي ١٣٩٣-١٣٩٤هـ (١٩٧٣-٤م) كان مجموع المدارس الثانوية في البلاد ١٠,٠٥٧ مدرسة تضم ٣,٣ مليون طالب ، وكان مجموع المدارس الثانوية المتخصصة ٢٠٥ مدرسة تضم ٢٢٣,٥٠٠ طالب . كذلك كان يوجد من الجامعات والمعاهد العالية ٤٦ تضم ٢٠٥,٨٠٠ طالب . وفي قازاخستان ٧١٣٤ مكتبة تحتوي على ٥١,٨ مليون كتاب . كما يوجد بالبلاد ٢٦ متحفاً ، و٢٣ مسرحاً . وقد أنشئت أكاديمية للعلوم في عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٦م) ويتبعها ٣٤ من مؤسسات البحوث التي تضم ٩٩ من الأكاديميين ، و٢٨٣٧ من العلماء . وتصدر بالبلاد مجلات علمية متنوعة . وقد نشر في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) وحده ١٦٥٨ كتاب منها ٦٠٦ كتاب بلغة القازاخ . كذلك تصدر في البلاد ٣٨٥ صحيفة منها ١٤٦ بلغة القازاخ ، فضلاً عما ينشر من دوريات متنوعة بلغ عددها ١٦٨ .

(٢٩) جمهورية قرغيزيا

هي إحدى الجمهوريات الإسلامية الإتحادية في الإتحاد السوفيتي[1] ، وتقع في الجزء الشرقي من آسيا الوسطى ، على الحدود مع سنكيانج (الصين الغربية) حيث تلتقي جبال تيان شان (الجبال ذات الجنان) بجبال البامير. ويقع معظم الجمهورية شمال دائرة العرض ٤٠° شمالاً ، وتنحصر بين خطي الطول ٧٠° و٨٠° شرقاً. وتحيط بها قازاخستان من الشمال ، وأوزبكستان من الغرب ، وطاجيكستان من الغرب والجنوب ، والصين من الجنوب الشرقي . وتبلغ مساحة جمهورية قرغيزيا ١٩٨,٥٠٠ كم٢ .

بدأ الاستعمار الروسي في قرغيزيا في عام ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م) حين أسس عشرين قرية روسية معظمها في المنطقة الشمالية المتاخمة لحدود قازاخستان . وأعقب ذلك تدفق الروس بأعداد كبيرة في هجرة جماعية استيطانية لهذه البلاد ، وتركز كثير منهم في وادي فرغانة حيث أقيمت عشرات القرى في هذا الوادي الخصيب . وقد حصلت قيرغيزيا على استقلالها الذاتي في عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦/٢/١م) ، وأصبحت بعدئذ جمهورية اتحادية في عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦/١٢/٥م) . وعملة البلاد هي الروبل كسائر أنحاء الإتحاد السوفيتي ويتكون من ١٠٠ كوبيك ، ويعادل الدولار الأمريكي ٧٦ كوبيك .

الإسلام في قرغيزيا :

إذا صحت الروايات القائلة إن قتيبة بن مسلم الباهلي قد وصل في فتوحاته إلى أطراف الصين خلال الفترة بين عامي ٩٤ و٩٧هـ في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، فإن ذلك يعني أن قرغيزيا كانت إحدى ميادين الجهاد لذلك البطل الفاتح .

على أن الإسلام قد وصل إلى هذه البلاد كما يعتقد عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يسيرون بقوافلهم التجارية على طول طريق الحرير بين الصين وآسيا الوسطى . كذلك فإن جيران

(١) انظر ما سبق عن وضع «الجمهوريات الإتحادية» في الإتحاد السوفيتي في صدر الحديث عن جمهورية «دربجد».

قرغيزيا من مسلمي التركستان الغربية قد أسهموا بلا شك في انتشار الإسلام شرقاً وبلوغه قرغيزيا بل بلوغه الصين نفسها وبخاصة التركستان الصينية.

الملامح الطبيعية :

قرغيزيا هضبة عالية تشتمل على مجموعة من السلاسل الجبلية في أجزائها الشمالية والجنوبية، وتقترب هذه السلاسل بعضها من بعض في الغرب فتكون مرتفعات فرغانة. وتمثل السلاسل الشمالية القسم الغربي من جبال تيان شان التي تمتد في جنوبي جمهورية قازاخستان أيضاً. أما السلاسل الجنوبية فتمتد من الغرب إلى الشرق وتعرف باسم بجبال آلاي. وترتفع القمم الشاهقة على طول الحدود الجنوبية الشرقية، مع الصين وأعلاها قمة بوبيدي (٧٤٣٩م).

ونظراً لأن هضبة قيرغيزيا محاطة بالجبال العالية من معظم جهاتها الأربع فإن من الطبيعي أن تكون الأجزاء الداخلية من الهضبة هي المجال لانسياب المجاري المائية ولتكوّن الأحواض الداخلية. ومن ذلك بحيرة إيزيك كول المرتفعة التي توجد في الجزء الشمالي الشرقي من الهضبة ويبلغ ارتفاع سطحها حوالي ١٦٠٩م فوق سطح البحر وهي تكوّن حوضاً داخلياً تتجمع فيه المجاري المائية. وقد عمقت الأنهار مجاريها فوق سطح الهضبة حتى ليخالها المرء أرضاً جبلية إذ تكونت حواف شديدة الإنحدار على طول جوانب الأودية. وأراضي الهضبة التي تتخلل الأودية منبسطة تارة ومتموجة أخرى وهي تنحدر تدريجياً بصفة عامة نحو الغرب. وأهم الأودية النهرية التي تخترق الهضبة من الشرق إلى الغرب وادي نهر نارين، وهو جزء من نظام المجرى الأعلى لنهر سيحون. وإلى الجنوب من وادي نارين يمتد رافده نهر نار وهو يقطع الهضبة من الشرق إلى الغرب أيضاً. ويطلق على هذه الأودية بعد تجمعها في الغرب أسم وادي فرغانة، وهو يمثل حوضاً طبيعياً يمتد بين السلاسل الجبلية. ونظراً لانبساط الأرض في هذا الحوض وتوفّر المياه فيه فإنه أصبح معموراً بالقرى، مأهولاً بالسكان، يشتمل على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية. وهناك أيضاً وادي نهر تشو الذي ينبع من التلال الواقعة غربي بحيرة إيزيك كول ويتجه نحو الشمال الغربي فيخترق أراضي قازاخستان ثم ينتهي في الصحراء الرملية الممتدة شرقي بحر آرال.

ومناخ قرغيزيا قاري متطرف ومتقلب، وتغطي الثلوج الدائمة قمم الجبال العالية. ويتراوح معدل الأمطار بين ٢٥٠ و٥٠٠ ملم سنوياً، باستثناء المناطق الجبلية المرتفعة التي تتلقى كميات أكثر من المطر. وتغطي الغابات المعتدلة بعض المنحدرات الجبلية، بينما تسود حشائش الاستبس معظم أجزاء الهضبة.

السكان :

بلغ عدد سكان قرغيزيا ٢,٤٣٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) ثم أصبح عددهم في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) نحو ٣,٢٩٤,٠٠٠ نسمة. وقد انخفض معدل الزيادة الطبيعية للسكان من ٣,١٪ في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) إلى ٢,٣٪ في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٠م). وبلغت كثافة السكان في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) نحو ١٦,٥ نسمة/كم^2. ويتركز السكان في الأودية النهرية بالشمال مثا وادي تشو ووادي طلس، كما يتركزون حول شواطىء بحيرة إيزيك كول (إيسيك كول)، وفي وادي فرغانة بالجزء الجنوبي الغربي من البلاد، وعلى مرتفعات جبال آلاي في الجنوب. أما بقية البلاد فهي مصابة بالتخلخل السكاني وتنخفض كثافة السكان في أرجائها إلى حد كبير.

وقد بلغ عدد سكان مدينة فرونزي العاصمة نحو ٣٢٦,٠٠٠ نسمة في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) ونحو ٤٨٦,٠٠٠ نسمة في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) وتقع المدينة على رافد صغير لنهر تشو قرب الحدود الشمالية. وكانت في بداية أمرها قلعة أنشئت فوق تل تحوطه ثنية نهرية في عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) وهكذا كانت الطبيعة الحربية هي التي حكمت اختيار موضعها وتحديد وظيفتها الأساسية منذ البداية، ثم توسعت المدينة وأصبحت مركزاً تجارياً هاماً. ومنذ أن وصلها الخط الحديدي في عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) زادت حركتها التجارية. كما توثقت صلاتها بالمناطق المجاورة فنمت سكانياً وعمرانياً، وغدت مدينة حديثة مرموقة. وقد أخذن المدينة إسمها من القائد الروسي ميخائيل فرونزي. ومن المدن المهمة الأخرى أوش على حدود داوي فرغانة (١٠٠,٠٠٠ نسمة) وبرزيفالسك على الطرف الشرقي لبحيرة إيسيك كول، وكيزل كيا، وجلال أباد. وتشتمل قرغيزيا على ١٥ مدينة و٢٩ مركزاً حضرياً.

والقرغيز أهل هذه البلاد من أصل تركي ، وهم سكان جبال يتركزون في جبال تيان شان والبامير العالية ، ويدينون بالإسلام كسائر إخوانهم من شعوب التركستان ، إلا أنهم يحلقون رؤوسهم ويطلقون لحاهم . وتعني كلمة قرغيز بالفارسية «الأربعون ابنة» ، ذلك أن القرغيز يعتقدون أن ابناً لنوح قد أقام في التركستان بعد الفيضان ، وأنه أنجب «أربعين ابنة» ومن هذه البنات الأربعين انحدر القرغيز ، وشرعوا يمارسون الرعي الذي بقي حتى الآن حرفة قائمة في البلاد إلى جانب كونهم زراعاً ومحاربين. بينما يعتقد الطاجيك أنهم من أصل عربي ، وأنهم قدموا في الأصل من بلاد فارس وهم يميلون للعمل في التجارة والتركز في المدن.

ويمثل القرغيز ٤٣,٨٪ من سكان قرغيزيا وقد كانت نسبتهم أكثر ارتفاعاً قبل أن يتعرضوا للقتل والإبادة عندما استولى الروس على بلادهم ، ثم تعرضوا بعد ذلك لسياسة التهجير من موطنهم وتوطين الروس محلهم حتى بلغت نسبة الروس في قرغيزيا ٢٩,٢٪ من السكان. ويمثل الأوزبك ١٠,٦٪ من السكان ، بينما يمثل الأوكرانيون ٤,١٪ والتتار ٢,٤٪ ، وتتقاسم النسبة الباقية عناصر صغيرة أخرى.

وغالب سكان قرغيزيا مسلمين من أهل السنّة ، وقد كانت نسبة هؤلاء ٩٢٪ من مجموع السكان. ويجري التعليم باللغة القرغيزية التي تكتب بالحروف الهجائية الروسية ، وتستعمل الأقليات الأخرى لغتها الخاصة بها.

الاقتصاد :

كان اقتصاد قرغيزيا من قبل رعوياً بالدرجة الأولى ، ويذكر أنه قد أصبح اليوم يجمع بين الرعي والزراعة والصناعة ، وقد عمل الروس على توطين القبائل المتجولة لتقييد حركتهم وتيسير السيطرة عليهم . وبالرغم من مقاومة القرغيز الصلبة ضد توطين قبائلهم المتجولة وضد استيطان الروس لبلادهم إلا أن صمودهم لم يكن ليدوم أمام قوة الروس وبطشهم . وهكذا تحول الكثير من أبناء القرغيز بالحديد والنار عن حرفتهم الموروثة في الرعي والتجوال وراء المرعى إلى حرف أخرى تستلزم الاستقرار كالزراعة والصناعة . وأجبر آخرون على الهجرة إلى مراكز العمل في سيبيريا .

الزراعة والثروة الحيوانية :

قدرت مساحة أراضي المحصولات الزراعية في الثمانينات (الستينات م) بحوالي ٢,٢ مليون هكتار ، منها ٢,١ مليون هكتار من الأراضي المروية . وهكذا تعتمد معظم الأراضي المزروعة في قرغيزيا على الري . ويذكر أن الحكومة قد عنيت ببناء الخزانات والسدود على الأودية النهرية وحفر القنوات المائية التي تحمل المياه من هذه الخزانات إلى الأراضي الزراعية البعيدة وإنشاء شبكات واسعة للري . ويعتبر خزان أورتور توكي على نهر تشو أضخم خزان في قرغيزيا وتبلغ سعته نحو ٥٠٠ مليون م٣ من المياه التي تروي المزارع في وادي تشو. وتحمل قناة تشو العظيمة المياه إلى عشرات الآلاف من الهكتارات وهي تغذي شبكات للري ازدهرت بفضلها زراعة بنجر السكر والنباتات ذات الألياف. كذلك حفرت قناة في وادي فرغانة فقامت على مياهها زراعة القطن والبرسيم .

وقد بلغ عدد العاملين في الزراعة في عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) نحو ٣٢٩,٠٠٠ عامل ، يعملون في ٢٢٥ مزرعة جماعية بالإضافة إلى ١٢١ مزرعة تابعة للدولة . وتنتج هذه المزارع كثيراً من المحصولات الزراعية مثل القمح والقطن والتبغ والجوت والبذور الزيتية والعلف والخضر والفواكه ، وتزود الحكومة مزارعها ومعظم المزارع الجماعية بالطاقة الكهربائية وآلاف من عربات النقل وكميات كبيرة من المعدات الآلية الأخرى . وتشير الإحصاءات الرسمية إلى تزايد في الإنتاج الزراعي خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة بين ١٣٨٠ و١٣٩٣هـ (١٩٦٠–١٩٧٣م) بصورة ملحوظة كما يتمثل في الجدول التالي.

المحصول	الانتاج بالالف طن			المحصول	الانتاج بالالف طن		
	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٣٩٣هـ ١٩٧٣م		١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٣٩٣هـ ١٩٧٣م
الحبوب	٤٢٩	١٠٠١	١٢٥٥	البطاطس	١١٣	١٠٦	٢٩٠
الأرز	٣,١	٣,٢	٢	الخضر	٨٤	١٩١	٢٤٢
القطن	١٢٦	١٨٧,٢	٢١٧,٨	الفواكه	٣٤	٨٥	١٢٤
بنجر السكر	١١٩٤	١٦٨٤	١٨٥١	العنب	٩	٢١	٣٩

ويبدو أن إنتاج كثير من المحصولات قد تضاعف نتيجة للتوسع في مشروعات الري، واستخدام الأساليب الحديثة في الزراعة ومنها التوسع في استعمال الآلات الزراعية حتى أصبحت الجرارات تخدم ثلثي الأرض المزروعة. ويعد بنجر السكر والقطن والحبوب من أهم المحصولات فهي تزرع في مساحات واسعة وإنتاجها كبير. ويستهلك إنتاج الحبوب محلياً، بينما يزرع البنجر والقطن للتصدير فهما من المحاصيل النقدية. ويبلغ معدل إنتاج الهكتار الواحد من القطن ٣ أطنان وهو من أهم محصولات وادي فرغانة، بينما يعد البنجر من أهم محصولات وادي تشو. وقد تناقص إنتاج الأرز بسبب انكماش المساحة المخصصة لزراعته وتشير الإحصاءات إلى زيادة في إنتاج الخضر بلغت نسبتها ٢٠٠٪ تقريباً، وإلى زيادة مشابهة في إنتاج البطاطس، بينما بلغت نسبة الزيادة في إنتاج الفواكه ٣٠٠٪ تقريباً وهي تكاد أن تكون نفس النسبة التي زاد بها إنتاج العنب أيضاً. ولأشجار التوت مكانة هامة بين أشجار الفواكه إذ تربى عليها دودة القز لإنتاج الحرير.

وتشتهر قرغيزيا بثروتها الحيوانية التي تربى على المراعي الطبيعية بصفة أساسية. وقد خصصت مساحة ١١ مليون هكتار تقريباً للمراعي، حيث تربى قطعان كبيرة من الماشية والأغنام ذات الصوف الممتاز. ويذكر أن زيادة ملموسة في أعداد الحيوانات والدواجن قد حدثت بين عامي ١٣٨٠ و١٣٩٤هـ (١٩٦٠-١٩٧٤م)، وكانت هذه الزيادة في الماشية من ٧٣٩,٠٠٠ رأس إلى ٩٤٥,٠٠٠، وفي الأبقار من ٢٩٣,٠٠٠ إلى ٣٨٧,٠٠٠ رأس، وفي الأغنام من ٦ مليون إلى ٩,٨ مليون رأس، وفي الدواجن من ٧,٢ مليون إلى ٧,٦ مليون. وكان لهذه الزيادة أثرها على المنتجات الحيوانية، فقد ارتفع الإنتاج بين عامي ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) و١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) في اللحوم من ١٠٠,٠٠٠ طن إلى ١٤٢,٠٠٠ طن وفي الحليب من ٤٠١,٠٠٠ طن إلى ٦٠٠,٠٠٠ طن، وفي الصوف من ١٤,٦٠٠ طن إلى ٣٠,٦٠٠ طن، وفي البيض من ١٦٣ مليون إلى ٣١٦ مليون بيضة.

التعدين والصناعة:

تتوفر عدة معادن في قرغيزيا مثل البترول والغاز الطبيعي والفحم والرصاص والزئبق

والأنتيموني. وتعد قرغيزيا واحدة من أكبر الجمهوريات التي تزود الإتحاد السوفيتي بالزئبق والأنتيموني. وتشير الإحصاءات إلى أن إنتاج الفحم كان يبلغ ٣,٤ مليون طن في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) فوصل إلى ٣,٥ مليون طن في عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) ثم إلى ٣,٩ مليون طن في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م). وتناقص إنتاج البترول خلال الأعوام نفسها من ٣٤٦,٠٠٠ طن إلى ٢٨٦,٠٠٠ طن، ثم إلى ٢٤٣,٠٠٠ طن. أما الغاز الطبيعي فقد زاد إنتاجه من ٣٤١ مليون م^3 في عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) إلى ٣٩٦ مليون م^3 في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م). وارتفع إنتاج الكهرباء خلال تلك المدة من ٣٥١٩ مليون كيلوات/ساعة إلى ٤٢٧٠ مليون كيلوات/ساعة.

وتمتلىء قرغيزيا بمئات المصانع التي تعمل في تكرير البترول والسكر ودبغ الجلود وحلج القطن وتنظيف الصوف وطحن الغلال وعمل التبغ وتعليب الأغذية وصناعة النسيج والأثاث إلى جانب مختلف متطلبات الهندسة والتعدين ومواد البناء والكهرباء والسيارات وغيرها. ويذكر مثلاً أن السيارات المصنوعة في البلاد كانت تبلغ ١٢,٠٠٠ سيارة في عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) فبلغت ١٦,١٠٠ سيارة في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م). كذلك أنتجت قرغيزيا في عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) من الإسمنت نحو مليون طن، ومن الأقمشة القطنية نحو ٢,٦ مليون متر، ومن الأقمشة الحريرية نحو ٧ ملايين متر، ومن السكر ربع مليون طن تقريباً.

من معالم التقدم:

يبلغ طول الخطوط الحديدية في قرغيزيا ٣٧٦كم، لكن هناك شبكة من الخطوط البرية تخترق البلاد يبلغ مجموع أطوالها ١٨,٠٠٠كم، منها طرق صلبة السطح يبلغ طولها ٦٠٠٠كم. ويبلغ طول خطوط الملاحة الداخلية ٦٠٠كم. وترتبط فرونزي عاصمة قرغيزيا بكل من موسكو وطشقند عن طريق خطوط جوية منتظمة. وفي قرغيزيا ٥٠٠ طبيب، وتحتوي مستشفياتها على ٢٥,٠٠٠ سرير للمرضي، وهناك ١٥,٠٠٠ سرير للأطفال ألحقت بمستشفيات الولادة. كما تشتمل البلاد على مصحتين جبليتين.

وتذكر الإحصاءات أن ٩٩,٧٪ من السكان الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ سنوات و٤٩ سنة يعرفون القراءة والكتابة. ووفقاً لتعداد عام ١٣٩٣هـ (٧٣م)، فإن نسبة الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية أو الشهادة الجامعية بين الذين يزيد سنهم على ٩ سنوات قد بلغت نحو ٥٠,٩٪ من السكان. وقد بلغ عدد المدارس في قرغيزيا خلال العام الدراسي ١٣٩٣/١٣٩٤هـ (١٩٧٣/١٩٧٤م) ١٨٠٣ مدرسة ثانوية تضم ٨٤٢,٠٠٠ طالب، و٣٦ مدرسة ثانوية متخصصة تضم نحواً من ٤٢,١٠٠ طالب، وتوجد بالبلاد ٩ جامعات ومعاهد عالية تضم ٤٨,٧٠٠ طالب. وقد أسست في قرغيزيا أكاديمية للعلوم في عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م)، ويتبعها ١٨ من مؤسسات البحوث، يعمل بها ٤٧ من الأكاديميين و١٠٢٧ من العلماء. وفي البلاد ١٣٢٤ مكتبة تضم ١٠,٠٣٤,٠٠٠ كتاب، وفيها ٦ متاحف و٦ مسارح.

وتصدر ٩٢ صحيفة في قرغيزيا منها ٥٣ صحيفة باللغة القرغيزية، كما تنشر ٥٠ من الدوريات المتنوعة منها ١٩ باللغة القرغيزية.

مراجع هذا القسم من الكتاب

(أ) باللغة العربية :

- سلسلة شعوب ومواطن إسلامية، للأستاذ محمود شاكر - الأقطار الإسلامية في آسيا.

(ب) باللغة الإنجليزية :

- Berger. M.. Middle Eastern and North African Studies: Development and Needs. Middle East Studies Association Bulletin 1. 2 (1967). 18.
- Binder. L.. The Study of the Middle East. NewYork (1976).
- Creative World Publications Inc.. The World of Man. Asia. Vols. 5. 6. 7. Chicago (1969).
- Dishon. D.. Middle East Record. Vol. 4. (1968).
- Europa Publications Limited. The Middle East and North Africa. London (1976-77).
- Europa Publications Limited. The Far East and Australasia. London (1976-77).
- The Europa Yearbook. 1977. A World Survey. Vols. 1. 2.
- Gregg International Publishers Limited. Gazetteer of the Persian Gulf. Oman and Central Arabia. II B. Geographical and Statistical. Hants (1970).
- Grolier Incorporated. Lands and Peoples: Asia. Vol. 2. NewYork (1972).
- The Islamic Conference. Islamic World Gazeteer. Karatchi (1975).
- Lambton. A.K.S.. The Persian Land Reform 1926-1966. NewYork (1974).
- Newspaper Enterprise Association Inc.. The World Almanac and Book of Facts. NewYork (1977).

- Paxton. J.. The Statesman Yearbook World Gazetteer. London (1975).
- Sachs. M.. Worldmark Encyclopedia of the Nations: Asia and Australasia. NewYork (1971).

Showers. V.. The World in Figures. NewYork (1973).

- The U.S. Department of State's Report. Countries of the World. Michigan (1975).

البلدان الاسلامية
في قارة افريقية

أ. د. محمد السيد غلاب

أولاً : البلدان الإسلامية العربية :

(١) مصر

واحة مستطيلة أقامها الخالق على وادي نهر النيل ودلتاه ، من الطمي الذي يحمله فيضانه كل عام من جبال الحبشة ، فيبني تربة مصر السوداء ويجدد خصبها .

وتبلغ مساحة مصر ١,٠٠١,٤٤٩ كم٢ ، غير أن مساحتها المسكونة لا تتعدى ٤٠,٠٠٠ كم٢ فقط . وقد منحت تلك المساحة الكبيرة مصر ساحلين طويلين على البحرين : المتوسط شمالاً والأحمر شرقاً ، كما منحتها بعداً استراتيجياً كبيراً من الشرق والغرب على السواء ، فقد احتمت بالصحراء الشرقية وصحراء سيناء من ناحية ، والصحراء الغربية من ناحية أخرى .

الأثر الحضاري لنهر النيل :

وقد قامت على ضفاف هذا النهر حضارة زراعية مستقرة ، عريقة مستمرة . إذا استقرت جماعات البشر حوله منذ أكثر من ٧٠٠٠ عام ، حيث اتخذوا لهم وطناً يرتبطون به . وقد استطاعوا أن ينشئوا فيه حكومة مستقرة ويشيدوا مدينة راقية ، فاكتشفوا التقويم الشمسي واخترعوا الكتابة منذ الألف الرابعة قبل الميلاد . وخلفوا من ورائهم عمائر عملاقة وآثار وكتابات تشهد بما بلغوه من شأو بعيد في المدنية . وهكذا قام في مصر «ملك» عريض على نهر يجري بالخير ، وتعددت على هذه البلاد آلاء الله التي شهد بها فرعون ولكنه ما أدّى حق شكرها للمنعم الكريم «ونادى فرعون في قومه ، قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون – الزخرف/٥١» .

وقد توالت الحضارات في أرض مصر منذ العصور الحجرية السحيقة حتى اكتشاف الزراعة . وكانت حضارة مصر العريقة حضارة ري وزراعة ، تركت طابعها على مدنيات مصر القديمة . وشهدت مصر بدايات مبكرة لعقيدة التوحيد ، ثم استقرت في أرضها المسيحية ، وأتاها الإسلام فرسخت جذوره وارتفعت أعلامه : ديناً وحكماً وحضارة .

الموقع وأثره :

وإذا كان الله قد سخر النيل لأهل مصر فشيدوا على ضفافه وبفضله مدنية عريقة ، فإن هذا النهر قد ترك صبغته على حضارة مصر التي ما فتئت طوال الأحقاب حضارة نهرية مستقرة تكون الحكومة فيها عنصراً رئيسياً ، وتتميز بالقدم والاستمرار. كذلك فإن موقع مصر الجغرافي قد منحها أحد مقوّمات الحضارة ، إذ أنها في ملتقى الطرق الكبرى في العالم. وهكذا توقت الإنغلاق والتقوقع ، وظلت خلال القرون تؤثر في جيرانها وتتأثر بهم ، ولها صلاتها مع آسية وإفريقية إلى جانب صلاتها عبر البحر المتوسط .

فمصر تقع في الشمال الشرقي لقارة إفريقية ، عند ملتقى البرّين من قارتي آسية وإفريقية ، ومفرق البحرين المتوسط والأحمر ، تهيمن على برزخ السويس أهم البرازخ البرية في قارات العالم القديم الثلاث ، وقد كان معبر رسل الله الكرام المبعوثين بهدايته عليهم صلوات الله ، كما كان معبر التجار والجيوش بين المشرق والمغرب وبين مصر وبلاد المشرق. اجتازه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام مع زوجته المصرية هاجر إلى أرض الحجاز ، واجتازه موسى في شبابه إلى أرض مدين ، وهكذا ارتبطت مصر بأرض النبوات في فلسطين وشبه جزيرة العرب منذ أقدم العصور. وعبرت برزخ السويس جيوش فرعون وكسرى والإسكندر ، وكان شمالي سيناء وبرزخ السويس معبر القبائل العربية إلى مصر ، فاتصلت مصر بجنوبي غربي آسية طوال القرون. ثم دخلت جيوش الإسلام مصر قادمة من الشام ، منطلقة في الأصل من شبه جزيرة العرب ، فتوثّق رباط مصر مع جيرانها الآتين من آسية بحبل الله المتين إلى الأبد ، وجمعتهم العروة الوثقى التي لا انفصام لها .

وقد احتمت حضارة مصر على أرض وادي النيل بالصحراء التي تحوطها من الشرق والغرب ، فأتيح لها أن تنمو بهدوء في أول عهدها بالحياة قبل عصر الأسرات بأمد بعيد ، ثم شرعت تتطلع إلى ما حولها بعد أ اشتد عودها فتأثرت بحضارات جنوبي غربي آسية ، وكان لها مع هذه المنطقة روابط تاريخية بلغت غاية إحكامها بأخوة الإسلام. كذلك تأثرت مصر بحضارات البحر المتوسط وكان لها في حوضه دور فعال ، ثم امتدت حضارة مصر مع نهر النيل

إلى الجنوب ، فنشأت عنها حضارة جديدة في شمالي السودان. وعن طريق مصر انتشر الإسلام غرباً إلى شمالي إفريقية ، وجنوباً مع النيل إلى قلبها. وهكذا هيأ الله لمصر بموقعها على باب إفريقية الشمالي الشرقي أهمية استراتيجية كبرى خلال التاريخ ، كما سخّر لها نهر النيل ليحمل تربتها ويتيح السبيل لبنائها : أرضاً ومجتمعاً ودولة .

الإسلام في مصر :

فتح الجيش الإسلامي مصر بقيادة عمرو بن العاص في عام ٢٠هـ (٦٤٠م) فخلّص قبط مصر من ظلم الروم البيزنطيين ، وكفل لهم حرية الإعتقاد والعبادة ، وأعاد بطريقهم من ملتجئه بالصحراء حيث هام على وجهه فاراً من ظلم الروم. يروي الطبري أن أريطيون من قواد الروم كان قد هرب من بيت المقدس قبل تسليمها على يد البطريق صفرونيوس إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد لاذ بمصر ليتخذ منها قاعدة للهجوم على الشام فرأى عمرو بن العاص أن يعاجله قبل أن يجد سبيلاً لإنفاذ عزمه «فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية قام إليه عمرو فخلا به ، وقال : يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير إلى مصر ، وحرّضه عليها ، وقال : إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم ، وهي أكثر الأرض أموالاً ، وأعجزها عن القتال والحرب» ويروي حنا النقيوسي أن أسقف القبط بنيامين أو أبا بنيامين كان قد هرب من الإسكندرية تخلصاً من ظلم الروم ، فكتب له عمرو بن العاص بعد فتح مصر أماناً فعاد إلى أسقفيته. ويروى أن عبد الحكم أن الأسقف «لما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة ، وأن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقّي عمرو. فيقال إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً»[1] . ويروى أن المقوقس صاحب مصر حاول إغراء المسلمين عند حصارهم حصن بابليون بمال يدفعه لهم ليعودوا من حيث أتوا ، فقال لعبادة بن الصامت «... قد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصي عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تطيعوهم لضعفكم وقلتكم. وقد أقمتم بين أظهرنا

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب – تحقيق عبد المنعم عامر – القاهرة ١٩٦١م – ص ٨٠–١ (وحاشية المحقق رقم ١ ص ٨١) ، ٨٦ (وحاشية المحقق رقم ١ بنفس الصفحة).

أشهراً وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم. ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين، ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به». فأجابه عبادة بن الصامت «يا هذا لا تغرّن نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به. إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم... وإنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسنين، والله عز وجل قال لنا في كتابه: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله مع الصابرين، وما منا إلا ويدعو ربه صباحاً ومساء أن يرزقه الشهادة... وأما قولك أنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه. فانظر الذي تريد فبيّنه لنا، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث: إما أجبتم إلى الإسلام... فإن أبيتم إلا الجزية، فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم ونعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا. وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم...»[1]. وانتهى الأمر بتسليم حصن بابليون للمسلمين بعد أن اضطر المقوقس أخيراً لمصالحتهم على الجزية بشرط أن يجيز امبراطور الروم الإتفاق، ولم يقبل الأمبراطور فاستؤنف القتال في الإسكندرية ورغم مقاومة الروم الشديدة رجحت كفة المسلمين واتفق الروم على الجلاء في عام ٢١هـ.

وقد عرف المسلمون الأهمية الإستراتيجية لمصر منذ فتحها. وقد روى أن عمرو بن العاص خطب الجمعة فقال: «...حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: سيفتح الله عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم صهراً وذمة. فعفوا أيديكم وفروجكم، وغضوا أبصاركم. ولا أعلمنّ مأتي رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه، واعلموا

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٩٩-١٠١.

أني معترض الخيل كاعتراض الرجال، فمن أهزل فرسه من غير علّة حططته من فريضته قدر ذلك، **واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة، لكثرة الأعداء حولكم، وتشوّف قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية**. وحدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض. فقال له أبو بكر: ولم يا رسول الله؟ قال: لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة»[1]. وقد اتخذ المسلمون الفسطاط عاصمة وبنوا بها المسجد الجامع المعروف بجامع عمرو بن العاص ولا يزال قائماً حتى اليوم بعد أن تعرض لزيادات وتجديدات متوالية فقد «زاد مسلمة بن مخلد الأنصاري في المسجد الجامع بعد بنيان عمرو له. ومسلمة هو الذي كان أخذ أهل مصر ببنيان المنار للمساجد، كان أخذه إياهم بذلك في ستة ثلاث وخمسين، فبنيت المنارة وكتب عليها اسمه... ثم هدم عبد العزيز بن مروان المسجد في سنة سبع وسبعين وبناه. ثم كتب الوليد بن عبد الملك في خلافته إلى قرّة بن شريك العبسي وكانت ولايته مصر في سنة تسعين فهدمه كله وبناه هذا البناء وزوّقه وذهّب رءوس العمد التي في مجالس قيس... ثم زاد موسى بن عيسى الهاشمي بعد ذلك في مؤخره في سنة خمس وسبعين ومائة، ثم زاد عبدالله بن طاهر في عرضه بكتاب المأمون بالإذن له في ذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين... وكان عمال الوليد بن عبد الملك كتبوا إليه أن بيوت المال قد ضاقت من مال الخمس، فكتب إليهم أن ابنوا المسجد»[2].

وأخذ الإسلام ينتشر من أرض مصر بخطى وئيدة ثابتة، وأسلم كثير من قبط مصر عن رغبة وسلامة اعتقاد، كما تزايد العرب المسلمون بمصر. ويلاحظ المؤرخ المسيحي حنا النقيوسي أنه منذ دخول المسلمين مصر وقبل إتمام فتحها أسلم كثير من المصريين وحاربوا إلى جوار المسلمين ومنهم يوحنا أحد رهبان دير سيناء. فقد تعاون كثير من القبط مع المسلمين وأتيح لهم معرفتهم عن قرب. وقد روى ابن عبد الحكم أنه على أثر رفض أمبراطور الروم لاتفاق المقوقس مع المسلمين «خرج عمرو بن العاص بالمسلمين حيث أمكنهم الخروج، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من

(١) المصدر السابق: ص ١٩٠-١٩١.
(٢) المصدر السابق ص ١٧٨-١٧٩.

قتال الروم. وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح. فخرج إليهم عمرو بن العاص من الفسطاط متوجهاً إلى الإسكندرية...»[1]. ويذكر المؤرخ القبطي ساويرس أن قبطياً حكى لعمرو بن العاص قصة اختفاء بنيامين بطريق القبط وأن موضعه غير معروف فكتب عمرو إلى جميع نواحي مصر كتاباً يقرر أن «الموضع الذي فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله فليحضر آمناً مطمئناً ويدبر حالة بيعته وسياسة طائفته» وقد عاد بنيامين فعلاً إلى الإسكندرية بعد غيبة ثلاثة عشر عاماً، عشرة منها أثناء حكم هرقل، وثلاثة منذ فتح المسلمين لمصر. وذكر المقريزي في «الخطط» أنه كان بوادي هبيب بين مريوط والفيوم – وهو وادي النطرون حالياً – مائة دير للنصارى، وقد خرج سبعون ألف راهب للقاء عمرو بن العاص قرب الإسكندرية فكتب لهم أماناً على أنفسهم وديارهم.

وعمل القبط في الإدارة المالية بمصر تحت إشراف الوالي ومعاونيه المسلمين فازدادوا اتصالاً بالمسلمين. وحين مضت سياسة تعريب الدواوين التي استهلها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، جعلت العربية لغة الدواوين في مصر في أيام عبدالله بن عبد الملك الذي تولى مصر في عام ٨٦هـ (٧٠٥م) أثناء خلافة الوليد بن عبد الملك[2]، وكانت هذه الدواوين تستعمل القبطية من قبل، وأدّى هذا بطبيعة الحال إلى انتشار تعلم العربية. وبمضي الزمن تعرّف القبط على الإسلام وأقبلوا على اعتناقه. ولعلّ التفكير في استمرار دفع الجزية من جانب القبطي إذا أسلم يشير إلى زيادة عدد معتنقي الإسلام بحيث أثروا على حصيلة الجزية فقد كتب حيان بن سريج متولي خراج مصر أن «الإسلام قد أضرّ بالجزية» وكان قد «كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد العزيز بن مروان أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة. فكلّمه ابن حجيرة في ذلك فقال: أعيذك بالله أيها الأمير أن تكون أول من سنّ ذلك بمصر، فوالله إن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهّب منهم فكيف تضعها على من أسلم منهم؟ فتركهم عند ذلك. وكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن سريج أن يضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة». وقد

(١) المصدر السابق ص ١٠٧.
(٢) المصدر السابق ص ١٦٧.

روى عن الليث بن سعد «أن عمر بن عبد العزيز وضع الجزية عمّن أسلم من أهل الذمة من أهل مصر، وألحق في الديوان صلح من أسلم منهم في عشائر من أسلموا على يديه»[1]. وأدّت هذه السياسة الحكيمة إلى تزايد المقبلين على اعتناق الإسلام، وما أصدق الخليفة عمر بن عبد العزيز إذ ردّ على حيّان بن سريج في شأن ما ارتآه من إبقاء الجزية على من أسلم فقال: «... فضع الجزية عمن أسلم فإن الله إنما بعث محمداً ﷺ هادياً ولم يبعثه جابياً». كذلك فإن العرب الذين أتوا إلى مصر إثر الفتح الإسلامي اختلفوا عن فاتحي مصر السابقين باندماجهم مع شعب مصر الذي كان له أثره في نشر الإسلام والعربية. وتزايد وفود القبائل العربية إلى مصر فتزايد هذا التأثير «وكان بين القبائل فضاء من القبيل إلى القبيل، فلما مدت الأمداد في زمان عثمان بن عفان وما بعد ذلك وكثر الناس وسع كل قوم لبني أبيهم حتى كثر البنيان والتأم»[2].

وتتابعت على مصر وفود من مختلف القبائل وتداخلت مع سكان مصر وتعايشت معهم «فمات هشام (بن عبد الملك) وببلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس... ومات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت. ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم فأحصوا في ولاية محمد بن سعيد فوجدوا خمسة آلاف ومائتين ما بين صغير وكبير»[3]. ويقول المقريزي في «الخطط» «ولم ينتشر الإسلام في قرى مصر إلا بعد المائة من تاريخ الهجرة عندما أنزل عبيدالله بن الحبحاب مولى سلول قيسا بالحوف الشرقي. فلما كان بالمائة الثانية من سني الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها»[4]. ونزلت طائفة من القبائل العربية كذلك بأعالي الصعيد لمقاومة غارات البجة على أطرافه وكان البجة ينتشرون من صحراء قوص إلى أول بلاد السودان

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٠٩–٢١٠.
(٢) المصدر السابق ص ١٧٥.
(٣) المقريزي: البيان والإعراب في من نزل مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين –القاهرة ١٩٦١م– ص ٦٦–٦٨.
(٤) المقريزي: الخطط –مطبعة بولاق بالقاهرة عام ١٢٧٠هـ– ج٢ ص ٢٦١.

كما ذكر المقريزي»[1] وأقبل بعض المسلمين إلى سواحل مصر للرباط في سبيل الله. ويروي الواقدي أن ابن هرمز الأعرج القارىء كان يقول: خير سواحلكم رباطاً الإسكندرية، وقد خرج إليها من المدينة مرابطاً فمات بها في عام ١١٧هـ[2].

وهكذا ما كاد القرن الخامس الهجري يؤذن بالنهاية، والقرن السادس الهجري يقبل على الناس (القرن ١٢م) حتى غدت غالبية أهل مصر من المسلمين، وغدت العربية لسانهم، وانزوت اللغة القبطية إلى الأديرة وبعض طقوس الكنيسة فأمست في عداد اللغات الميتة. وأصبح المصريون مسلمين عرباً أرومة ولساناً، وتبوأت مصر مكانها في عالم الإسلام.

الأقاليم الطبيعية:

نستطيع أن نميز في أرض مصر أربعة أقاليم طبيعية هي:

١ – وادي النيل.
٢ – الصحراء الشرقية.
٣ – شبه جزيرة سيناء
٤ – الصحراء الغربية.

١ – وادي النيل: نهر النيل ووادية في مصر لهما خصائص فريدة، فينبع النهر من بحيرة فكتوريا والهضبة الإستوائية، وترفده روافد من هضبة الحبشة هي التي تمده بمياه الفيضان، ويجري نحواً من ٦٦٥٦ كيلومتراً، متجهاً نحو الشمال، وهو إذ يجتاز دائرة العرض التي تقع عليها مدينة العطبرة يقطع بمياهه الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، حيث لا تكاد تسقط قطرة ماء واحدة حتى يصل إلى القاهرة (دائرة العرض ٣٠° ش) ومن ثم لا يلبث أن يتفرع فرعين، فرع

(١) أنظر الباب الثالث «انتشار الإسلام وتعريب مصره من كتاب سيدة اسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام – القاهرة ١٩٤٧م – ص ١٨٢ وما يليها.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٢٤.

دمياط شرقاً وفرع رشيد غرباً، مكوناً دلتاه، قبل أن يصب في البحر المتوسط. وهو فيما بين القاهرة والبحر يستقبل قدراً قليلاً من المطر الشتوي مما يبرر اعتبار الدلتا ضمن مناخ البحر المتوسط.

ونهر النيل يدخل مصر في منطقة تعترضها آخر جنادل النهر الستة المعروفة (وإن كان تعداد تلك الجنادل يسير في تسمياتها من الشمال إلى الجنوب)، وهذه الجنادل صخور نارية من الجرانيت تعترض النهر في ذلك الجزء من مجراه المسمى بالنيل النوبي، وتظهر هذه الجنادل عند أسوان على شكل جزر عديدة يغص بها النهر. ومجرى النيل هنا ضيق، تطبق عليه الهضبتان من الشرق والغرب، ومساحة الأرض المتزرعة ضئيلة جداً، فيما عدا حوض كوم أمبو الذي يتوسط المسافة بين مدينتي أسوان وقنا. ويبدو مجرى النهر مثل الخانق الضيق فيما بين مدينتي أسوان وأسنا، وهو خانق شق في الصخر الرملي النوبي (الذي تكون في أواخر العصر الفحمي). ويعتبر هذا الخانق منطقة مثالية لإقامة الخزانات، فيها أقيم خزان أسوان بتعلياته الثلاث المتتابعة، وفي أقصى جنوبها أقيم السد العالي الذي انتهي من تشييده عام ١٩٧٠م.

وبعد تلك المنطقة يبدأ الوادي في الإتساع حتى يصل عرضه إلى ١٠ كيلومترات عند نجع حمادى، التي تقع عند نهاية ثنية النهر الكبيرة في محافظة قنا. والوادي فيما بين مدينتي قنا ونجع حمادى هو سلسلة من الأحواض الصغيرة ينتظمها النهر، كما ينتظم العقد حباته، وأكبر هذه الأحواض حوض الأقصر، الذي شهد قيام إحدى عواصم مصر القديمة، مدينة طيبة.

وبعد نجع حمادى يتسع الوادي، ويلزم النهر الجانب الأيمن منه حتى مدينة القاهرة، ويبلغ الوادي أقصى اتساع له في محافظة المنيا، حيث يبلغ نحواً من عشرين كيلومتراً. ثم يتفرع النيل في شمالي القاهرة فرعين، مكوناً دلتاه الكبيرة. التي تكونت عبر العصور من توالي إرساب الطمي الذي يحمله النيل من هضبة الحبشة. وقد كان النهر يتفرع عدة فروع في العصور التاريخية القديمة، اتبع المهندسون المحدثون مجاريها عندما حفروا الترع الكبيرة التي تقطع الدلتا وتوزع مياه النهر على أنحائها بعد إقامة القناطر الخيرية (١٨٢٠م) ويبلغ أقصى اتساع للدلتا ٢٤٠

كيلومتراً بين مدينتي الإسكندرية وبورسعيد، بينما يبلغ أقصى طول لها ١٦٠ كيلومتراً. وأراضي الدلتا أكثر اتساعاً في الشرق منها في الغرب. ويحف بساحل مصر على البحر المتوسط عدد من البحيرات الضحلة ذات الماء المالح، هما بحيرة المنزلة في الشرق، وبحيرة البرلس في وسط الدلتا، وبحيرة إدكو وبحيرة مريوط في غربي فرع رشيد. وتحيط بهذه البحيرات أرض تهبط عن مستوى سطح البحر، وهي مجال الإستصلاح الزراعي في الوقت الحاضر.

وحياة مصر مرتبطة أشد الإرتباط بنظام نهر النيل. فهو الذي يحمل مياهه إليها عبر الصحراء الكبرى، «يجري بالزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر له أوان». ويحمل النهر مياه الفيضان في أواخر الصيف وأوائل الخريف (أغسطس وسبتمبر) عقب سقوط الأمطار شبه الموسمية على هضبة الحبشة، وكان النهر (قبل مشاريع ضبط النيل) يفيض على الأرض فيغطي ما قسمت إليه من أحواض أو «حياض» كما كان يطلق عليها في مصر، حتي إذا انحسر ماء الفيضان خلف وراءه الغرين على الأرض مثل «العنبرة السوداء» فيقوم الفلاحون بزراعة الأرض بعد أن ارتوت بمياه النيل وتجدد خصبها من طميه. ويمكث الزرع في الأرض حتي الربيع فيجيء محصولها من القمح والبقول. ثم تأتي فترة جفاف تنال الأرض خلالها حصة من الراحة والتهوية والتشمس وتستعد لاستقبال مياه الفيضان مرة أخرى وهكذا.

ومن ثم كان اهتمام المصريين منذ أقدم العصور باستكشاف منابع النيل، ومعرفة مواعيد فيضانه. فإن للنظام النيلي تأثيره البالغ على مصر فكميات الأمطار التي تسقط على هضبة الحبشة شبه موسمية، تخضع لذبذبة مناخية معينة، فإذا كانت بعض السنوات قليلة الأمطار، جاء الفيضان منخفضاً ولم يعم مياهه كل الأراضي الزراعية وقل المحصول، بعكس الحال إذا غزرت الأمطار. وقد عبرت رؤيا فرعون التي فسرها له النبي يوسف عليه السلام عن هذه الظاهرة المناخية التي يتأثر بها رخاء مصر. «يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخَر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون.قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد

يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون» [يوسف ٤٦–٤٩]. وقد جاءت احتفالات وفاء النيل وكتابة الحجة الشرعية بحدوث الزيادة وما يترتب عليها من حقوق للحاكم والرعية عند مقياس النيل في الروضة تعبيراً عن أهمية النيل في حياة مصر.

مشاريع ضبط النيل: بدأت مشاريع ضبط النيل في أوائل القرن الماضي خلال عهد محمد علي مؤسس الأسرة الحاكمة التي تصدرت تاريخ مصر الحديث، فقد أقام القناطر الخيرية، شمالي القاهرة بنحو ٢٠ كيلومتراً، على فرعي الدلتا واستغرق ذلك العمل قرابة عشرين عاماً (١٨٤٢–١٨٦١م) وبذلك أمكن رفع الماء أمام القناطر وتغذية ما شق من مجار أو ترع للنهر وقتذاك. وكان إحداها «الرياح التوفيقي» (والرياح هو الترعة الكبيرة) في شرقي الدلتا والآخر «الرياح المنوفي» في وسطها أما «الرياح البحيري» فكان في غربها. ومن كل من هذه الترع الكبيرة خرجت ترع أصغر، وبذلك تكونت شبكة ري تغطي الدلتا كلها. ولأول مرة في تاريخ مصر تغير نظام الري، وأمكن ري الأرض في فصل الصيف.

واستمرت مشاريع ضبط النهر تتوالى بعد ذلك، فأقيمت قناطر عند مدن زفتي (١٩٠١م) وأسيوط (١٩٠٢م) وأسنا (١٩٠٨م). ونجع حمادى (١٩٣٠م) وهي كلها ترفع الماء أمامها لتغذية ترع تخرج من أمامها. وكان خزان أسوان أول مشروع كبير لخزن الماء أقيم عام ١٩٠٣م وجرت تعليته مرتين في عامي ١٩١٢م و١٩٣٤م. وقد استهدفت هذه المشاريع الكبرى، ضبط مياه النهر، بعد انقضاء فترة ذروة الفيضان وحجز الماء لاستخدامه في الري خلال الصيف وزراعة محصول القطن الذي أدخل إلى مصر في عهد محمد علي. كذلك تمت إقامة خزان جبل الأولياء بالسودان على النيل الأبيض عام ١٩٣٧م لحجز مياهه وإطلاقها عندما ينخفض النيل إلى أدني مستوى له في شهر يونية، وهي فترة شديدة الحرج بالنسبة لمحصول القطن. وقد بلغت مشاريع ضبط النيل ذروتها في مصر بإنشاء السد العالي الذي تم عام ١٩٧٠م. وهو مشروع ضخم سد فيه مجرى النهر تماماً، وهُيِّء للماء أن يمرّ في «قناة تحويل». وهذا السد يحجز الماء أمامه صانعاً بحيرة صناعية يبلغ طولها ٥٠٠ كيلومتر، منها ٢٠٠ كيلومتر في أرض السودان.

وهذا الخزان يستطيع أن يحجز مياه الفيضان كلها ، ولا يسمح بشيء يصب في البحر المتوسط ، ومن هذا الخزان الهائل تستطيع البلاد أن تسحب ما تريد من الماء حسب احتياجات المحاصيل المختلفة وهذا هو ما يسمى «بالتخزين الفتري» ويذكر أن السدّ قد وقي مصر غائلة الفيضان المنخفض في الثمانينات (الستينات م) كما أن في مكنته درء الفيضانات المرتفعة . كذلك يتيح السدّ التوسع في استصلاح الأراضي من ناحية والتوسع في زراعة الأرز من ناحية أخرى . هذا إلى أنه أقيم عليه محطة توليد كهرباء ضخمة تستطيع أن تولد ١٠ آلاف مليون كيلوات/ساعة من الكهرباء . وإلى جانب هذا فإن للسودان نصيباً من ماء السدّ أيضاً [انظر السودان] .

٢ – الصحراء الشرقية : تنحصر الصحراء الشرقية بين ساحل البحر الأحمر ووادي النيل ، وتشغلها مرتفعات البحر الأحمر . وهي مرتفعات مكونة من الصخور النارية القديمة نشأت بحركة قافزة بعد أن تصدعت الأرض صدعها الكبير المعروف بالأخدود الإفريقي العظيم في الزمن الجيولوجي الثالث (عصري الأيوسي والميوسين) وكان من نتيجته تكوين البحر الأحمر الذي تحف به المرتفعات النارية ممثلة في جبال الحجاز وعسير من الشرق ، وجبال البحر الأحمر في مصر والسودان من الغرب . وتشق هذه المرتفعات أودية عديدة حفرتها الأمطار الغزيرة التي كانت تسقط في النطاق الصحراوي الغربي في عصر البلايستوسين ، وهي أودية جافة الآن من أشهرها وادي قنا ووادي الحمامات . وهي تكون طرقاً طبيعية تصل بين النيل والبحر الأحمر . وتكمن في الصحراء الشرقية ثروة مصر المعدنية ، وأهمها حالياً حقول البترول على ساحل خليج السويس .

٣ – شبه جزيرة سيناء : تقع بين ساحل البحر المتوسط شمالاً وحدود مصر الشرقية شرقاً وقناة السويس غرباً . ويحدها من الجنوب ساحلا خليج العقبة وخليج السويس اللذان يلتقيان في الطرف الجنوبي من سيناء فيكونان صورة ضخمة من رقم ٧ . وسيناء هي درع مصر الشرقي والحلقة التي تربطها بالمشرق العربي وقيمتها الإستراتيجية عظيمة . والجزء الشمالي من سيناء سهل منبسط تكتنفه الكثبان الرملية التي تختزن مياه أمطار الشتاء فتتيح لبدو المنطقة التزود بحاجتهم من الماء القريب من السطح . وهذا الجزء كان بمثابة الباب الشرقي لمصر . أما في الجزء الأوسط

من سيناء فتبدأ الأرض في الإرتفاع فيما يسمى «بهضبة التيه» . ويكون جزؤها الجنوبي هضبة وعرة مرتفعة ، تصل بعض قممها (جبل سانت كاترين وجبل موسي) إلى ما يزيد على ٢٥٠٠ متراً . وهي مكونة من الصخور النارية القديمة وتعرف «بهضبة العجمة» . وسيناء مثل الصحراء الشرقية مستودع الثروة المعدنية لمصر ، منذ أن استخرج المصريون القدماء خام النحاس منها حتي الآن . فيها مناجم المنجنيز والفحم ، كما يتدفق زيت البترول من سدر وعسل وبلاعيم على ساحل السويس الشرقي . وأهم مدن سيناء العريش ورفح عند الحدود الشرقية ، ونخل في وسط شبه الجزيرة ، والقنطرة على الضفة الشرقية لقناة السويس .

٤ – الصحراء الغربية : تشغل نحو ثلاثة أرباع مساحة مصر ، وهي امتداد الصحراء الكبرى نحو الغرب ، شديدة الجفاف لا تسقط عليها أمطار إلا على ما يساحل البحر المتوسط منها حيث تعيش قبائل البدو . وهذه الصحراء كثيرة الواحات التي تمثل منخفضات في الصخور الجيرية والرملية ، تقترب كثيراً من الطبقة الحاملة للماء وتتفجر منها العيون . وأهم هذه الواحات سيوه – أبعدها نحو الغرب ، والفرافرة والداخلة والبحرية والخارجة . وتنتج الواحات التمور والزيتون الذي تتميز بإنتاجه سيوه بوجه خاص . ويعتبر ضمن واحات الصحراء الغربية منخفض الفيوم الذي كان يغذيه فرع قديم لنهر النيل هو بحر يوسف الحالي ، والفيوم إحدى محافظات وادي النيل الغنية الخصبة المشهورة بالفواكه المختلفة . وتحرس مصر من الغرب سلاسل من الكثبان الرملية من الشمال إلى الجنوب ، في صفوف متوازية الواحدة بعد الأخرى ، حتي تلتقي في الجنوب في بحر الرمال العظيم ، وتسمى هذه الكثبان «بالغرود» وتنتهي في الشمال بمنخفض القطارة الكبير الذي ينخفض عن ساحل البحر بنحو ١٣٠ متراً ، وتقترب حافة المنخفض الشرقية كثيراً من ساحل البحر المتوسط عند العنق الذي تقع فيه مدينة العلمين .

الاقتصاد :

تحول الإقتصاد المصري تحولاً رئيسياً عندما بدأت مشاريع ضبط النيل ، وانتقلت أراضي الدلتا من ري الحياض إلى الري الدائم . وأدخل محصول القطن النقدي بدلاً من الإعتماد الكلي

على الحبوب والبقول. وقد تابعت الحكومات المتوالية بعد ذلك هذه المشاريع عقداً بعد عقد، حتي تحولت كل الحياض الباقية بأراضي الصعيد في جنوب مصر عام ١٩٧٠م إلى الري الدائم. وهكذا قامت الزراعة في مصر على نظام ري دقيق، توزع فيه المياه في الترع في مواعيد محددة مقننة. على نحو متميز.

ويشغل القطن ما بين ٢٠ و٢٥٪ من مساحة أرض مصر وتتركز زراعته في الدلتا، وتنتج مصر أنواعاً من الأقطان طويلة التيلة وإنتاجية الفدان فيه مرتفعة جداً، وإن كان يتعرض للآفات الزراعية التي تكلف الفلاح والحكومة كثيراً من المال والجهد. ومصر هي الدولة الأولى في العالم في إنتاج القطن طويل التيلة إذ تنتج وحدها نصف الإنتاج العالمي منه وهي الثالثة في العالم في إنتاج القطن بمختلف أنواعه وتسهم بنحو ٨٪ من صادرات القطن العالمية ويجد القطن المصري إقبالاً في الأسواق العالمية.

ويلي القطن في مساحة الأراضي المزروعة بمصر البرسيم، وهو محصول مفيد للتربة، إذ يعيد لها خصبها بما تضيفه جذوره إليها من نتروجين، ويستعمل غذاء للماشية.

وقد احتل الأرز مكاناً كبيراً في قائمة الصادرات الزراعية في مصر، ولا سيما بعد أن أمكن التوسع في زراعته على الماء المتوفر عن طريق السد العالي الذي ضمن زراعة مليون فدان منه سنوياً وهكذا صار الأرز المحصول الثاني بعد القطن.

وتزرع الذرة الشامية، وهي غذاء الفلاح الرئيسي، كما يزرع القمح. وقد شرع قصب السكر يأخذ مكان القطن في صعيد مصر. ويمكن أن تلخص الدورة الزراعية لأراضي مصر على النحو الآتي:

الزراعة الشتوية (من نوفمبر إلى يونية): قمح، شعير، برسيم، خضراوات.

الزراعة الصيفية (من فبراير إلى أكتوبر): قطن، قصب السكر.

الزراعة النيلية (من يوليه إلى أكتوبر): ذرة، أرز.

وقد أدّت زراعة المحاصيل النقدية ومشاريع الري في مصر إلى ازدهار اقتصادي في مصر منذ القرن الماضي وبروز معالم التقدم الحديث فيها، فأنشئت المدارس العليا كالطب والهندسة منذ عهد محمد علي. ونتج عن انتشار التعليم والرعاية الصحية هبوط الوفيات، في حين ظلت معدلات المواليد مرتفعة، وبذلك اطرد تزايد السكان من ٢ مليون نسمة في بداية القرن الماضي إلى ٥ ملايين نسمة منذ مائة عام. ثم تضاعف عدد السكان ست مرات في أقل من قرن واحد، وهذه زيادة لا مثيل لها في العالم. وكانت أية زيادة يحققها مشروع من مشروعات الري في الرقعة الزراعية أفقياً ورأسياً تقترن بها دائماً في نفس الوقت زيادة في السكان.

وفيما يلي جدول يمثل زيادة المساحة المنزرعة بمصر على مرّ السنين، والزيادة المقابلة في عدد السكان.

السنه (م)	السكان الان	المساحه المنزرعة (مليون فدان)	المساحه المحصولية (مليون فدان)
١٨٩٧ م	٩,٦٦٩	٥,١	٦,٧
١٩٠٧	١١,١٩٠	٥,٤	٧,٦
١٩٢٧	١٤,١٧٨	٥,١	٨,٦
١٩٤٧	١٨,٩٦٧	٥,١	٩,١
١٩٦٠	٢٦,٠٨٥	٥,٩	١٠,٤
١٩٦٦	٣٠,٠٧٦	٦,٢	١٠,٥
١٩٧٠	٣٣,٣٢٩	٦,٢	١٠,٧
١٩٧٥	٣٦,٨٠٠	٦,٣	١٠,٩

وقد كانت الزيادة في السكان تفوق زيادة موارد مصر من الزراعة وإن ظلت مصر لا تستورد القمح أو الدقيق حتي عام ١٩٤٧م. وقد دخلت مصر عصرها الصناعي الأول في

العشرينات من هذا القرن الميلادي بإنشاء بنك مصر وشركاته. فإلى جانب معامل السكر التي عرفتها مصر من قبل، اتجهت العناية إلى غزل القطن ونسجه وأصبحت الصناعة الحديثة مورداً اقتصادياً جديداً. وبدأت مصر مرحلة أخرى من التقدم الصناعي في الخمسينات فأنشىء مصنع الحديد والصلب الذي اعتمد على خام الحديد المكتشف في الواحة البحرية. وأنشىء مصنع للبتروكيماويات ومصنع للنترات في السويس، كما أنشىء مصنع للصناعات الكيماوية في أسوان. وفي نفس الوقت أجري توسع في صناعات الغزل والنسيج وتعددت مراكزها في أنحاء البلاد إلى جانب مصانع المحلة الكبرى التي كان قد أنشأها بنك مصر في العشرينات. وتعتمد الصناعة في مصر على الكهرباء المولدة من السدّ العالي.

ولتوضيح مدى ازدهار الصناعة وتطورها وبخاصة خلال العقدين الأخيرين، نضرب مثلاً بقطاع غزل القطن ونسجه، فبعد أن كان هذا القطاع لا يستهلك سوى ١٪ من الأقطان المصرية، بلغت هذه النسبة ٨٪ منه عام ١٩٤١م، ثم استمرت في الإرتفاع حتى بلغت ٢٥٪ منه عام ١٩٦٠م و٤٠٪ منه خلال السنوات الأخيرة. وذلك نتيجة تقدم هذه الصناعة وانتشارها في مراكز متعددة في أنحاء مصر.

وتعددت الاكتشافات البترولية سواء من منطقة خليج السويس أو في صحراء مصر الغربية، كما اكتشف الغاز الطبيعي في العديد من الحقول، وبخاصة في ساحل مصر الشمالي (أبو ماضي وأبو قير بالقرب من الإسكندرية)، وفي الغرادیق على ساحل خليج السويس، وبدىء في استغلاله على مستوى اقتصادي فمدّ خط أنابيب لتوصيل غاز أبي الغرادیق إلى منطقة حلوان الصناعية وبدأت مصر في تصدير البترول في عام ١٩٧٧م. ومن ثم ارتفع نصيبه في الدخل القومي المصري إلى أكثر من ٣٠٠ مليون جنيه سنوياً. ويتوقع زيادته سنوياً خلال السنوات القادمة عندما تظهر بوضوح نتائج عمليات التنقيب عن المزيد منه.

وقد تم اكتشاف طبقة سميكة من الفوسفات بين الواحات الخارجة والداخلة، كما اكتشف معدن التانتالوم النادر الذي يعتبر معدن المستقبل في صناعة الصلب. وقد أسهمت الصادرات الصناعية إلى جانب البترول في دخل البلاد وإن كانت الزراعة لا تزال تكون ٧٠٪ من الناتج

القومي. ولا تزال مشكلة زيادة السكان في مصر تدعو إلى الجدّ في زيادة الموارد الإقتصادية للبلاد والتخطيط للتنمية الزراعية والصناعية معاً. وتمثل عائدات قناة السويس التي أممت في عام ١٩٥٦م أحد موارد البلاد الحالية الهامة.

قناة السويس :

منذ عهد الفراعنة، اتجه حكام مصر إلى شق قناة تربط النيل بخليج السويس والبحر الأحمر، وكانت هذه القناة تفتح للملاحة إبان الإزدهار الحضاري في تاريخ مصر، بينما تهمل وتطمر خلال فترات الإضمحلال. وهكذا عرفت مصر قناة السويس سيزوستريس القديمة، وقناة بطليموس في عهد البطالمة، ثم خليج أمير المؤمنين بعد الفتح الإسلامي. ثم حفرت قناة السويس لتربط البحرين المتوسط والأحمر مباشرة في عهد خديوي مصر إسماعيل، وتم افتتاحها للملاحة في عام ١٨٦٩م. وبقدر ما حملت هذه القناة من نفع للبشرية عموماً، فقد جرّت كثيراً من المتاعب على مصر، حتى إنه ليمكن القول إن تاريخ مصر الحديثة يدور حول القناة. وبسببها تعرضت البلاد للإحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢م، وتعرضت لعدوان بريطانيا وفرنسا وإسرائيل الذي أدى لإغلاق القناة في عام ١٩٥٦م عندما أقدمت مصر على تأميمها، وقد تعرضت القناة للإغلاق مرة أخرى ولمدة أطول نتيجة العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧م ولم تفتح للملاحة إلا في عام ١٩٧٦م.

وقناة السويس تقصر المسافة بشكل ملحوظ بين غربي أوربا من جهة وجنوب شرقي آسيا وشرقي إفريقية واستراليا من جهة أخرى وهكذا لم تعد السفن بعد حفرها تدور حول رأس الرجاء الصالح، اللهم إلا خلال سني إغلاقها الأخيرة إثر العدوان الإسرائيلي. وباجتياز القناة، تختصر السفن القادمة من لندن إلى الكويت مثلاً حوالي ٦٤٠٠كم، كما تختصر السفن القادمة من لندن إلى بومباي ٧١٢٠كم، ومن لندن إلى استراليا ١٦٠٠كم. ويضيف هذا الشريان الإقتصادي الهام أكثر من ٣٠٠ مليون جنيه إلى موارد مصر الإقتصادية، ويتوقع أن يسهم بما لا يقل عن ألف مليون دولار أمريكي سنوياً بعد إنجاز مشروعات توسيع القناة وتعميقها التي يجري إنفاذها حالياً.

المدن :

تنمو نسبة سكان المدن في مصر نمواً سريعاً مطرداً. فمنذ نصف قرن ارتفعت هذه النسبة من ١٥ إلى ٢٥٪ من مجموع سكان مصر. وهناك أكثر من ١٥ مدينة يزيد عدد سكان كل منها على ١٠٠,٠٠٠ نسمة. وقد وصل عدد سكان القاهرة الكبرى (القاهرة والجيزة) إلى ثمانية ملايين نسمة. بينما قاربت الإسكندرية مليوني نسمة. أما بورسعيد والسويس فقد فاقتا ٢٥٠,٠٠٠ نسمة. ويبلغ عدد سكان الإسماعيلية نحو ١٢٠,٠٠٠ نسمة. وتتناثر في الدلتا والصعيد على مسافات تكاد تكون متساوية عواصم المحافظات الريفية. وقد نمت مدينة المحلة الكبرى بسبب تركز صناعة الغزل والنسيج بها. كما نمت منذ أوائل الستينات مدينة أسوان التي تعتبر الآن قاعدة صناعية كبرى.

والقاهرة عاصمة مصر منذ أكثر من ألف سنة وهي مدينة الألف مئذنة كما يقال أحياناً إشارة إلى كثرة مساجدها وفي مقدمتها الجامع العتيق الذي أنشأه عمرو بن العاص إثر فتح مصر، والجامع الأزهر الذي كان جامعة عريقة كما كان مسجداً، وإلى جانبها تقوم المساجد الكبرى الأخرى التي تحكي تاريخ مصر الإسلامية وتحمل آثار الفن المبدع الذي يظهر مثلاً في مسجدي السلطان حسن والرفاعي. وتطل على القاهرة قلعة محمد علي ومسجدها. وتضم العاصمة المصرية حالياً أربع جامعات. والقاهرة هي أيضاً مقر جامعة الدول العربية. وفيها دار الكتب التي تضم عدداً ضخماً من الكتب النادرة والمخطوطات الثمينة. كما يضم المتحفان الإسلامي والمصري بالقاهرة أروع الكنوز الأثرية.

وأقدم الجامعات بمصر جامعة الأزهر. وقد استهلت المدارس العليا الحديثة التي أنشأها محمد علي بكلية الطب وكلية الهندسة، ثم أنشئت مدرسة المعلمين العليا ومدرسة الألسن في عصر اسماعيل. وقد انضمت هذه إلى الجامعة المصرية بعد أن غدت جامعة حكومية في عام ١٩٢٥م وكانت قد بدأت جامعة أهلية عام ١٩٠٧م ثم أنشئت جامعة الإسكندرية عام ١٩٤١م، وجامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٩٥٠م، وافتتحت جامعة أسيوط في عام ١٩٥٦م، وتتابع إنشاء الجامعات بعد ذلك في مختلف أقاليم مصر.

(٢) السودان

السودان هو أكبر دول إفريقية مساحة، إذ تبلغ مساحته ٢,٥٠٥,٨١٣ كيلومتراً مربعاً ورغم هذا فهو لا يطل على البحر الأحمر إلا بجبهة ضيقة طولها ٣٠٠ كيلومتراً فقط. ومن ثم فهر قطر قاري. وهو يشغل معظم مساحة حوض النيل. وهذا النهر هو المحور الأساسي لتكوين هذه البلاد. ويلاحظ أن العرب كانوا يعبرون بكلمة «السودان» عن الشعوب السوداء التي تعيش في جنوبي الصحراء الكبرى بوجه عام. أما ما يعرف حالياً «بجمهورية السودان» فإنما يشغل الجزء الأوسط من نهر النيل منذ أن يغادر النهر هضبة البحيرات الإستوائية ويهبط إلى السهول عند الدائرة العرضية الرابعة حتي يصل إلى دائرة العرض ٢٢° شمالاً.

الإسلام في السودان :

روى الواقدي عن يزيد بن أبي حبيب أن المسلمين لما فتحوا مصر «بعث عمرو بن العاص إلى القرى التي حولها الخيل ليطأهم، فبعث عقبة بن نافع الفهري – وكان نافع أخا العاص لأمه – فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل صوائف الروم (أي باعتبار بلاد النوبة أرضاً معادية تتاخم مصر كما تتاخم بلاد الروم الشام والجزيرة وترسل من ثغورهما إلى بلاد الروم الحملات الصيفية المعروفة بالصوائف) فلقي المسلمون بالنوبة قتالاً شديداً حتي جرح عامتهم... فلم يصالحهم عمرو ولم يزل يكالبهم حتي نزع وولى عبدالله بن سعد بن أبي سرح فصالحهم». وروى الواقدي أن أهل النوبة هم الذين سألوا عبدالله بن سعد «الصلح والموادعة، فأجابهم إلى ذلك على غير جزية لكن على هدية ثلاثمائة رأس في كل سنة وعلى أن يهدي المسلمون إليهم طعاماً بقدر ذلك». وروى أبو عبيد القاسم بن سلام عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب «ليس بيننا وبين الأساود عهد ولا ميثاق، إنما هدنة بيننا وبينهم على أن نعطيهم شيئاً من قمح وعدس ويعطونا رقيقاً...» ورويت رواية مقاربة عن الليث بن سعد إمام أهل مصر.[1]

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٣٨–٢٣٩.

وتذهب رواية أخرى إلى أن أهل النوبة بعثوا «بالبقط» أول عام فأهدوا لعمرو بن العاص أربعين رأساً فكره أن يقبل ذلك منهم، فردّ ذلك على عظيم من عظماء القبط وهو القيّم لهم فيها. قال المقريزي في «الخطط»: البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم. وقال المسعودي: إن هذا البقط كان يحمل لبيت المال بشرط الهدنة بين النوبة والمسلمين، ويحضر حاكم لقبض البقط مع أمير أسوان. وروى ابن عبد الحكم عن شيوخ متقدمين نظروا في بعض الدواوين بالفسطاط قبل حريقها فحفظوا بعض أحكام ذلك الصلح بين المسلمين وأهل النوبة «إنا عاهدناكم وعاقدناكم أن توفونا في كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأساً وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين، وكذا ندخل بلادكم. على أنكم إن قتلتم من المسلمين قتيلاً فقد برئت منكم الهدنة، وعلى أن آويتم للمسلمين عبداً فقد برأت منكم الهدنة. وعليكم ردّ أباق المسلمين، ومن لجأ إليكم من أهل الذمة»[1] ويروى أن غزوات عبدالله بن سعد بلغت دنقلة في عام ٣١هـ (٦٥١م) وأن العهد بينه وبين أهل النوبة تضمن شرطاً لصيانة مسجد دنقلة.[2] وكانت قبائل «البجة» تعيش بين النيل والبحر الأحمر مما يلي النوبة - كما ذكر اليعقوبي، وأول من صالحهم من ولاة مصر بعد الفتح الإسلامي عبيدالله بن الحبحاب[3]. وكانت المنطقة التي يعيشون فيها تحوي في باطنها معدن الذهب. ويقال إن جماعات عربية من «بلى» نزحت إلى بلاد البجة قبل الإسلام، كما هاجر الحضارمة إلى بلاد البجة في القرن السادس للميلاد ولعلهم امتزجوا ببلى هناك، ثم كانوا في زمن المسعودي المؤرخ هم المسلمون دون سائر البجة. والبجة إلى يومنا يسمون اللغة العربية (بلويت) أي اللغة البلوية نسبة إلى بلى التي حملت العربية إليهم. فتمثلتها لغة البجة (وهي لغة حامية) وإن لم تستطع العربية التغلب على لغة البجة حينذاك لقلة العرب النازحين بالقياس إلى قبائل البجة الكثيرة المتشعبة. ويظهر أن السبئيين وأعقابهم كانوا هم العنصر الغالب على عرب السودان في أزمان الجاهلية، ولا سيما إذا تذكرنا أن الرابطة بين ساحلي البحر الأحمر لم تكن ضعيفة يوماً ما منذ أقدم العصور، وأن

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٥٤ وحاشية المحقق رقم ٣ بنفس الصفحة.

(٢) عبد المجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل ملحقة بكتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي - القاهرة ١٩٦١م - ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٥٥ وحاشية المحقق بنفس الصفحة.

العبور بين الساحلين وبخاصة عن طريق باب المندب كما ميسوراً، وكان هذا المضيق متاخماً للسبئيين في اليمن وقت أن كانت تلك البلاد مقرّ دول ذات قوة وثروة في عهد سبأ ثم حمير. وفي عصور الإسلام، نزحت قبائل عربية إلى السودان ومن شبه جزيرة العرب عن طريق البحر الأحمر مباشرة كما تؤكد الروايات السودانية. وبعد مقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين قرب بوصير في الصعيد الأدنى من أرض مصر عام ١٣٢هـ (٧٥٠م)، هرب عبدالله وعبيدالله ابنا مروان في جماعة من أتباعهما إلى بلاد النوبة ولحق بهم آخرون من أصحاب مروان فبلغ عددهم ألفين أو ضعف ذلك. وكانت **أرض النوبة وقتذاك تنقسم إلى مملكتين مسيحيتين رئيسيتين: مملكة المقرة في الشمال، ومملكة علوة في الجنوب**. ومن الطبيعي أن ينزل المروانيون الهاربون أدنى أراضي النوبة إلى مصر من **مملكة المقرة**، ويروى أنهم وافوا ملك النوبة وأقاموا في بلدة زمنا. ثم ترك المروانيون بلاد النوبة واتجهوا إلى الشرق نحو بلاد البجة، ولقوا منهم مقاومة شديدة فتفرقوا يريدون ساحل البحر[1].

وظلت **البجة** مصدر خطر على مصر، وتتابعت غاراتهم على الصعيد في مختلف العهود. وفي عهد الخليفة العباسي المتوكل أغارت البجة على أرض مصر، وامتنعوا عن أداء ما كانوا يؤدونه من معدن الذهب الذي بأرضهم، وقتلوا عدة من المسلمين. فشاور المتوكل في أمرهم فذكر له أنهم أهل بادية أصحاب إبل وماشية وبلادهم مفاوز بينها وبين بلاد الإسلام مسيرة شهر في أرض قفر وجبال وعرة، وأن من يدخلها من الجيوش يحتاج أن يتزود لمدة أشهر حتى يخرج منها فإن جاوز يلك المدة ونفدت مؤنته هلك وأخذتهم البجة باليد، كما ذكر للخليفة أن أرضهم لا ترد على السلطان شيئاً. فأمسك المتوكل عنهم فتزايد شرهم وطمعهم «حتى خاف أهل الصعيد على أنفسهم منهم». فولى المتوكل محمد عبدالله القمى حرب البجة عام ٢٤١م وجعل إليه معونة قفط والأقصر وأرمنت وأسوان وكتب إلى والي مصر عنبسة بن إسحاق الضبي بإعطاء جنده ما يحتاجون إليه. فلما قدم إلى عنبسة قام له بما يحتاج إليه وسار إلى أرض البجة وتبعه ممن كان يعمل في المعادن ومن المطوّعة عالم كبير بلغت عدتهم نحو عشرين ألفاً بين فارس

(١) عبد المجيد عابدين: دراسات... ملحقة بالبيان والإعراب للمقريزي ص ١٤٢-١٤٥.

ورجل ، ووجه إلى القلزم فحمل له في البحر سبع مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير وأمر أصحابه أن يوافوه بها في ساحل البحر مما يلي بلاد البجة ... وكانت إبل البجة ذعرة تنفر من أي شيء ، فجمع القمى كل جرس في عسكره وجعلها في أعناق خيل ثم حمل على البجة فنفرت إبلهم من أصوات الأجراس ومرت على الجبال والأودية وتبعهم المسلمون فانتصروا عليهم انتصاراً مبيناً «وقتل صاحب البجة ، ثم قام من بعده ابن أخته وكان أبوه أحد ملوك البجويين وطلب الهدنة فأبى المتوكل إلا أن يطأ بساطه ، فقدم سرّ من رأى فصولح في سنة إحدى وأربعين ومائتين على أداء الأتاوة والبقط ، ورد مع القمى . فأهل البجة على الهدنة يؤدون ولا يمنعون المسلمين من العمل في معدن الذهب كان ذلك في الشرط على صاحبهم»[1] . وتكاثر العرب من ربيعة ومضر وأعقاب سبأ منذ عهد المتوكل في «أرض المعدن»[2] وهي أرض معدن الذهب التي كان ينتشر فيها البجة . لكن البجة لم يخلدوا إلى السكينة طويلاً بعد حملة القمى عليهم ، وقد قاد أبو عبد الرحمن العمري المنتسب إلى عمر بن الخطاب عام ٢٥٥هـ حشوداً من ربيعة وجهينة نحو بلاد النوبة والبجة ، وكان المسلمون قد ضاقوا بغارات البجة على مساكنهم وإفزاعهم المصلين كما حدث يوم صلاة العيد في رواية المقريزي في الخطط . فخرج العمري بجموعه إلى بلاد البجة «غضباً لله والمسلمين» كما روى ابن الأثير. وواصل غاراته على البجة والنوبة حتى أخذ من البجة الجزية «ولولا تدخل ابن طولون (حاكم مصر وقتذاك) من ناحية وانقسام القبائل التي صحبت العمري وخروج بعضها عليه من ناحية أخرى ، لتمكن العمري من تكوين إمارة (إسلامية) عربية في بلاد البجة تحت زعامته ولعلها كانت تكون أول إمارة عربية في سودان وادي النيل»[3] .

وقد استطاعت **ربيعة** أن توطد مكانتها في الصعيد الأعلى وفي أرض المعدن بنوع خاص ، وتحالفوا مع «**الحدارية**» وهم مسلمو البجة فقويت البجة بهم كما قويت ربيعة بالبجة على من ناوأها من اليمن ومضر. وكان صاحب المعدن في زمن المسعودي (عام ٣٣٢هـ) من ربيعة

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٣٩-٢٤١ والحاشية ، وانظر أيضاً الطبري : تاريخ الأمم والملوك-أخبار عام ٢٤١هـ.
(٢) عبد المجيد عابدين : دراسات...ملحقة بالبيان والإعراب للمقريزي ص ١٤٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١٢٠-١٢١ .

«يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حرّاب على النجب من البجة بالجحف البجاوية وهم الحدارية وهم المسلمون من بين سائر البجة وباقي البجة كفار يعبدون صنماً لهم» كما ذكر المسعودي في «المروج» . ولا يبعد أن يكون الحدارية عناصر شتى من أعقاب سبأ كان منها قبيلة بلّى نزحوا إلى بلاد البجة قبل مجيء ربيعة بزمن طويل يربو على ثلاثة قرون ، وعندما صار لربيعة نفوذ في بلاد البجة كان الحدارية قد توطّنوها فعدّوا طائفة من البجة . وفي عصر الفاطميين استطاعت ربيعة وأحلافها أن يؤسسوا أول إمارة عربية في أرض المعدن بالعلاقي وكانت أسوان مقراً لها وامتد سلطانها جنوباً في أرض «مريس» وكان زعيمهم صاحب المعدن الذي أشار إليه المسعودي ووصفه بذلك ويدعى أبو مروان بشر بن إسحاق . وقد أقرّ الفاطميون شأن هذه الإمارة الناشئة واستعانوا بها أحياناً[1] .

ويشير ابن حوقل وغيره من جغرافيي القرن الرابع الهجري (١٠م) إلى أن ميناء **عيذاب** على البحر الأحمر كانت ميناء للذهب . وقد عينت الدولة المملوكية على عيذاب والياً وقاضياً مصريين إلى جانب واليها الحدربي . وكانت قوافل الحجاج من مصر وبلاد المغرب قد تحولت عن طريق سيناء إلى الصعيد الأعلى (قوص) فعيذاب بسبب الوجود الصليبي على سواحل الشام وفلسطين . اتجه الصليبيون إلى مهاجمة عيذاب خلال حملة أرناط الفاشلة على مقدسات الحجاز في عام ٥٧٨هـ (١١٨٢م) . وعني المماليك بحماية تجار البحر الأحمر وساحله الإفريقي وقد أنفذ والي قوص أمر السلطان بيبرس بإرسال حملة ضد صاحب **ميناء سواكن** المطل على ممالك النوبة المسيحية في عام ٦٦٤هـ (١٢٦٥م) وأقرت الحملة حامية مملوكية هناك وجمع أموال الزكاة من المسلمين من أهلها تحت إشراف والي عيذاب وقاضيها . وكان لذلك أثره في تضييق الخناق على ممالك النوبة المسيحية . وما لبث النوبيون أن أغاروا على أطراف مصر الجنوبية عام ٦٧١هـ (١٢٧٢م) رداً على الإستيلاء على سواكن ، أو تجاوباً من تلك المملكة المسيحية مع الإحساس الصليبي وتواطؤاً مع الصليبيين بعد أن استولى بيبرس على كثير من معاقلهم وهدم إمارة أنطاكية الوريثة للزعامة الصليبية بعد ذهاب بيت المقدس على يد صلاح

(١) المصدر السابق ص ١٢٣-١٢٤ .

الدين الأيوبي . وردّ بيبرس **بحملات متتابعة على أرض النوبة تحت قيادة والي قوص . وقد اعتبر المؤرخ ابن الفرات حملة عام ٦٧٤هـ (١٢٧٦م) «فتحاً حقيقياً للنوبة» وأصبحت مقرّة جزءاً من السلطنة المملوكية** ، وملكها نائباً عن السلطان في حكم بلاد النوبة وعليه أن يرسل نصف حصيلة ما يجمعه من بلاد النوبة خالصاً للسلطان فضلاً عن عدد من الهدايا ، وتكون بلاد العلا وبلاد الجبل ملكاً خاصاً للسلطان . وأخذت تنظيمات الإدارة المصرية تشتمل على بلاد النوبة منذ عهد بيبرس ، ومن بينها إنشاء طريق للبريد يبدأ من قوص ثم يتشعب شعبتين إحداهما إلى أسوان والنوبة والأخرى إلى عيذاب . ثم ما لبث ملوك «علوة» أيضاً أن بعثوا إلى السلطان قلاوون يعلنون له ولاءهم ويحكمونه فيما ينشب بينهم وبين ملك دنقلة من نزاع في عام ٦٨٥هـ (١٢٨٧م) . وانتهى ذلك التحكيم بتوجيه قلاوون حملة كبيرة إلى النوبة أقامت أميراً مملوكياً إلى جانب الملك النوبي الجديد الذي تعهد بدفع « البقط » القديم والجزية السنوية وسائر الحقوق السلطانية ، وعسكرت حامية مملوكية بدنقلة . واستدعى الأمر حملة أخرى من السلطان قلاوون في عام ٦٨٨هـ (١٢٨٩م) وثالثة من السلطان خليل بن قلاوون بعد عامين . واصطحبت الحملات الأخيرة أمراء من البيت المالك في النوبة الطامعين في عرشها ، وقد أعاد المماليك بعض هؤلاء إلى النوبة ملوكاً عليها تحت حماية الجيوش المملوكية ، ولا سيما بعض الذين أسلموا منهم . وكان هذا عاملاً حاسماً في سقوط مملكة النوبة المسيحية ، إذ أخذ «بنو كنز» وأصلهم من عرب ربيعة يظهرون في أحداث النوبة بعد أن أصهروا إلى ملوكها وقد احتفظوا بلغتهم العربية إلى جانب استعمال اللغة النوبية . وما لبث ملك النوبة أن انتقل إلى أيدي بني كنز في عام ٨٢٣هـ (١٣٢٣م) . وأتت قبائل عربية أخرى إلى النوبة ، كما شاركت جماعات من العرب المقيمين بمصر في الحملات على بلاد النوبة ومنها من أقام هناك ، وأعان هؤلاء وأولئك بني كنز على سلطانهم . وأدى قدوم العرب إلى النوبة والإختلاط بأهلها إلى انتشار الإسلام فيها وبخاصة بعد أن صار ملوكها من المسلمين «وانقطعت الجزية» على حدّ قول ابن خلدون وقول القلقشندي . ولا تذكر المراجع أسم ملك مسيحي لبلاد النوبة بعد كنز الدولة . ولم يكد منتصف القرن الثامن الهجري (١٤م) حتى كان النوبيون قد اعتنقوا الإسلام عدا أقلية نوبية ظلت على المسيحية[1]

(١) مصطفى محمد مسعد : الإسلام والنوبة في العصور الوسطى – القاهرة ١٩٦٠م – ص ١٤٢–١٧٤ .

وقد تعرضت **مملكة علوة** المسيحية . في حنوبي بلاد النوبة إلى ما تعرضت له جارتها مملكة مقرّة في الشمال من عوامل التفكك والإنحلال ، كما تعرضت طيلة قرنين منذ القرن السادس الهجري (١٢م) لإغارات «مملكة الزغاوة» التي امتد من بحيرة تشاد في الغرب إلى أطراف النوبة في الشرق ، ويبدو أنها شملت الكانم ودارفور في القرن ١٤م . ثم استطاع عرب جذام وغيرهم من العرب المهاجرين من مصر أن يحتاحوا مملكة الزغاوة ويسيطروا على منطقة دارفور ، حيث اتخذوها قاعدة للإغارة على ما جاورها من أقاليم حتى «مملكة برنو» في الغرب . ولقد كان لانقطاع العلاقات بين الكنيسة المصرية وكنائس علوة منذ منتصف القرن السابع الهجري (١٣م) الأثر الخطير على المسيحية في بلاد النوبة . وقد زاد من عزلة مملكة الجنوب سقوط مملكة مقرة في الشمال واعتناق أهلها الإسلام . وأجمعت الروايات التاريخية الوطنية على أن نهاية مملكة علوة جاءت في أوائل القرن العاشر الهجري (١٦م) على يد جماعة من العرب والفونج . وقد كانت مملكة علوة المسيحية تتألف من عدة ممالك صغيرة تخضع للملك الكبير في «سوبا» ، وقد أخذت القبائل العربية تستولي على أقاليم علوة شيئاً فشيئاً ، وربما يكون ملك علوة قد اضطر أمام هذا الضغط لنقل مقر ملكه إلى مدينة «كوسة» في القرن الثامن الهجري (١٤م) على لأقل ، وإن كان هذا لا يعني سقوط تلك المملكة التي بقيت طيلة قرن آخر . وأخذت جهينة وغيرها من القبائل العربية تنشىء إمارات مستقلة في جوف مملكة علوة . ويذكر القلقشندي ضمن الإمارات التي نشأت في أوطان البجة حتى الحدود الحبشية وبلاد النوبة ثماني إمارات تراسلت مع السلطنة المملوكية في مصر في القرنين الثامن والتاسع للهجرة (١٤–١٥م) . **وظهرت عدة ممالك ومشيخات إسلامية منذ القرن التاسع الهجري في حوض النيل الأوسط** ، مما زلزل أسس الملكية المسيحية في علوة ، إذ تزايد إنتشار الإسلام بين أهل البلاد وصار الحكم الفعلي في بيت شيخ القبيلة وتكونت مجموعات قبلية يتزعمها الشيخ القوي في المجموعة . وجاء **الفونج** فقالوا إنهم من ذراري الأمويين الذين لجأوا إلى ملك الحبشة فراراً من بني العباس ، وقيل إنهم أتوا من الغرب ويحتمل أن يكونوا فرعاً من ملوك برنو ، وكانوا يتكلمون العربية ويدينون بالإسلام . وقد تحالف عمارة زعيم الفونج مع عبدالله جمّاع شيخ عرب القواسم من جهينة وأصحابه ونجحا في فرض نفوذهما في بواكر القرن العاشر الهجري (١٦م) وكان عمارة هو الذي يحمل لقب ملك ،

وقد اختط مدينة سنار لتصبح عاصمة مملكة الفونج التي امتدت من سواكن شرقاً إلى النيل الأبيض غرباً ومن أقصي جبال فازوغلى جنوباً الى الشلال الثالث شمالاً أي أنها اشتملت على معظم أراضي مملكة علوة بالنوبة العليا وقسماً كبيراً من مملكة مقرة السابقة في النوبة الشمالية[1].

وهكذا تهاوت النصرانية في النوبة حين افتقدت أسباب دعمها في مصر بعد أن تحولت مصر إلى الإسلام. وما إن اتاحت معاهدة «البقط» للمسلمين في بواكير الحكم الإسلامي لمصر حرية التنقل والتجارة وبناء المساجد في بلاد النوبة حتي كان ذلك إيذاناً بتحول أراضي النوبة تدريجياً إلى الإسلام على مرّ الزمان. وقد عبرت القبائل العربية مصر نحو سهول السودان الشرقية والغربية منذ القرنين السادس والسابع (١١-١٢م) فامتلأت بهم سهوب كردفان وأرض الجزيرة بين النيلين الأزرق والأبيض ومنطقة البحر الأحمر. وهكذا أحدقت القبائل العربية التي تحمل الإسلام بالممالك النوبية من كل صوب، وأخذ الإسلام ينتشر ويضغط على تلك الممالك. وكان أن تداعت مملكة مقرّة في الشمال، كما سقطت مملكة علوة التي امتدت إلى جنوبي الخرطوم. وانفتح الطريق أمام الإسلام تحمله القبائل العربية التي تدفقت تسير مع مجرى النيل عبر إقليم دنقلة، وكان تجار النوبة ينفذون حتي بلاد نيجيريا، كما كانت المؤثرات الآتية من غربي السودان تنفذ إلى الشرق، واتصلت برنو وواداي بدارفور وكردفان، وإن كان نشر الإسلام بين الشعوب الوثنية قد اضطلعت به القبائل العربية التي نفذت إلى الغرب بصورة أكبر مما أتيح لمن نفذ إلى الشرق إذ كان التقدم صوب الجنوب الشرقي تعترضه الحبشة وكانت مملكة قوية[2].

واستقر بعض القبائل العربية في بلاد النوبة، ولكن هذه كانت لا تغري الكثير بالبقاء. وكان يسكن الصحراء الشرقية ومنطقة البحر الأحمر شعب البجة وبعض القبائل العربية التي نزحت من زمن بعيد. وهكذا كان على كثير من القبائل العربية أن يسيروا مع النيل حتي إقليم المراعي، ثم يتجهوا نحو الجنوب الغربي إلى كردفان أو نحو الجنوب الشرقي إلى عطبرة والنيل

(١) المصدر السابق: ص ١٨٣، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٠٨، وانظر أيضاً: مكي شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية - القاهرة ١٩٦٤م.

(٢) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة ص ١٠٥.

الأزرق في البطانة (قرب الخرطوم وتبلغ مساحتها ٤ مليون فدان) ثم في الجزيرة. واتجهت بعض الجماعات القبلية التي يمثلها الآن شعب الكبابيش إلى المنطقة الصحراوية الغربية التي كان ينزلها الرحّل من قبائل التبُّو، كما أنها وجدت في إقليم كردفان مراعي صالحة لتربية الإبل وبدأت تختلط بالشعب الزنجي الذي يسكن هناك. واختلطت القبائل التي استقرت في منطقة الجزيرة مع الفونج. وغرّبت القبائل العربية التي يمثلها شعب البقّارة الآن بعد دخولها السودان عن طريق وادي النيل فتجاوزوا دنقلة ودخلوا ما كان يعرف بالسودان الفرنسي واستقر بعضهم في دارفور. أما القبائل الكبرى مثل الحمر والكبابيش فقد تجمعت في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر (١٨ أو ١٩م) من عدة جماعات كانت متفرقة، وتعاهدت مع ملوك الزنوج الأقوياء في الجنوب، وسرعان ما مكّنهم ترحالهم وتزاوجهم من الإنتشار واندمجوا مع الأهالي الأصليين. واتجهت قبائل حامية نوبية في الوقت نفسه نحو الجنوب والجنوب الغربي إلى إقليم كردفان واصطنعت تلك الهجرة بالصبغة العربية وإن كان العرب الحقيقيين فيها قليلين وقد تأثروا أثناء وجودهم في النوبة بمؤثرات زنجية[1].

وخلال الفترة التي امتدت بين القرن العاشر (١٦م) والنصف الأول من القرن الثالث عشر (الربع الأول من القرن ١٩م) قامت ممالك إسلامية في مناطق متفرقة من السودان كان من أهمها: **مملكة الفونج** (١٥٠٥-١٨٢٠م) التي قامت في بلاد النوبة مقام الدولة المسيحية الزائلة وكانت قاعدتها سنار، **وسلطنة دارفور** (١٦٣٧-١٨٧٥م) التي قامت في الأطراف الغربية من السودان ولعلها كانت تضارع **مملكة الفونج** في عظمتها، ثم **مملكة تقلى** (التي تأسست حوالي عام ١٥٧٠م واستمرت إلى أواخر القرن ١٩م) وقد قامت في الركن الشمالي الشرقي من منطقة جبال النوبا في غربي السودان وكانت أقل من السابقتين عظمة وإن كان لها أهميتها إذ مكنت للعناصر العربية من التوغل في ذلك الربع الشمالي الشرقي من جبال النوبا إلى الشمال والجنوب من بلدة رشاد وكانت هذه الجبال دائماً ملتجأ جماعات النوبا البعيدة عن الإسلام والثقافة العربية.

(١) المصدر السابق ص ١٠٦-١٠٧.

وقد اختلف في أصل **الفونج**، فارتأى أحد الباحثين أن الفونج أصلهم من الشلك الزنوج الذين سكنوا على الضفاف الغربية للنيل الأبيض عند دائرة العرض ١٣° شمالاً، ولكن ثبت أن مملكة الفونج كانت إسلامية لغتها العربية. والروايات الوطنية السودانية ترى أن الفونج أتوا من الحبشة وأصلهم سلالة عربية أموية هربت من وجه العباسيين. ويتجه رأي آخر إلى منطقة بحيرة تشاد جنوبي الصحراء الغربية حيث قامت «مملكة برنو» ورجح أحد الباحثين أن تكون هي موطن الفونج الأصلي. وثمة رواية وطنية تحكي أن دارفور وواداي خضعتا لسلاطين برنو، وتاريخ برنو الذي كتبه الإمام أحمد أحد العلماء في عهد ماي إدريس على ملك برنو (١٥٧١-١٦٠٣م) يذكر أن دولة كانم قد امتدت شرقاً إلى وادي النيل وأرض الدو (من منطقة دنقلة المسيحية). وفي إحدى روايات برنو الوطنية أن سلطنة سنار التي قضي عليها الأتراك عام ١٨٢١م قد أسسها شخص كان قد هرب من برنو أثناء حرب داخلية. وهكذا تمكن افتراض أن الفونج حين زحفوا على مملكة سوبا المسيحية وأسسوا ملكهم هناك كان قائدهم من الأسرة الهاربة من برنو، وتابع الفونج في زحفهم خليط من الشلك والحبشة والنوبة والعرب. وذكر توماس أرنولد أن قبائل البجة قد اندمجوا في دولة الفونج الإسلامية حين مدوا فتوحهم بين سنتي ١٤٩٩ و١٥٣٠م من الجنوب حتى حدود بلاد النوبة والحبشة وأقاموا مملكة سنار القوية. وقد اختط أول ملوك الفونج عمارة دونقس مدينة سنار ٩١٠هـ (١٥٠٥م)، وفي أيامه قدم السلطان سليم العثماني إلى سواكن ومصوع فامتلكها ودخل الحبشة، وأراد الزحف على سنار فأقنعه عمارة بالرجوع عن ذلك إذ لا مغنم من وراء ذلك «فإن كان لتأييد الإسلام فإني وأهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله ﷺ». وامتدت مملكة الفونج في أوجها من الشلال الثالث إلى النيل الأزرق ومن البحر الأحمر إلى كردفان ولكن كانت الأراضي بين النيلين الأبيض والأزرق هي التي تخضع لحكم سنار مباشرة إذا أقرّ الفونج ملوك الولايات ما داموا يدفعون الجزية. وقد نشطت الدعوة إلى الإسلام في عهد الفونج، وكانت سلمية في أغلب الأحوال، وكان للدعاة القادمين من الحجاز ومصر والمغرب أثرهم في هذا المجال إلى جانب الدعاة الوطنيين. وكان الحج والتجارة بين الحجاز والسودان من أكبر ما هيّأ السبيل لانتشار دعوة الإسلام في السودان. كذلك كان للفونج وممالك السودان الغربي صلات وثيقة

بالقبائل العربية المغربية ولا يبعد أن يكون الفونج حين زحفوا على مملكة سوبا من الغرب قد اصطحبوا معهم عدداً من العلماء المغاربة لحق بهم آخرون في مملكة سنار. ويذكر ودّ ضيف الله في «طبقاته» عدداً من علماء الفونج الذين يرجع أصلهم إلى المغرب أو الأندلس. كما كانت هناك علاقات علمية وتجارية بين مملكة سنار ومصر. وقد كانت مملكة سنار مركز العلوم الإسلامية وبخاصة في النصف الثاني من القرن العاشر (١٦م) وتطلعت إليها شتى أنحاء السودان شرقاً وغرباً، وكان النابهون من العلماء يرحلون إلى ملوك الفونج وأمرائهم ليعيشوا في جوارهم. وكانت سلطنة دارفور تستعين بفقهاء جزيرة سنار لنشر العلم في ربوعها وارتحل عدد من السناريين لطلب العلم بالأزهر في مصر وأقام بعض علماء الأزهر المصريين في مملكة سنار. **وأدّى انتشار الإسلام إلى الإندماج القبلي**، وإن ساقت الدعوات الصوفية إلى ظهور تجمعات على أسس أخرى هي الطرق الصوفية حتى ليصعب أحياناً التمييز بين الجماعة الصوفية وأهل القرية أو العشيرة في السودان. ولعلّ تقلبات الأحوال السياسية في البلدان الإسلامية حول السودان قبل عهد الفونج مما أعان على شيوع نزعة التصوف في السودان، إذ كانت السودان موئل المهاجرين من الحجاز ومصر والمغرب عند غلبة النفوذ الفاطمي، ثم حكم الأيوبيون مصر فكانوا أقرب إلى نفوس العرب السودانيين لكنهم ما لبثوا أن رأوا المماليك يصلون إلى السلطان، وأرسل بيبرس حملات إلى السودان فأعمل في بلاد النوبة قتلاً وتخريباً. وإلى جانب ذلك كانت أرجاء السودان تعاني من الاقتتال الداخلي والغارات الدائمة. وما لبثت الطرق الصوفية أن أمست هي الأخرى من دواعي الخصام والتفرق[1].

وقامت **مملكة دارفور** (١٦٣٧-١٨٧٥م) على **الكنجارة** وهؤلاء كانوا قد قدموا إلى دارفور من إقليم بحيرة تشاد جنوبي الصحراء الليبية وقد يكونون قدموا أصلاً من تونس، وهم ينتسبون إلى الهلاليين وقد اخترقوا برنو وواداي حتى وصلوا إلى دارفور ويظهر أنهم قد امتزجوا «بالتنجور» الذين قدموا من بلاد النوبة، وكلمة تنجور في لغة النوبة معناها قوس الصيد. ولقي

(١) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان - بيروت - ط٢ ١٩٦٧م ص ٤٥-٩٨، مكي شبيكة: السودان عبر القرون - القاهرة ١٩٦٤م، ص ٤٦، ٧٧. أيضاً: مملكة الفونج الإسلامية، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة ص١٠٥-١١٢، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ص٢١٢-٢١٤.

أحدهم اسمه «أحمد المعقور» احتفاء من ملك دارفور الوثني، وقد تمكن من إصلاح بعض الشئون الإقتصادية والإدارية، وتزوج ابنة الملك وورثه على العرش **وهكذا تأسست أول مملكة إسلامية في واداي وبرنو امتدّ نفوذها إلى دارفور**، وظل تاريخها غامضاً خلال القرنين الثامن والتاسع (١٤-١٥م) ولكن يبدو تؤن حكم ملك الأسرة قد استقام على بعض أجزاء المملكة عام ١٦٣٥م وإن كان قد انتزع منهم بعضها الآخر في نهاية القرن ١٥م. ومنذ قامت الحركات المرتبطة بنزعات بعض الفرق الإسلامية في المغرب وحدثت هجرة بني هلال وما ترتب عليها من آثار، أصبح إقليم بحيرة تشاد كغيره من الأقاليم الجنوبية وجهة هجرات متوالية عبر صحراء ليبيا. ثم كانت هجرات مسلمي الأندلس منذ القرن الثامن (١٤م) إلى إفريقية، وقد يكون بعضهم قد اتجهوا إلى جنوبي الصحراء. ويبدأ التاريخ الواضح لمملكة دارفور منذ عام ١٦٣٧م حين اعتلى «سليمان سلونج» العرش، وكلمة «سلونجا» بلغة الفور معناها عربي وأسرته تنتسب لبني هلال وقد تكون حركاتهم قد تغلغلت إلى جنوبي الصحراء ومن هناك انتقلت إلى دارفور. وسليمان من سلالة أحمد المعقور، وقد وحّد القبائل وبسط نفوذه على دارفور وكردفان. وحفر خطاً من الآبار بين الفاشر ومرتفعات كاجا كان له أثره في تيسير سبل التجارة بين الشرق والغرب وفي ربط دارفور بمراكز الإسلام في الشرق. وقد استقدم سليمان الفقهاء ليعلموا الناس الإسلام. وانتهج حفيده نهجه واستقدم عناصر من برنو وباجرمي إلى البلاد وشجع التجارة وأسس المساجد والمدارس واستخدم الأسلحة النارية. ودخل الناس في دين الله أفواجاً إثر اتصالهم بالتجار والفقهاء. وقد ظلّ الحكم في أعقاب سليمان حتي عام ١٩١٦م. وفقدوا كردفان بعد وفاة سليمان ثم استردوها، ودفعوا الجزية للعثمانيين ثم انتهى أمرهم بالخضوع للحكم المصري عام ١٨٧٤م[1] حتي انسحبت جيوش مصر من السودان.

(١) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان ص٤٦-٤٨ حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة ص١١٢-١١٥.

وتأسست **مملكة تقلى** حوالي عام ١٥٧٠م في الركن الشمالي الشرقي من منطقة جبال النوبا في غرب السودان واستمرت إلى أواخر القرن ١٩م وترجع إلى هجرة زاهد من الجعليين نزل في وسط تلال تقلى فاجتذب سكان النوبا بورعه وأخلاقه وصاهر زعيم الإقليم فتولى ابنه «جيلي أبو جريدة» الملك حوالي عام ١٥٧٠م ولم يلبث أن اشتمل ملكه على الإقليم الشرقي من الجبال بين تالودي في الجنوب وأبي حبل في الشمال وخلفه في الملك تسعة عشر من أبنائه وأحفاده، وفي ظل هذه الأسرة انتشر الإسلام والعربية في المنطقة وأعان على ذلك التزاوج مع القبائل النوباوية، كما عمل أولئك الملوك على تشجيع القبائل العربية على الهجرة واستيطان ذلك الركن من السودان بعد أن كانت جبال النوبا قلعة تحتمي بها الجماعات النوباوية البعيدة عن الإسلام والعربية. فأخذت جماعات من الجعليين وغيرهم تهاجر من الأقاليم النهرية ومنها بطون كاملة من الكواهلة وكنانة، وتنتشر ومعها الإسلام والعربية في جبال النوبا الشرقية. وهكذا تركت تلك المملكة آثاراً باقية على المنطقة، وإن كانت دون مملكتي الفونج ودارفور اتساعاً[1].

وحين فتح محمد علي حاكم مصر أراضي السودان عام ١٨٢٠م كان نفوذ الفونج إسمياً لا يتعدى الشاطىء الأيمن من مجرى النيل الرئيسي. وقد قاوم الشائقية الذين كانوا ينتمون إلى البجة وانفصلوا عن مملكة سنار الجيش الفاتح ولكنهم انهزموا لتفوقه في السلاح فانضموا إليه جنوداً غير نظاميين، كذلك خضعت مملكة دارفور للحكم المصري[2]. وقد كانت جيوش محمد علي أداة ضم وتوحيد لأجزاء السودان المتفرقة، وبلغت حملاتها أعالي النيل. وأعطى حكم محمد علي لتلك الأراضي كلها أسم «السودان» فتكونت هذه الوحدة السياسية الكبيرة وتميزت عن جيرانها.

وتمثل دائرة العرض ١٠° شمالاً أو شاطىء بحر العرب فاصلاً إثنوجرافياً بين السودان المسلم القوقازي في الشمال والسودان المتزنج في الجنوب. وكان للإدارة المصرية في «العهود التركية»

(١) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، ٤٥-٤٦.
(٢) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة ص ١١١-٢، ١١٤-٥.

كما تسمى في السودان تلك الفترة التاريخية التي تمتد من فتح محمد علي للسودان إلى الثورة المهدية - جهود في نشر الإسلام في أعالي النيل ما لبثت أن توقفت تحت وطأة الإدارة البريطانية في عهد الحكم الثنائي الذي كانت تشترك في ظله مصر إسمياً مع بريطانيا في حكم السودان (١٨٩٩-١٩٥٦م). وتركت الإدارة البريطانية السودان الجنوبي في تخلفه الشديد، وغرست بذور الشقاق بينة وبين السودان الشمالي. وقد تمّ في السودان مؤخراً توقيع معاهدة تمنح الحكم الذاتي للجنوب في ٢٨ مارس ١٩٧٢م.

أقاليم السودان الجغرافية :

يمكن أن يقسم السودان إلى الأقاليم الكبرى الآتية :

١ - وادي النيل.
٢ - شرقي السودان.
٣ - غربي السودان

١ - وادي النيل : يجري نهر النيل في السودان من دائرة العرض ٤° شمالاً حتي دائرة العرض ٢٢° شمالاً. ويبدأ هذا الجزء الأوسط من النهر منذ أن يغادر هضبة البحيرات الإستوائية ويهبط إلى السهول عند الدائرة العرضية الرابعة شمال خط الإستواء. ثم ينبطح النهر في جزئه المعروف **ببحر (أي نهر) الجبل** في حوض شبه مغلق حتي يتقابل مع بحر العرب القادم من الغرب وقد حملت أعاليه مياه المنطقة الإستوائية في حوض بحر الغزال والروافد الموازية الهابطة من منطقة تقسيم المياه بين النيل والكونغو. **وتلتقي مياه بحر الغزال وبحر الجبل وبحر العرب في منطقة** شبه دلتاوية كثيرة المستنقعات. ثم يخرج النهر من هذه الدلتا المستنقعية يحمل دفعة قوية من المياه المنحدرة من جنوبي هضبة الحبشة في **نهر السوباط**، ويتجه نحو الشمال باسم **النيل الأبيض**. وهذا الجزء من النهر كثير الجزر، يشبه البحيرة المستطيلة.

ويستقبل النهر مدداً ضخماً هابطاً من هضبة الحبشة، ممثلاً في **نهر النيل الأزرق** وروافده العديدة، التي تمتلىء بالمياه بعد سقوط أمطار الحبشة الصيفية، فيجري النهر قوياً مندفعاً جياشاً، ويحجز مياه النيل الأبيض عند التقائه به في «مقرن» الخرطوم.

يجري النيل بعد ذلك باسم **النيل النوبي** في إقليم شديد الإنحدار، على صورة ضخمة من الحرف اللاتيني S. ويعترض النهر في هذه المنطقة عدة جنادل أو شلالات، وهي مناطق تعترض فيها النهر جزر صخرية نارية عديدة، تبدأ من خانق سبلوكه (أو الشلال السادس) شمالي الخرطوم حتي أسوان (أو الشلال الأول). والنيل النوبي ضيق لا يترك في معظم أنحائه سوى سهول فيضية ضيقة فيما عدا منطقة دنقلة. ولا يستقبل النهر شمالي الخرطوم سوى رافد واحد هو **رافد عطبرة** أحد الروافد الحبشية من ناحية الشمال. أما شمال العطبرة فهر يجري في منطقة صحراوية شديدة الجفاف حتي القاهرة [أنظر مصر].

ونهر النيل - مع روافده - هو عصب السودان، وهو الظاهرة الجغرافية الوحيدة التي ميزته عن بقية الإقليم السوداني الكبير. وقد صعدت الحضارة المصرية منذ أقدم عصورها مع نهر النيل نحو الجنوب على مدى قرون متطاولة وببطء شديد حتي الخرطوم، فامتدت حضارة مصر القديمة إلى إقليم النوبة، وجاءت إحدى الأسر النوبية إلى عرش مصر أثناء تعرضها للغزو الأشوري. ثم دخلت المسيحية النوبة عن طريق مصر أيضاً في القرن السادس الميلادي. وكان الإسلام خاتم الأديان، وقد أخذ طريقه إلى مصر ثم السودان.

ويمكن أن يقسم وادي النيل في السودان إلى : حوض بحر الغزال، والحوض الأوسط، والنيل الجنوبي.

أما حوض بحر الغزال فهو حوض متسع، تحيط به سلاسل من المرتفعات، فمن الجنوب كتلة ايماتونج، ومن الشرق كتلة بوما والحافة الجنوبية لهضبة الحبشة، ومن الغرب مقسم المياه بين النيل والكونغو ويسمى بالكتلة الحديدية، وتشغله المحافظة الإستوائية في الجنوب، وعاصمتها جوبا، وهي ذات تربة حمراء، وتسقط عليها الأمطار الغزيرة في فصل الربيع

والخريف ، وتعطيها غابات الأروقة ، وهي جيدة الصرف لارتفاعها ، وتصلح لزراعة المحاصيل الشجرية والذرة الرفيعة .

أما محافظة بحر الغزال في الغرب فعاصمتها واو ، وقد مدت إليها سكة حديد كردفان ، من الأبيض إلى بابنوسه ، ثم جنوباً إلى واو . وتشمل هذه المحافظة جزءاً من الأراضي التي تغمرها مياه الأنهار ، وجزءاً من الهضبة الحديدية التي تفصل بين النيل والكونغو . وهذه المحافظة غزيرة الأمطار أيضاً ، إذ تسقط عليها الأمطار ثمانية أشهر في السنة . وتسكنها أقوى قبائل الجنوب التي تسمى بالقبائل النيلية ، وهي قبائل الأزاندي . وقد أقيم مشروع لتوطينهم يعتمد على زراعة الأرز . وتقطع كتل الأخشاب من هذا الإقليم .

وتشغل **محافظة أعالي النيل** حوض بحر الجبل وبحر الزراف وأعالي النيل الأبيض . وتعيش في هذه المحافظة قبائل الشلوك والدنكا وعاصمته ملاكال . وهذه القبائل تربي الماشية وتزرع الذرة الرفيعة . وتفكر حكومتا السودان ومصر في تنفيذ مشروع قناة جونجلي لاستنقاذ كميات ضخمة من مياه النيل التي تضيع بين منحنيات النهر الكثيرة أو تتشربها السدود النباتية التي تعترض النهر . ويستهدف هذا المشروع ، إلى جانب توفير قدر كبير من مياه النيل ، توطين قبائل الدنكا والشلوك واستصلاح الأراضي لهم .

هذه المحافظات الثلاث تكون السودان الجنوبي ، حيث لا تزال هناك نسبة كبيرة من الوثنيين الذين لا يتحدثون العربية ويقل بينهم انتشار الإسلام . وهم في تعدادهم لا يزيدون عن ثلث سكان السودان . وتتوفر في السودان الجنوبي إمكانات ضخمة لإنتاج الغذاء حتى إنه ليعد أحد المصادر الرئيسية لذلك في إفريقية بل في العالم . لكن تحتاج هذه الأرجاء الشاسعة لرؤوس أموال ضخمة ومهارة بشرية كي تستثمر مواردها أحسن استثمار .

وتنحصر **أرض الجزيرة** وامتدادها في «أرض المناقل» بين النيلين الأزرق والأبيض . وهي أرض تامة الإستواء تقريباً ، مكونة من الغرين الأسود الخصب ، وتعتبر وسط السودان ومركزه السكاني ، حيث يتلاقى المحور النيلي الجنوبي الشمالي ، عجور الساقانا الشرقي الغربي ، وقد أقيم

على النيل الأزرق خزان سنار وتمّ بناء السدّ عند مكوار عام ١٩٢٥م وشقت الترع في أرض الجزيرة لري نحو مليون فدان تزرع قطناً طبقاً لنظام تعاوني . كما أقيم أخيراً خزان الرصيرص للتوسع في زراعة أرض المناقل بالمحاصيل النقدية المختلفة ، ولا يزال الإقليم بين النيل الأزرق ونهر الرهد يحمل الإمكانات ليكون منطقة توسع زراعي في المستقبل .

أما **وادي النيل من الخرطوم حتى الحدود الشمالية** ، فالزراعة فيه تقوم على السواقي ، وهي تشبه زراعة الحياض في مصر .

٢ – شرق السودان : هذا الإقليم يقع بين البحر الأحمر ونهر النيل ، وترتفع فيه **جبال البحر الأحمر** التي تمثل الحافة القافرة لأخدود البحر الأحمر وهي جبال نارية نشأت نتيجة تصدع البحر الأحمر وارتفاع جوانبه [أنظر مصر ، والمملكة العربية السعودية] . وهذا الإقليم قليل الأمطار بعامة . تشغله **الصحراء** في الشمال حتى دائرة عرض بورسودان ، ثم يبدأ الإقليم الممطر الذي تُصيبه أعاصير الشتاء جنوبي الميناء . وتتزايد الأمطار بعد ذلك وتسقط صيفاً كلما اتجهنا جنوباً ، ولكنها لا تزيد على ثلاثة أشهر في السنة ، وهي تتيح نمو الأعشاب والأشجار المتناثرة .

ويجري **خور بركة وخور القاش** منحدرين من هضبة الحبشة ويفيضان بالماء في شهور يوليه وأغسطس وسبتمبر وقد كون كل منهما دالاً داخلية خصبة . إلا أن مساحة الأرض المروية تتذبذب من عام لآخر . ومن الممكن زراعة نحو ٥٠ ألف فدان في كل من هذه الدالات . وهناك مشروع لزراعة القطن وزيت الخروع في دلتا القاش على غرار مشروع الجزيرة .

أما فيما بين نهري العطبرة والأزرق فيمتد سهل البطانة المتسع ، وتربته طفلية وهو يصلح للتوسع في زراعة الذرة الشامية . وتعتبر أرض القضارف وسهل البطانة مجالاً ضخم للتوسع في إنتاج الحبوب الغذائية وتربية الحيوان ، وتسكن قبائل البجة أو البجاة شرقي السودان . وهي قبائل حامية الأصل اعتنقت الإسلام منذ عهد بعيد .

٣ – غرب السودان : يدخل **الجزء الأوسط من إقليم غرب السودان** ضمن نطاق السافانا الكبير الذي يلي الصحراء الكبرى جنوباً ، ويمتد متصلاً من كردفان إلى دارفور ثم يشمل بقية الإقليم السوداني إلى الغرب . وتسقط عليه أمطار الصيف الغزيرة المتذبذبة من عام إلى آخر . ولكن سرعان ما تبلغ أرض القوز أو الرمال هذه الأمطار ، فتكون طبقة حاملة للماء تنحدر نحو الشمال ، وتغذي الواحات المصرية .

وترتفع **جبال النوبا** في شرقي كردفان ، وهي كتلة من الصخور النارية ، اعتزلت فيها قبائل زنجانية لا يزال بعضها على الوثنية . وقد وجدت الدعوة إلى الإسلام مجالها بينهم بعد استقلال السودان وقد كانت البعثات التبشيرية الأجنبية تنفرد بالعمل هناك من قبل .

ويتركز التجار العرب في المدن التي تقع على سفوح الجبال ، مثل الدلنج وكادوجلي ورشاد . وغرب السودان هو إقليم الرعي بمعني الكلمة في السودان ، حيث ترعى القبائل عربية الأصل المسماة بالكبابيش الإبل في الشمال ، كما ترعى قبائل البقّارة البقر في الجنوب . وقد مدّ خط حديدي وادي حلفا–الخرطوم–وادمدني–سنار نحو الغرب حتي رهد والأبيض ، فأعان القبائل البدوية على التركز حوله ، ثم مد الخط الحديدي بعد الإستقلال غرباً حتي بيانوسه ونيالا وجنوباً حتي واو .

وغرب السودان هو موطن الثروة الحيوانية للسودان ، ويجمع الصمغ العربي من أشجار السنط في كردفان .

الاقتصاد :

الاقتصاد الزراعي في السودان يقوم على الريف ، حيث يعيش ٨٧٪ من السكان على الزراعة والرعي . ويعتمد الإقتصاد السوداني على تصدير القطن ، الذي يمثل أكثر من نصف الصادرات ، وتحتكر مصر والسودان القطن طويل التيلة في العالم . والسودان ينتج ٣٠٪ من هذا القطن بينما تنتج مصر الباقي كله تقريباً . والسودان أكبر مصدر للصمغ العربي في العالم

(٩٠٪ من الإنتاج العالمي) كما ترعى فيه ١٣,٦٥٠,٠٠٠ رأساً من الماشية ، ومثلها تقريباً من الغنم ، ونحو ٢,٥٠٠,٠٠٠ رأس من الإبل . وبالسودان إمكانات زراعية ضخمة فهناك ١٦٠ مليون فدان لا تحتاج إلى الماء أو الخصب ، وإنما تحتاج لليد العاملة ورأس المال . وهو يعيش في ظل وحدة مائية مع مصر ، ويتعاون معها في مشاريع نهر النيل كلها .

ويبلغ عدد السكان (حسب إحصاء ١٩٧٠م) ١٥ مليون نسمة ، ٧٥٪ منهم مسلمون كلهم من أهل السنة ، وينتشر الإسلام حثيثاً في الجنوب الزنجي .

وعاصمة السودان هي الخرطوم التي أسسها محمد علي عام ١٨٢٢م ، وتقابلها في الضفة الغربية أم درمان (وهي جزء من العاصمة المثلثة) وكانت أم درمان تعتبر العاصمة الوطنية ، التي انتقلت إليها مقاليد الحكم في عهد المهدية ، ولا تزال بها قبة المهدي وقصر الخليفة التعايشي الذي تحول إلى متحف وطني .

وميناء السودان هو بور سودان ، أسسها الإنجليز عام ١٩٠٥م لتنافس سواكن التي كانت تحمل الطابع الإسلامي العربي لمدن البحر الأحمر ، وقد ظل هذا الميناء في يد القوات المصرية طوال حكم المهدية . وقد قضي على سواكن تماماً نقل وظيفتها إلى بور سودان . وتربط الخطوط الحديدية بين الخرطوم وبور سودان عن طريق عطبره ، وعن طريق سنار–القضارف . وبالسودان مدن أقدم بكثير من المدن سالفة الذكر ، مثل دنقلة : قاعدة الإسلام الأولى في السودان ، وبربر : المدينة التجارية ، والدامر وسنار وكلها على نهر النيل . أما الأبيض فهي عاصمة كردفان ، في حين تقع الفاشر عاصمة دارفور عند نهاية طريق الأربعين القديم الذي كانت تسلكه القوافل بين مصر والسودان .

(٣) ليبيا

تبلغ واحة ليبيا ١,٧٥٩,٥٤٠ كيلومتراً مربعاً، وهي تمثل منطقة فقيرة الموارد الزراعية تتوسط منطقتين أكثر غنى منها في شمال إفريقية، هما مصر في الشرق وتونس وبقية بلاد المغرب في الغرب. وهي تمتد من ساحل البحر المتوسط في الشمال، حيث تلاطم أمواج البحر رمال الصحراء الكبرى فيما بين خليج سرت وطرابلس، وحتى تصل إلى حافة إقليم الساقانا في الجنوب. وقد كانت حتى وقت اكتشاف زيت البترول تعتبر «أفقر دولة في العالم» ثم أغناها الله من فضله منذ اكتشاف ما أودع الله باطن أرضها من نعمته.

الإسلام في ليبيا:

كانت كلمة ليبيا تعني إفريقية عند الإغريق، فلم تكن تطلق فقط على ليبيا الحالية. ومنذ القرن الرابع قبل الميلاد أقام الفينيقيون مستعمرات لهم على ساحل برقة وطرابلس وقد تبعهم في ذلك الإغريق والرومان، وكانت هذه المستعمرات في الحقيقة مراكز على طرق التجارة البحرية التي كانت تربط موانىء البحر المتوسط بعضها ببعض، كما كانت مراكز تجارية تمدّ تلك التجارة بحاصلات إفريقية التي كانت تحملها قوافل الإبل عبر الصحراء الكبرى. وقد ذكر المؤرخون المسلمون هجرات من الشام وفلسطين انتهى أصحابها «إلى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من السماء ولا ينالها النيل. فتفرقوا هنالك: فتقدمت زناته ومغيلة إلى المغرب وسكنوا الجبال، وتقدمت لواته فسكنت أرض أنطابلس وهي برقة وتفرّقت في هذا المغرب وانتشروا فيه حتى بلغوا السوس، ونزلت هوارة مدينة لبدة، ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرت وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك. وأقام الأفارق وكانوا خدماً للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم».

وعلى أثر استقرار الفتح الإسلامي لمصر «سار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية... حدثنا ابن لهيعة أن انطابلس

فتحت بعهد من عمرو بن العاص... ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج، إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها. ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين... ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرين، وقيل ثلاث وعشرين... وكان البحر لاصقاً بسور المدينة، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم... فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة، ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذي غاض منه البحر، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبّروا، فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم... فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة أطرابلس جرّد خيلاً كثيفة من ليلتة وأمرهم بسرعة السير، فصبّحت خيله مدينة سبرت وقد غفلوا وقد فتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد واحتوى جند عمرو على ما فيها ورجعوا إلى عمرو». ويذكر أن عمرو كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب في مواصلة فتح إفريقية فلم يوافق الخليفة، وشغل عمرو بانتقاض الإسكندرية ومحاولة الروم العودة إليها «فانصرف عمرو راجعاً مبادراً لما أتاه، وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل، فيصيبون الغنائم ثم يرجعون»[1].

على أن أهل برقة ظلوا على عهدهم للإدارة الإسلامية في مصر وإن لم يقم كيان عسكري إداري مستقر للمسلمين ببلادهم، فكانوا «يبعثون بخراجهم إلى والي مصر من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث، فكانوا أخصب قوم بالمغرب ولم تدخلها فتنة. وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة، فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها». وكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عن نتائج فتوح عقبة بن نافع الفهري الأولى في المغرب فقرر «أن من بين زويلة وبرقة سلم كلهم حسنة طاعتهم، قد أدى مسلمهم الصدقة وأقرّ معاهدهم بالجزية، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه، وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها على الفقراء، ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل إليه بمصر، وأن يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ومن أهل الصلح صلحهم»[2].

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٢٩-٢٣٢.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٢٦.

وتولى عبدالله بن سعد بن أبي سرح مصر بعد عمرو بن العاص فكان «يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو، فيصيبون من أطراف إفريقية ويغتنمون»[1]. ويبدو أن برقة ظلت على طاعتها للمسلمين في حين انتقضت طرابلس حين وجدت الفرصة سانحة لذلك، نظراً لعدم وجود كيان عسكري إداري ثابت للمسلمين فيها، ولاضطراب أحوال المسلمين الداخلية منذ أواخر خلافه عثمان. وقد أعاد جيش بقيادة عبدالله بن سعد الإستيلاء على طرابلس عام ٢٨هـ دون عناء، وكان فيه عدد من الصحابة فيهم سبعة كل منهم يسمى بعبدالله ومن ثم سميت بغزوة العبادلة. ثم اتجه جيش المسلمين بعد ذلك نحو إفريقية[2]. وكانت الجيوش التي تخرج لاستكمال فتح المغرب تستخدم ليبيا قاعدة لها وتؤمن فتح ما يكون قد انتقض من كورها. وقد ظلت ليبيا ممراً للجنود المسلمين والقبائل العربية المسلمة في طريقها إلى المغرب أو قافلة منها إلى مصر. وقد تحولت قبائل إلى مصر وإفريقية منها قبيلة سليم وهي قبيلة عظيمة من قيس عيلان وقد سكنت في طوائف عظيمة منها برقة مما يلي المغرب ومما يلي مصر[3]. وقد شجع الفاطميون هجرة بني هلال وهم قيسية من بني سليم إلى مصر ثم رأوا أن يتيحوا لهم سبيل الهجرة إلى بلاد المغرب. وقد سكن كثير من بني سليم في الجبل الأخضر في برقة بينما توغل فريق آخر أكثرهم من بني هلال في سائر بلاد المغرب. وأخذ بنو سليم بعد قرون يعودون إلى مصر في موجات متتالية خلال القرن ١٨م بعد أن اختلطوا بالبربر فملأوا صحراء مصر الغربية[4]. وهكذا كانوا بنو سليم وعشائرهم التي من أبرزها بنو هلال ممن عمّروا ليبيا وصبغوها بالصبغة العربية منذ منتصف القرن الخامس الهجري تقريباً (منتصف القرن ١١م).

وفي العصور الحديثة هاجر محمد بن على السنوسي المولود بمستغانم في الجزائر في عام ١٢٠١هـ (١٧٨٧م) إلى برقة حيث شيّد (الزاوية البيضاء) في الجبل الأخضر، وأقام في جغبوب وتوفي فيها في عام ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م) وكانت له دعوة دينية لإصلاح النفوس بتعاليم

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٤٦.
(٢) حسن سليمان محمود: ليبيا الماضي والحاضر - القاهرة ١٩٦٢م - ص ١٠٥-١٠٦.
(٣) المقريزي: البيان والإعراب ص ٦٨-٧٠.
(٤) عبد المجيد عابدين: دراسات... ملحقة بالبيان والإعراب للمقريزي ص ١١٦، ١٦٧.

الإسلام مع تنظيم صوفي لأتباعه، وقد خلف مؤلفات متعددة. ونشط في إنشاء الزوايا في واحات الصحراء بين فزان وكانم، فكانت مراكز لتعليم الدين والعبادة والتدريب على الجهاد، كما كانت كل زاوية مجتمعاً صغيراً يعيش حياة متكاملة ويلبي احتياجاته كلها بالإعتماد على جهود أبنائه في الزراعة والصناعة اليدوية. وقد اجتذبت هذه الزوايا بدو الصحراء إلى التوطن وأدت إلى تنشيط تجارة القوافل.

وقد خلف محمد بن علي السنوسي في قيادة أتباعه ابنه محمد الذي أقام في الكفرة في عام ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) ثم في واداي حيث توفي عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م). وقد انتشر أتباعه بين المسلمين في شتى الأنحاء ونقل الشيخ مقره إلى الكفرة ليكون قريباً من الزوايا التي أنشئت بالسودان.

وتعرضت ليبيا للغزو الإيطالي في عام ١٩١١م فثارت مقاومة شعبها المسلم التي قادها الشيخ أحمد الشريف السنوسي من مقره بواحة الكفرة، والشيخ عمر المختار شيخ زاوية القصور الذي تلقى توجيهات الشيخ السنوسي في هذا الشأن. وأثبت المؤمنون المجاهدون بطولتهم في حرب غير متكافئة مع الإيطاليين. ومع أن ملك إيطاليا أصدر منشوراً يعد بالمحافظة على شعائر الإسلام ويسمح بالدعاء للسلطان العثماني بصفته خليفة المسلمين على المنابر إلا أن الشيخ أحمد السنوسي قال: «نحن والصلح على طرفي نقيض، ولا نقبل صلحاً ثمنه تسليم البلاد للعدو». لكن القوات التركية انسحبت من طرابلس، وأبلغ مندوب الحكومة العثمانية الشيخ أحمد السنوسي في الجغبوب «إسناد أمر الأمة الليبية إليه ومنح الخليفة الأمة الطرابلسية استقلالها تاركاً لها تقرير مصيرها والدفاع عن نفسها»!! وهكذا انفردت جيوش الإستعمار الإيطالي بالليبيين وحدهم فاستطاعت إخضاعهم بعد قتال عنيف استعملت فيه وسائل وحشية[1]. وظلت البلاد مستعمرة إيطالية حتى دخلتها جيوش بريطانيا وحلفائها بمعاونة السنوسيين في عام ١٩٤٥م بعد أن حاول الإيطاليون أن يجعلوا من ساحل برقة وطرابلس مستعمرة استيطانية لهم للتفريج عن

(١) حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص ٢٢٤-٢٢٧، والحاشية ص ٢٢٥-٢٢٦.

الضغط السكاني في إيطاليا. وفي ٢٤ ديسمبر ١٩٥١م أصبحت ليبيا مملكة اتحادية مستقلة، ثم أعلنت مملكة موحدة في عام ١٩٦٣م، إلا أن موقعها الإستراتيجي على ساحل البحر المتوسط دفع كلا من بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا إلى الاحتفاظ بقواعد عسكرية في برقة وطرابلس وفزان على التوالي. وبقيت من هذه القاعدة الأمريكية، التي وافق الأمريكيون على الجلاء عنها بعد حركة الجيش الليبي في أول سبتمبر عام ١٩٦٩م وإعلان الجمهورية.

الأقاليم الجغرافية :

تتكون ليبيا من **ثلاثة أقاليم جغرافية**، هي **برقة في الشرق**، **وطرابلس في الغرب**، **وفزان في** الجنوب. وتبيّن هذه الأقاليم تأثر ليبيا بمناخ الصحراء من ناحية والبحر المتوسط من ناحية أخرى. ولكن يبرز مع ذلك أن أهم خصائص ليبيا الجغرافية وهي كونها جزءاً من الصحراء الكبرى، فمراكز العمران فيها واحات متناثرة، والزراعة فيها بقع قليلة متباعدة.

ويمثل **إقليم برقه** في الشرق هضبة جيرية بيضاوية الشكل تمتد ٢٥٠ كيلومتراً على ساحل البحر المتوسط، ولا يزيد ارتفاعها على ١٠٠٠ متر، وقد مكنّها هذا الإرتفاع من أن تتلقى قدراً من الأمطار يسمح بقيام الزراعة المستقرة على المدرجات، وإن قامت الزراعة خلال المدرج الأول (في سهل بنغازي وطوكره واللاطرون ودرنة) على الري. وتنمو غابات البحر المتوسط فوق السفوح الشمالية والشمالية الغربية.

أما في الغرب فيوجد **إقليم طرابلس**، وتظهر فيه بوضوح مؤثرات البحر المتوسط المناخية والنباتية، فمن زداره على الحدود التونسية حتى مزراته في الشرق على مدى ٣٠٠ كيلومتر من السهول، تتوالى الواحة تلو الأخرى ولكن دون استمرار، فيفصل الواحدة عن الأخرى سلسلة من الكثبان الرملية أو إحدى البحيرات المقتطعة. وتضم طرابلس أفضل الأراضي الزراعية التي تعتمد زراعتها على الري، ويبلغ أقصى عرض لها ١٠ كيلومترات. وتزرع فيها أشجار الزيتون والموز والحمضيات، كما تمتد حقول القمح والشعير. ويقل المطر كلما اتجهنا شرقاً، حيث نجد الأراضي التي تحيط بخليج سرت شبه صحراوية ثم لا تلبث الصحراء أن تظهر في هضبة جفاره

وجبل نفوسه وغريان غير بعيد عن الساحل. وهذه الهضاب هي مراعي الغنم والماعز، وقد ت شيء من الشعير على سفوحها البحرية. وهي في مجموعها تعتبر من مناطق الاستيس الفق

أما **فزان** فتتكون من ثلاث منخفضات مستطيلة ينفصل إحداها عن الأخرى وتحوط المرتفعات وهي وادي الشاطىء في الشمال ووادي الآجال ومرزق وسبخه أوباري في الجنو وتربة هذه المنخفضات رملية الحبيبات خصبة إذا توافرت لها المياه الباطنية وتزرع فيها الحبو والنخيل.

الاقتصاد والسكان.

بلغ عدد سكان ليبيا في عام ١٩٧١م ٢,٠١٠,٠٠٠ نسمة، بكثافة تبلغ أقل من نس للكيلو المربع ويتركز ٧٥٪ من السكان في إقليم طرابلس و٢٣٪ في إقليم برقة ويعيش ٣٠٪ م سكان ليبيا في المدن القائمة على ساحل البحر المتوسط أو في الواحات. ويسكن مدينة طراب ٣٨٠,٠٠٠ نسمة، وهي مدينة ذات تاريخ قديم يرجع إلى عهد الرومان كما أنها تعتز بمساجدها الكبيرة. وقد حاول الإيطاليون أن يكسبوها طابعاً أيطالياً في عهد استعمارهم. أما بنغازي فيسكنها ٢٨٠,٠٠٠ نسمة ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس ق.م عندما كانت جزءاً من إتحا المدن الإغريقية الليبية. والبيضا مدينة حديثة (قامت على أنقاض مدينة إغريقية قديمة أيضاً أنشأ فيها الملك ادريس السنوسي جامعة إسلامية كبيرة. أما سبها فهي مثال لمدن الواحات وتق على طريق القوافل الكبير عبر الصحراء وترابط حول أبوابها قبائل الطوارق الصحراوية

وقد أدى تدفق البترول إلى انتعاش الحياة الحضرية في ليبيا. وصار اقتصاد ليبيا يعتم اعتماداً كاملاً على البترول، الذي حقق للبلاد الثراء. وقد بدأ تدفقه لأول مرة عام ١٩٥٥ ومنذ ذلك التاريخ والشركات الأجنبية ماضية في التنقيب عنه ومعظمها شركات أمريكي وهناك ٧٣ امتياز للبحث عن البترول واستخراجه، تغطي مليون كيلومتراً مربعاً. ويقد احتياطي البترول في ليبيا بنحو ٤٠٠٠ مليون طن، وقد تزايد المستخرج منه من أقل من ١٠ مليون طن في عام ١٩٦٢م إلى أكثر من ١٦٠ مليون طن في عام ١٩٧١م. وتحمل الأنابيب

البترول من قلب الصحراء إلى موانىء شيدت خصيصاً لتصديره في بريقة وسدره ورأس لاتون والحريقة وزويتينا.

وقدرت صادرات البترول في منتصف ١٩٧١م بنحو ١٠٠٠ مليون جنيه، وهي مع الإرتفاع المطرد في أسعار البترول وتعمل ليبيا على استثمار دخلها الضخم في عدة مشاريع تنهض بأحوال البلاد العمرانية والاقتصادية. وفي ليبيا جامعتان بجانب الجامعة الإسلامية، إحداهما في بنغازي والأخرى في طرابلس.

(٤) تونس

تقع تونس في الطرف الشرقي لبلاد المغرب، حيث يقسم الساحلان الشمالي والشرقي لها حوض البحر المتوسط إلى حوضين يفصل الساحلان بينهما. وتقترب السواحل الشمالية الشرقية من خصر هذا البحر وجزره التي كانت بمثابة جسر بري بين شمالي إفريقية وجزيرة صقلية وجنوبي إيطاليا. وقد كان هذا الجسر قائماً فعلاً منذ مليون سنة. وظلت الهجرات البشرية تنتقل من بر إلى جزيرة، ومن جزيرة إلى أخرى، ومن ثم كان موقعها الجغرافي الهام بالنسبة لاستراتيجية هذا البحر. وقد أدت تونس دورها بجدارة وأقامت الأربطة على سواحلها لتحمي بلاد الإسلام من هجمات الأوروبيين، ولكن في وقت ضعفها استغل المحتل الأوروبي مزايا موقعها لمصلحته، مثلما حدث بالنسبة لمصر ولبلاد الشام. وتبلغ مساحة تونس ١٦٤,١٥٠ كيلومتراً مربعاً، وتطل بساحليه على البحر المتوسط وتبلغ طول سواحلها ١٣٠٠ كيلومتراً.

الإسلام في تونس:

تشترك تونس مع شقيقاتها في شمال إفريقية في تاريخها الطويل فقد أنشأ فيها الفينيقيون مستعمراتهم الكبيرة وأشهرها قرطاجة التي ازدهرت ردحاً من الزمن حتى نافست روما على السيطرة على البحر المتوسط، وغزا عاهلها الكبير هانيبال الأراضي الرومانية نفسها، ولكن انتصرت روما على قرطاجة بعد صراع مرير في القرن الثامن قبل الميلاد. وعبرت الأراضي التونسية قبائل الوندال الهندية الأوروبية في القرن الخامس الميلادي. كما حكمها البيزنطيون. وظل البربر أهل البلاد الأصليون بمنأى عن هذا كله واعتصموا بالداخل.

وحين تولى عبدالله بن سعد أبي سرح مصر بعد عمرو بن العاص «كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو، فيصيبون من أطراف إفريقية ويغتنمون». ثم ما لبث عبدالله بن سعد أن كتب إلى الخليفة عثمان بن عفان «وأخبره بقربهم (أهل إفريقية) من حرز المسلمين، ويستأذنه في غزوها. فندب عثمان الناس لغزوها بعد المشورة في ذلك... فخرج

عبدالله بن سعد إليها ، وكان مستقر سلطان إفريقية بمدينة يقال لها قرطاجنة ، وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل استخلفه ، فخلع هرقل وضرب الدنانير على وجهه وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة... فلقيه جرجير فقاتله فقتله الله وكان الذي ولى قتله فيما يزعمون عبدالله بن الزبير. وهرب جيش جرجير فبعث عبدالله بن سعد السرايا وفرّقها فأصابوا غنائم كثيرة. فلما رأى ذلك رؤساء إفريقية طلبوا إلى عبدالله بن سعد أن **يأخذ منهم مالاً على أن يخرج من بلادهم فقبل ذلك منهم ورجع إلى مصر، ولم يولّ عليهم أحداً ولم يتخذ قيروانا**... حدثنا الليث بن سعد قال : بعث عبدالله بن سعد عبدالله بن الزبير وكان في الجيش بالفتح ، فقدم على عثمان بن عفان ، فخرج عثمان إلى المسجد ومعه ابن الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر الذي أبلى الله المسلمين على يد عبدالله بن سعد ثم قال : قم يا عبدالله بن الزبير فحدّث الناس بالذي شهدت... فما فرغ حتى ملأهم عجباً... وكان فتح إفريقية كما حدث الليث بن سعد سنة سبع وعشرين »[1] . وروى الواقدي أن « عبدالله بن سعد بن أبي سرح صالح بطريق إفريقية على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف... ولما صالحه رجع إلى مصر ولم يولّ على إفريقية أحداً ولم يكن لها يومئذ قيروان ولا مصر جامع »[2] . وهكذا استهلت فتوح المغرب الحقيقية في إفريقية في خلافة عثمان التي استمرت خلالها فتوح الإسلام المظفرة التي عرفتها خلافة عمر بن الخطاب ، وقد شوّش على منجزات ذى النورين لغط الفتنة التي انتهت بمقتله رضي الله عنه ، لكن كفى بالتاريخ شاهداً « فعثمان هو الذي سمح لمعاوية بن أبي سفيان بإنشاء الأسطول... وبذلك بدأت الفتوحات في البحر في جزر أرواد ورودس وقبرص ، كما حطّم العرب (المسلمون) الأسطول البيزنطي في ذى الصواري في أواخر سني عثمان عام ٣٤هـ (٦٥٤م). وعلى أيام عثمان تمت فتوح فارس بمقتل يزدجرد الثالث على حدود التركستان في عام ٣١هـ (٦٥١م). وعلى أيامه أيضاً بدأت فتوح المغرب الحقيقية في إفريقية... إن الأزمة التي انتابت الخلافة بعد مقتل عثمان كان لها آثارها في توقف الفتوح ، لكن التوسع الذي تمّ على أيامه يعتبر من وجه استمراراً لبرنامج عمر ، كما يعتبر من وجه آخر تخطيطاً للفتوحات الكبرى التي ستتم على

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٤٦-٢٥٢.
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٢٨-٢٢٩.

أيام الأمويين - أقارب عثمان ، بإعداد أعظم وبتنظيم أكثر ، وبخاصة في بلاد المغرب »[1] .

وقد كان في جيش المسلمين الذي دخل إفريقية لأول مرة عبد الرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عباس حتى عرفت الحملة بغزوة العبادلة. وقد انضم إلى الجيش في برقة عقبة بن نافع الفهري وأصحابه وكانوا مرابطين هناك حسب رواية ابن الأثير[2] . وكانت سبيطلة Sufetula التي التقى عندها المسلمين بجرجير (جريجوريوس) أحد حصون خط الدفاع الثاني البيزنطي ضد هجمات البربر ، وكانت بمثابة عاصمة لإفريقية بدلاً من قرطاجنة.

ثم أعقب حملة عبدالله بن سعد خروج معاوية بن حديج التجيبي إلى المغرب سنة أربع وثلاثين ، وصحبه في حملته تلك عبد الملك بن مروان الذي ولي الخلافة فيما بعد ، وكان الأمويون حريصين على إرسال أبنائهم إلى ميادين الجهاد لاستكمال تربيتهم « فافتتح قصوراً وغنم غنائم عظيمة ، واتخذ قيروانا عند (القرن) فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر ، وكان معه في غزاته هذه جماعة من المهاجرين والأنصار... عن يزيد بن حبيب : غزا معاوية بن حديج إفريقية ثلاث غزوات أما الأولى فسنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان... والثانية سنة أربعين والثالثة سنة خمسين »[3] .

وكانت حرب المغرب قد غدت بالنسبة للخلافة وولاية مصر أشبه ما تكون بحملات الثغور الدورية التي كانت تخرج من الحدود الإسلامية البيزنطية إلى بلاد الروم وعرفت بالصوائف[4] وإنما تحقق الفتح الدائم المستقر في المغرب على يد المجاهد عقبة بن نافع الفهري الذي ما فتىء مرابطاً في برقة منذ فتحها المبكر ، والذي كان قد مضى في الفتح حتى بلغ زويلة في ولاية عمرو

(١) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي - القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٩٨.
(٢) ابن الأثير : الكامل - أحداث عام ٢٦هـ ، ج٣ ص ٤٣.
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب : ص ٢٦٠-٢٦١.
(٤) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي : ص ١٢٣ ، ١٣٧.

بن العاص لمصر فكان «من بين زويلة وبرقة سلم كلهم» كما كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر. وقد خرج عقبة بن نافع إلى المغرب سنة ست وأربعين، ودعّم فتح ودّان وكانت قد نقضت، ثم سار إلى جرمة مدينة فزّان العظمى «فدعاهم إلى الإسلام فأجابوا» وافتتح قصور فزّان قصراً قصراً، وظل يتابع الفتوح في أرض المغرب «ثم انصرف راجعاً فسار حتي نزل بموضع زويلة اليوم ثم ارتحل حتي قدم على عسكره بعد خمسة أشهر وقد جمعت خيولهم وظهورهم فسار متوجهاً إلى المغرب... ثم بعث خيلاً إلى غدامس فافتتحت غدامس فلما انصرفت إليه خيله سار إلى قفصة فافتتحها وافتتح قصطيلية. ثم انصرف إلى القيروان فلم يعجب بالقيروان الذي كان معاوية بن حديج بناه قبله، **فركب والناس معه حتي أتي موضع القيروان اليوم**، وكان وادياً كثير الشجر كثير القطف تأوي إليه الوحوش والسباع والهوام... وأمر الناس بالتنقية والخطط، ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله إلى مكان القيروان اليوم، وركّز رمحه وقال: هذا قيروانكم»[1]. وروى الواقدي أن عقبة بن نافع هو أول من بني «بناء إفريقية المتصل المجتمع» الذي كان يرى على أيامه إذا اختط القيروان «ثم بني وبني الناس معه الدور والمساكن وبني المسجد الجامع بها». وروى أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان قد ولّى عقبة المغرب ولم يكن مّولّى فحسب من قبل معاوية بن حديج والي مصر «فغزا إفريقية في عشرة آلاف من المسلمين فافتتح إفريقية واختط قيروانها»[2]. وقد كان في قوات عقبة الصحابة والتابعون، وانضم إليها بعض البربر الذين اعتنقوا الإسلام، وكانت ثمرة فتوحه تأسيس القيروان ليكون مصراً وقاعدة حربية لفتوح المغرب ولنشر الإسلام، شأنه في ذلك شأن الكوفة والبصرة في العراق، وقد اتفق المجاهدون المسلمون «على أن يكون أهلها مرابطين فيها»[3].

ثم ولى مسلمة بن مخلد الأنصاري ومصر والمغرب من قبل معاوية بن أبي سفيان في عام ٤٧هـ فولّى أبا المهاجر ديناراً مولى الأنصار على المغرب في عام ٥١هـ وقيل ٥٥هـ «ومسلمة أول

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب: ص ٢٦٢-٢٦٥.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان: ص ٢٣٠.
(٣) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي: ص ١٤٣-١٤٤.

من جمعت له مصر والمغرب». وقد روى عن ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب أن «الناس قبل أبي المهاجر كانوا يغزون إفريقية ثم يقفلون منها إلى الفسطاط، **وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار** أقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلاً»[1]. وسار أبو المهاجر على سياسة اللين مع البربر ومحالفتهم، خلافاً لسياسة عقبة الحربية الصارمة فتزايد دخول البربر في الإسلام[2]. وروى أن معاوية ردّ عقبة بن نافع إلى ولاية إفريقية، وقيل إن ذلك حدث في خلافة يزيد بن معاوية عام ٦٢هـ، وقد رجح ابن عبد الحكم الرواية الأخيرة. وفي هذه المرة أوغل عقبة في أراضي المغرب حتي بلاد السوس، وأبلى في ذلك أحسن البلاء حتي استشهد عام ٦٣ أو ٦٤هـ حين عرض له (كسيلة) زعيم قبيلة «أوربة» البربرية وعقبة في جمع صغير من أصحابه بعيد عن عامة جيشه. وكان عقبة قد جوّل مظفراً في بلاد السوس «وأهل السوس بطن من البربر يقال لهم أبنية... فانصرف إلى إفريقية، فلما دنا من ثغرها أمر أصحابه فافترقوا عنه وأذن لهم حتي بقي في قلة فأخذ علي وكان يقال له تهوذة، فعرض له كسيلة في جمع كثير من الروم والبربر وقد كان بلغه افتراق الناس عن عقبة فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل عقبة ومن كان معه... ويقال: خرج ابن الكاهنة (كسيلة) البربري على أثر عقبة، كلما رحل عقبة بن منهل (أي مورد ماء) دفنه ابن الكاهنة، فلم يزل كذلك حتي انتهى عقبة إلى السوس ولا يشعر بما صنع البربري. فلما انتهى عقبة إلى البحر أقحم فرسه فيه حتي بلغ نحره ثم قال: اللهم إني أشهدك ألا مجاز، ولو وجدت مجازاً لجزت. وانصرف راجعاً والمياه قد عوّرت وتعاونت عليه البربر...»[3]. ثم زحف كسيلة على القيروان يريد عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي وجماعة المسلمين هناك التي استخلفا عليها من قبل عقبة، واستطاع المسلمون أن يخرجوا سالمين إلى مصر «لاجتماع ملأ البربر، وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معهما من موالي إفريقية بأطرابلس. ويقال إن عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر كتب إلى زهير بن قيس وزهير يومئذ ببرقة يأمره بغزو إفريقية فخرج في جمع كثير فلما دنا من قوينة (في منطقة القيروان) وبها

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب: ص ٢٦٥-٢٦٦.
(٢) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي: ص ١٥٢.
(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٦٧-٨.

عسكر كسيلة عبّأ زهير لقتاله وخرج إليه فاقتتلا فقتل كسيلة ومن معه ثم انصرف زهير قافلاً إلى برقة... وكان مقتل كسيلة في سنة أربع وستين»[1].

ثم قدم حسان بن النعمان والياً على المغرب في عام ٧٣هـ من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان «فمضي في جيش كبير حتي نزل أطرابلس واجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية وأطرابلس... ففتح البلاد وأصاب غنائم كثيرة. وخرج إلى مدينة قرطاجنة وفيها الروم فلم يصب إلا قليلاً من ضعفائهم. فانصرف وغزا (الكاهنة) وهي إذ ذاك ملكة البربر وقد غلبت على جلّ إفريقية فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمته... وأفلت حسان ونفذ من مكانه إلى أنطابلس فنزل قصوراً من حيّز برقة فسميت قصور حسان واستخلف على إفريقية أبا صالح، وكانت أنطابلس ولوبية ومراقية إلى حدّ أجدابية من عمل حسان». ثم دارت معركة أخرى بين حسان والكاهنة «وكان مع حسان جماعة من البربر من البتر...، ومضي حسان ومن معه فلقي الكاهنة في أصل جبل فقتلت وعامة من معها فسميت بئر الكاهنة... ثم انصرف حسان **فنزل موضع قيروان إفريقية اليوم وبني مسجد جماعتها ودوّن الدواوين ووضع الخراج على عجم إفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر، وعامتهم من البرانس إلا قليلاً من البتر**، وأقام حسان بموضعه حتي استقامت له البلاد ثم توجه إلى عبد الملك بغنائمه في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين». ولكن المسلمين بعد أن استقر أمرهم بين البربر ما لبثوا أن دهمهم هجوم من الروم «وأغارت الروم بعد حسان على أنطابلس... فرأسوها أربعين ليلة حتي أسرعوا فيها الفساد. وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فأرسل إلى زهير بن قيس... فأمره عبد العزيز بالنهوض إلى الروم... فخرج حتي إذا كان بدرنة من طبرقة من أرض أنطابلس لقي الروم وهو في سبعين رجلاً فتوقف ليلحق به الناس...» ولكن دارت المعركة قبل أن يلحق بزهير سائر جيشه «فاستشهد زهير وأصحابه جميعاً فقبورهم هنالك معروفة إلى اليوم. وكان مقتل زهير وأصحابه في سنة ست وأربعين» وقد أقبلت جماعة من المسلمين بلغت سبعمائة رجل فقاتلت الروم فهزمتهم» واعتصموا بسفنهم وهرب من بقي منهم»[2]. وانتهت جهود حسان إلى إقامة الكيان

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٩.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٦٩-٢٧٣.

«الإداري» للمسلمين في بلاد المغرب، بعد أن انتهت جهود عقبة من قبل إلى إقامة «المصر» أو القاعدة العسكرية في «القيروان». وإذا كان حسّان قد خرّب في عملياته الحربية قرطاجنة العاصمة الإفريقية القديمة فإنه فكّر في بناء قاعدة بحرية تؤمن المسلمين هجمات الروم المباغتة من قبيل ما أودى بزهير بن قيس. وكاتب في ذلك الخليفة عبد الملك بن مروان، فأرسل إلى أخيه عبد العزيز بأن يجهز ألف أسرة من أهل المعرفة بصناعة السفن في مصر ويرسلهم إلى أفريقية لابتناء تلك القاعدة البحرية، وكلف البربر بجلب الخشب اللازم لصناعة السفن من غاباتهم. وتقدّم حسان لاختيار الموضع الملائم للقاعدة المطلوبة، فكان عند قرية عرفت باسم ترشيش وكان موضع المرسي يسمى رادس وقتذاك. ويبدو أنه كان في المكان قرية قديمة اسمها تونس أو تينس Tynes كما يشير جوتييه في كتابه عن ماضي إفريقية الشمالية، أما الروايات العربية فتقول إن التسمية ترجع لوجود صومعة للرهبان كان يلجأ الناس إلى جوارها فيأتنسون بترتيل رهبانها فكانوا يقولون عن الصومعة إنها «تؤنس» فسمي المكان تونس. وقصد بابتناء الكدينة أن تغدو «دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى آخر الدهر... وأن يصنع بها المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر، وأن يغار منها على ساحل الروم فيشتغلوا عن القيروان نظراً للمسلمين وتحصيناً لشأنهم» كما ذكر البكري[1].

وهكذا قامت قاعدة بحرية إسلامية في تونس لتظاهر القاعدة البرية في القيروان، واستقر الفتح الإسلامي عسكرياً وصار للمسلمين «إدارة» مستقرة في إفريقية واتصلت الفتوح لاستيعاب شتي أنحاء المغرب في دولة الإسلام وكان بين القادمين إلى إفريقية دعاة وعلماء. وقد اختار الخليفة عمر بن عبد العزيز عشرة من فقهاء التابعين بعث بهم إلى إفريقية لنشر تعاليم الإسلام وكان من بينهم اسماعيل بن أبي المهاجر الذي نصبه الخليفة والياً على إفريقية، وعبدالله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني الذي ولاه القضاء، وأبو عبد الرحمن عبدالله بن يزيد المغافري الحبلي، وأبو مسعود سعيد بن مسعود التجيبي، واسماعيل بن عبيد مولى الأنصار الذي جعل ثلث كسبه لله عز وجل فلقب «بتاجر الله» وقد خرج لغزوة صقلية الأولى في البحر بقيادة ابن

(١) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ص ١٩٩-٢٠٢.

رافع فات غرقاً وهو معانق المصحف ، ثم عبد الرحمن بن رافع التنوخي أول قاض للقيروان تولى عام ٨٠هـ في ولاية موسي بن نصير ، إلى غير هؤلاء من «الذين أشاعوا الرشد وبثوا العلم وعلموا الحلال والحرام وحرصوا على الأمن والتآخي والمؤاساة ، وبثوا دعوة الإسلام بين البربر ، وضربوا لهم مثل العدل والحق والرحمة والسيرة الصالحة . فكان إسلام البربر نهائياً من آثار هذه البعثة الكريمة ، ومن مفاخر دولة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الذي انتدبها . وعظم شأن القيروان باعتبارها دار ثقافة وتعليم وتوحيد وقد أصبحت محببة إلى نفوس هؤلاء الذين كانوا ينظرون إليها شزراً وطالما هاجموها وقصدوا تخريبها . . . وأصبح الذين يدخلون القيروان من البربر لحاجات معاشهم أو لمصالح الحكم والإدارة ينقلبون بمثل عالية ومعلومات واضحة عن أحكام الإسلام ونظمه وآدابه فيصبحون دعاة وهداة بين قبائلهم ، زيادة على المرشدين والمعلمين الذين انتشروا في البلاد مستقرين ومتنقلين»[1] . وأقبل البربر على اعتناق الإسلام والكلام بالعربية ، واختلطوا بالعرب الذين تتابع قدومهم على البلاد جنوداً وعمالاً وكتاباً وجماعات نازحة للإستقرار والمعيشة الدائمة في بلاد المغرب وجاور بعضهم بعضاً وتصاهروا وتشاركوا في الزراعة والتجارة . ونشير هنا إلى ما سبق من نزوح قبائل بني سليم وبني هلال وقد كان له أثره في تعريب المغربين الأدني والأوسط . وبرز فقهاء مشاهير بالقيروان منهم أسد بن الفرات الذي استشهد في فتح صقلية عام ٢١٣هـ وسحنون بن سعيد التنوخي راوي مدونه مالك عن ابن القاسم وقد توفي عام ٢٤٠هـ.

وحين أنشب الإستعمار الأوربي مخالبه في بلاد المسلمين وتداعت الدول الأوربية على تلك البلاد تتقاسمها فيما بينها ، وقعت تونس تحت الحماية الفرنسية عام ١٨٨١م ، وفتحت هذه الحماية أبواب البلاد على مصاريعها أمام شركات الاستغلال الفرنسية مثل شركة أنفيرا التي كانت تمتلك مزارع مساحتها ٣٠,٠٠٠ هكتاراً ، كما فتحت أبواب البلاد للمستوطنين الأوربيين من فرنسيين وغيرهم . وكان يعيش منهم في تونس غداة استقلالها عام ١٩٥٦م نحو ٣٠٠٠ أسرة معظمهم إيطاليون يمتلكون ١,٦٢٤,٠٠٠ هكتاراً بينما كان الفلاحون التونسيون البالغ عددهم نحو ٤٨٠,٠٠٠ فلاح لا يمتلكون أكثر من ثلاثة ملايين هكتار . وبينما كان متوسط ملكية المزارع الأوربي ٢٥٠ هكتاراً ، لم يتجاوز متوسط ملكية الفلاح التونسي ٦ هكتارات .

(١) محمد الفاضل بن عاشور : أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي – فصل «بعثة الفقهاء العشرة إلى إفريقية» .

الملامح الطبيعية :

تطل تونس بساحلين على البحر المتوسط ويبلغ طول سواحلها ١٣٠٠كم . وتلتقي فيها سلاسل الجبال المزدوجة التي تكتنف بلاد المغرب كلها وتتجه من الغرب إلى الشرق ، ولكنها في غربي تونس تهبط حتي لا يكاد يصل ارتفاعها إلى ١٣٠٠ متر . كما نجد بقية تونس أقل ارتفاعاً من سائر أقطار المغرب ، فإن متوسط ارتفاعها لا يتجاوز ٣٠٠ متر . وتنتهي جبال أطلس في شبه جزيرة عنابة . وتونس بموقعها بين دائرتي العرض ٣٢° ، ٣٧° شمالاً ، هي ملتقي لمؤثرات البحر المتوسط ومؤثرات الصحراء فجزؤها الشمالي حتي قفصة يتمتع بالمناخ البحري المعتدل المعروف في إقليم البحر المتوسط ، بينما تسود الظاهرات الصحراوية جنوبي قفصه . وتستقبل تونس حوالي ٣٠٠ ملليمتر من المطر في فصل الشتاء ، ولكن هذه الكمية تتضاءل كلما اتجهنا جنوباً .

الاقتصاد :

لا تزال تونس تنوء تحت ثقل ما خلفه الإستعمار فيها اقتصادياً . فأقاليمها مختلفة الحظوظ من ناحية التنمية الزراعية . وقد استهدفت المشاريع الحكومية المختلفة (مشروع العشر سنوات من ١٩٦٢–١٩٧١م ، وقبله مشاريع قصيرة الأجل وأخرى طويلة) إزالة التفاوت الذي كان ملحوظاً بين الأراضي التي كان يقطنها المستوطنون الأوربيون ويستزرعونها والمزارع الوطنية . واستولت الحكومة على أراضي كثيرة وزعتها على الفلاحين المعدمين لزراعتها تعاونياً . وشملت أراضي التعاونيات ممتلكات المستوطنين الأوربيين .

وقد أدخلت أساليب الزراعة الحديثة في أقاليم التل الساحلية ورأس عنابة ومجيردة ، لكن الزراعة التقليدية لا تزال سائدة في القسم الصحراوي من تونس .

وتشغل الحبوب نصف الأرض الزراعية ، وتكون نحو ثلث الدخل الآلي من الزراعة . غير أن المحصول يتعرض للذبذبات من عام لآخر ، بسبب ذبذبة الأمطار . ويبلغ متوسط الإنتاج السنوي من القمح ٦٠٠,٠٠٠ طناً ، ومن الشعير ١٤٠,٠٠٠ طناً ، ويزرع الشعير في الأقاليم

الجافة. وتزرع البقول في كل أراضي الحبوب وإلى جانب الزراعات التقليدية صار الكروم يزرع في رأس عنابة منذ العهد الإستعماري وتشغل مزارعه ٤٥٠٠٠ هكتارات ويصدر محصول النبيذه كله للخارج. وقد أصبحت بساتين الزيتون أكثر أهمية بعد الإستقلال وارتفع عدد أشجار الزيتون من ٢٨ مليون شجرة في عام ١٩٥٦م إلى أكثر من ٣٥ مليون شجرة في عام ١٩٧٠م، يوجد أكثر من نصفها في إقليم الساحل. وتنتشر أيضاً بساتين الموالح في إقليم تونس، فضلاً عن غيره من فاكهة البحر المتوسط. وتصدر تونس نحو ١٥٠,٠٠٠ طناً من الفاكهة كل عام.

وهناك محصولان للتصدير، هي حشائش الاسبارتو والفلين. وتنتج سهوب تونس شبه الصحراوية نحو ١٠٠,٠٠٠ طن من حشائش الأسبارتو الذي يستعمل في صناعة الورق وهو يصدر إلى بريطانيا. وهناك مصنع للورق في قصرين ينتج نحو ٢٠,٠٠٠ طناً من لب الورق كل عام.

أما تربية الماشية فتتوقف على كمية ما يسقط من الأمطار سنوياً. وقد تدهورت أعداد قطعان الماعز التي ترعى في البلاد. لكن تبذل الجهود للمحافظة على الماشية التي أدخلها المستوطنون الأوربيون.

ولدى التونسيين أسطول لصيد الأسماك وصناعة لتعليبها ولا سيما سمك التونا الذي تصدر منه تونس نحو ٥٠٠٠ طناً سنوياً. كما يجمع الإسفنج كذلك.

وتكوّن المعادن دائماً جزءاً هاماً من صادرات تونس. وأهم هذه المعادن الفوسفات الذي يستخرج من إقليم قفصة (٨٥٪ من جملة الإنتاج) ومن وسط تونس، في قلعة جردة بالقرب من الحدود الجزائرية. ويوجد خام الحديد في عدة مواضع، وهو يستخرج من جبل جريسا (أكثر من ٧٥٪ من جملة الإنتاج) ومن إقليم بنزرت. وهناك مصنع للحديد والصلب

(٥) ترك الاستعمار الفرنسي أراضي الشمال الإفريقي وقد صار الكروم من أهم حاصلاتها والناتج منه يفوق ما يلزم للأكل كفاكهة وغدا عصر النبيذ وتصديره من الموارد الإقتصادية الهامة لتلك البلاد. وهناك محاولات للتخلص من هذا الوضع في الأقطار المغربية بعد الإستقلال، وبخاصة أنها لقيت عناء في منافسة النبيذ الأوربي في الأسواق.

ينتج نحو ١٢٠,٠٠٠ طناً من حديد الزهر، ١٥٠,٠٠٠ طناً من الحديد نصف المشغول، ٧٥,٠٠٠ طناً من ألواح الصلب. كما يستخرج الزنك والقصدير. وتكون مصانع قلعة جربه وصفاقس وبنزرت ومصانع الغزل والنسيج بوجه عام نواة النهضة الصناعية في تونس. كما تعمل البلاد على تنمية السياحة بها.

وقد بلغ عدد سكان تونس في عام ١٩٧١م نحو ٥,٣٠٠,٠٠٠ نسمة وبهذا تكون كثافة السكان العامة ٣١ شخصاً/للكيلومتر المربع، وسكان تونس يكونون سدس سكان بلاد المغرب كلهم. ويزداد السكان بمعدل ٢,٦٪ سنوياً. وأكثر من نصف السكان تقل أعمارهم عن ١٥ سنة، بينما تقل أعمار الثلثين عن ٢٥ سنة. وقد طبقت تونس برامج لتنظيم الأسرة منذ عام ١٩٦٢م.

وفي نهاية الحرب العالمية الأولى كان نحو ربع السكان في تونس يسكنون المدن أما الآن فقد ارتفعت هذه النسبة إلى أكثر من ٣٤٪، يسكن نصفهم (٧٥٠,٠٠٠ نسمة) مدينة تونس وحدها. أما المدن الهامة الأخرى فتقع على الساحل. وهي صفاقس (١٠٠,٠٠٠ نسمة) وسوسه (٨٠,٠٠٠ نسمة) وبنزرت (٧٠,٠٠٠ نسمة). أما مدن الداخل الهامة فهي القيروان (٨٤,٠٠٠ نسمة) وقفصه (٥٠,٠٠٠ نسمة).

(٥) الجزائر

تبلغ مساحة الجزائر ٢,٣٨١,٧٤١ كيلومتراً مربعاً، فهي أكبر أقطار بلاد المغرب مساحة. وتمتد من البحر المتوسط شمالاً ضاربة في الصحراء جنوباً إلى حدود الساقانا الإفريقية. وتقع الجزائر بين تونس شرقاً والمغرب غرباً، ولها حدود مشتركة مع مالي والنيجر جنوباً. وهي تطل على البحر المتوسط بجبهة بحرية يبلغ طولها ١٢٠٠كم.

الإسلام في الجزائر:

[أنظر ما سبق عن الإسلام في تونس].

تعرضت الجزائر مثل بقية أقطار شمال إفريقية لاستعمار استيطاني من قبل الفينيقيين والإغريق والرومان، ثم من قبل الوندال خلال فترة قصيرة جداً قبيل الفتح الإسلامي. غير أن كل هذه الغزوات لم تؤثر في الأصليين من البربر الذين اعتصموا بالجبال في الداخل. وظلوا على ديانتهم الوثنية حتى في أثناء العصر البيزنطي، ولم يتأثروا إلا بالعرب والإسلام.

وكانت فتوح عقبة بن نافع من الشرق إلى الغرب قد بلغت أراضي المغرب الأوسط بل وصلت فيما يروى المغرب الأقصى، وقد كان استشهاده عند تهوذه على مقربة من بسكرة في شرقي القطر الجزائري الآن. وقد توطدت فتوح المسلمين في المغرب الأوسط واستوعب المغرب الأقصى فتحاً وتأميناً على يد موسي بن نصير الذي تولى إفريقية عام ٧٩هـ «فافتتح عامة المغرب وواتر فتوحه وكتب بها إلى عبد العزيز بن مروان وبعث بغنائمه وأنهاها عبد العزيز إلى عبد الملك... ثم توفي عبد الملك بن مروان سنة ست وثمانين، واستخلف الوليد بن عبد الملك، فتواترت فتوح المغرب على الوليد من قبل موسي بن نصير فعظمت منزلة موسي عنده واشتد عجبه به»[١]. وقد اتجه موسي إلى المغرب الأقصى، ثم رجع إلى المغرب الأوسط حيث لقي

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٧٤-٢٧٥.

قبائل صنهاجه وقتل ملكهم على وادي ملوية، وأخذ بثأر عقبه في سجومة إحدى مدن قبيلة كسيلة «أوربة» على أيدي أولاد عقبة أنفسهم الذين كانوا في جيشه. ويذكر أيضاً أن موسي لقي كتامة وقتل ملكهم وإن كان يذكر أن ذلك حدث في «درعة» في أرض المغرب الأقصى[١]. وتوالى قدوم العرب المسلمين جنوداً وإداريين وفقهاء وتجاراً، وأتت قبائل وعشائر للإستقرار وكسب العيش. وانتشر الإسلام بين البربر، ويعلل ذلك المؤرخ الجزائري الشيخ مبارك الميلي «بصفاء الفطرة البربرية والإسلام دين الفطرة، وبحب البربر للحرية والإسلام يدعو إليها، وبحاجتهم إلى الرقي الإجتماعي والإسلام أتي لتحقيق ذلك كله. والإسلام لا محالة دين الفطرة ودين الحرية الصادقة ودين الرقي الشريف». وكان انتشار الإسلام والعربية في تلك الديار شاسعة الأرجاء خلال فترة لا تتجاوز خمسين سنة مثار تساؤل كثير من مؤرخي الأوربيين الذي يقول أحدهم «... إن هذا القطر الذي تقاتل عليه الشرق والغرب (الفينيقيون في قرطاجة والرومان) والذي ترك به كل «طابعه واختلط فيه الرومان والروم يغرسون فيه المسيحية اللاتينية قد غدا كله منذ ذلك الحين (منذ الفتح الإسلامي) شرقياً، وانقضي عهد الإتحاد اللاتيني حول البحر المتوسط»[٣].

ويتصف فتح المغرب بين الفتوحات الإسلامية المبكرة بالصعوبة الشديدة والمقاومة العنيدة من جانب البربر أهل البلاد، ذلك أنهم كانوا مثل العرب وسائر البدو لا يرضون بالخضوع، وما أيسر الرحلة والهجرة عليهم. وهكذا لم يخضع قلب جزيرة العرب قبل الإسلام لتسلط الدول الكبرى التي كانت تقنع بالأطراف وكذلك كان الشمال الإفريقي. ولم تتطلب فتوح المسلمين في فارس إلا بضعاً من الوقائع منها وقائع معدودة حاسمة وكانت هذه كفيلة بالإجهاز على المملكة الساسانية في أقل من عشرين سنة، وكذلك فتح الشام تطلب معارك قليلة منها عدد أقل من الوقائع الحاسمة، ولم يتطلب فتح مصر أكثر من وقفة أمام حصن بابليون وحصار الإسكندرية عاماً أو بعض عام «أما فتح المغرب فقد تطلب بضع عشرات من السنين قضاها العرب

(١) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ص ٢٠٩-٢١١.

(٢) نقلاً عن رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته- الجزائر ١٩٦٨م- ص٢٢-٢٥

(المسلمون) في صراع مرير عرفوا خلالها حلاوة الإنتصارات وذاقوا مرارة الهزائم حتي ظهر في بعض الأحيان وكأن تمام الفتح ضرب من المحال. وفي ذلك يروي ابن خلدون: إن البربر ارتدوا عن الإسلام اثنتي عشرة مرة ولم يثبت إسلامهم إلا في أيام موسي بن نصير أو بعدها -أي خلال اثنتين وسبعين عاماً تقريباً»[1]. يقول جوتييه Gautier «ما زالت النتائج التي توصّل إليها العرب (المسلمون) في فتحهم للشمال الإفريقي تدعو إلى الدهشة حتي الآن. لقد أجري تعريب المغرب إلى حدّ كبير، وتحوّل إلى الإسلام تحوّلاً عميقاً، وهذه نتيجة تدعو للإعجاب! . وما من حركة استعمارية (!) على وجه الأرض وفقت إلى مثل هذه النتيجة دون جدال. إن هذا الفتح أحدث خلال القرن السابع (الميلادي) ثورة كبرى: لقد انهار الحاجز الذي كان مغلقاً إغلاقاً محكماً من كل ناحية وكان يفصل الشرق عن الغرب. ولو قارنا هذه القفزة الواسعة نحو المجهول بثورتينا الفرنسية والروسية مثلاً لبدت هاتان الأخيرتان ضئيلتين جداً. فإذا دفعنا تطلعنا إلى فهم الأسلوب الذّي تمّت به هذه الثورة الكبرى والإحاطة بتفاصيلها فإنه يستبين لنا أن الفتح العربي (الإسلامي) كان طويلاً جداً وعنيفاً جداً وعنيفاً جداً إذا قاومتهم البلاد مقاومة عنيدة» ولا يفوت المؤرخ الفرنسي أن يقارن الفتح الإسلامي للمغرب بحملات الإستعمار الفرنسي على الجزائر فيقول: «كان الفتح الفرنسي للجزائر طويلاً أليماً وكانت قيادته سيئة لا تدعو لكبير فخر، ولكن دعنا نقارنه بالفتح العربي (الإسلامي)، ولنفترض أنه بين عامي ١٨٣٠م، ١٩٠٠م مثلاً طرد الفرنسيون من البلاد ثلاث مرات ولم يحتفظوا في أحسن الظروف إلا بمدينة الجزائر وضواحيها (مثلما حدث للعرب -المسلمين- بالنسبة للقيروان عاصمتهم)، إذا استطعنا تصور ذلك أخذنا فكرة عما حدث أثناء الفتح العربي (الإسلامي)»[2].

والواقع أن علة التفسير تكمن في «إسلامية» ذلك الفتح لا «عربيته»، فمن هنا كان ثباته وحسن بلاء الفاتحين وصدق نيتهم وقوة عزيمتهم وإصرارهم، ومن هنا كانت قدرتهم على تغيير

(١) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص ٧٨.

(٢) Gautier. Le Passè de l'Afrique du Nord. p. 234.

نفوس أهل البلاد المفتوحة الذين قاوموه بمرارة حتي نفذت رسالة الإسلام إلى قلوبهم. وقد تقررت نتيجة الفتح الإيجابية بالنسبة للإسلام يوم تحوّل البربر إلى اعتناقه وحدث هذا منذ مطالع الفتح، فإن ابن خلدون يذكر في تاريخه عن عقبة بن نافع أنه «دخل إفريقية وانضاف إليه مسلمة البربر فكبر جمعه، ودخل أكثر البربر في الإسلام ورسخ الدين». ولولا أزمة انتقاض كسيلة ومقتل عقبة لواصل الإسلام انتشاره بين جموع البربر على نحو أيسر وفي وقت أقصر.

وبين هجرات الجماعات العربية إلى ديار المغرب، كان لهجرة بني هلال الكبرى في القرن الخامس الهجري (١١م) إلى المغربين الأدني والأوسط آثار إجتماعية وثقافية بالغة المدى على تلك الأرجاء، فقد دخلت «عناصر جديدة بدوية في هيكل المجتمع المغربي، وكان لهذه العناصر خصائصها العقلية والخلقية... ولا شك أنهم بمخالطتهم للقبائل البربرية قد أثروا فيهم وتأثروا بهم في المدن والقرى... وبعد فترة من حياتهم بالمغرب أخذوا يقلدون البربر يأخذون عنهم أساليب الزراعة والتجارة التي مهروا فيها قديماً. وأما تأثيرهم اللغوي فقد تجلى في نشر لغة التخاطب (العربية) بين القبائل البربرية. وقد كان احتكاكهم الدائم ببعض القبائل مثل زناتة بالصحراء وغيرها عاملاً فعّالاً في تعريبها تعريباً تاماً. واستمرّ الإستعراب يعمل عمله طيلة القرون اللاحقة حتي لم تبق البربرية أداة تخاطب إلا بين قبائل جرجرة وقبائل أوراس»[1]. وبلغت الحضارة الإسلامية شأوا بعيداً في أقطار المغرب في عهد دولها المتعاقبة، وبرزت في المغرب الأوسط مراكز مزدهرة للثقافة الإسلامية منها طبنة وبجاية وقلعة بني حماد وتلمسان وغيرها. وعندما خرج المسلمون من الأندلس كانت سواحل المغرب كلها حتي الإسكندرية موئلاً للمسلمين المهاجرين. واضطلعت سواحل المغرب «بالرباط» في سبيل الله والدفاع عن ديار الإسلام، وكان الرباط في أول أمره معقلاً حربياً ثم صار دار تعليم وعبادة أيضاً. ونشطت الأساطيل الإسلامية للجهاد من قواعدها في سواحل المغرب كلها، نشاطاً أقض مضجع الأوربيين فنفّسوا عن خوفهم وكراهيتهم فأسموا ذلك «بالقرصنة»!!.

(١) رابح بونار: المغرب العربي ص ١٩٩-٢٠٠.

وتداعى الاستعمار الأوربي في العصور الحديثة على ديار المسلمين فكانت الجزائر مطمع فرنسا، وبدأ الغزو الفرنسي عام ١٨٣٠م، وعلى الرغم من المقاومة الباسلة للأمير عبد القادر الجزائري فقد استطاع الفرنسيون بعددهم وعدتهم السيطرة على البلاد في عام ١٨٥٧م. وقد تدفق عليها الأوروبيون من كل مكان: الأسبان والإيطاليون والمالطيون. لكن الإستعمار الاستيطاني الفرنسي كان هو الذي تغلغل في الجزائر، وقدرت مساحة الأرض الزراعية التي كان يمتلكها الأوروبيون هناك بعد الحرب العالمية الثانية بربع الأراضي المتزرعة، وكان هؤلاء قد استولوا على تلك الأراضي بالقوة وطردوا منها الفلاحين الجزائريين.

وتوالت حركات المقاومة الجزائرية التي لا تلين ولا تهون، وكان آخرها ثورة المليون ونصف شهيد خلال سنوات سبع أو يزيد منذ الفاتح من نوفمبر عام ١٩٥٤م إلى إعلان الإستقلال في ٥ يولية عام ١٩٦٢م.

الملامح الطبيعية:

تطل الجزائر على البحر المتوسط بجبهة يبلغ طولها ١٢٠٠ كم معظمها صخري وعر. وتنقسم البلاد إلى قسمين طبيعيين كبيرين، يتفقان مع التقسيم الطبيعي (السطح) والتقسيم المناخي. **القسم الشمالي مغربي يتبع البحر المتوسط** ويمتد من البحر حتي جبال أطلس الصحراوية وتبلغ مساحته ٣٢٥,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، **أما القسم الثاني فهي صحراوي** ويمتد من أطلس الصحراوية حتي الحدود الجنوبية.

ورغم تعقد التضاريس في **القسم الشمالي** من الجزائر، إلا أنه يمكن أن يلخص في ثنيتين جبليتين كبيرتين تمتدان من الغرب إلى الشرق، إحداهما تطل على البحر هي **جبال أطلس التل**، والثانية تطل على الصحراء هي **جبال أطلس الصحراوية**. وتحصران بينهما منطقة سهول متقطعة. وتمزق التصدعات هذه الكتلة إلى عدة أقسام ينفصل بعضها عن البعض الآخر. غير أن هذه التصدعات والفوالق تساعد على سهولة الإتصال والحركة بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب وهي تصنع أحواضاً طولية وعرضية. وعلى الساحل توجد سلسلة من السهول

المنخفضة سيئة الصرف قليلة الإتصال بالبحر، هي سهل وهران ووادي شليف وسهول الجزائر (ميتيليجة) وبجاية وسكيكدة وعنابة. وتنهض الجبال الساحلية في شرقي الجزائر عالية مرتفعة شديدة الإنحدار نحو البحر وهي **جبال القبائل الكبرى والقبائل الصخرية وجرجرة** التي تصل قمتها إلى ٢٠٠٠ متر ارتفاعاً.

أما **جبال أطلس التل** فتمتد جنوبي التلال الساحلية بانحراف عام يمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وهي تتكون من جبال تلمسان وأم راسين وبليدة وهذه الجبال يقل ارتفاعها كلما اتجهنا شرقاً حتي تتصل بهضبة قسطنطينة. وهذه الجبال تكتنف مجموعة من الأحواض والسهول الداخلية هي سيدي بالعباس وتياريت وسطيف وقسطنطينة وقلما.

ثم يلي ذلك جنوباً **الهضاب المرتفعة** التي تتسع في غربي الجزائر وتضيق في شرقها. وتحدها من الجنوب **جبال أطلس الصحراوية**. وهي سلسلة من الجبال الالتوائية المتوازية ترتفع من بينها جبال قصور إلى ٢٣٢٠ متر، وأولاد نايل إلى ١٦٩٤ متراً.

ويستقبل إقليم التل قدراً وافراً من أمطار الشتاء يزيد على ٤٠٠ ملليمتر في السنة. وهو يتيح الزراعة المستقرة. ومن ثم يتركز معظم السكان في هذا الإقليم الساحلي. وتزداد كثافة السكان على سفوح الجبال المطلة على البحر المتوسط. أما السهول العليا فيتراوح سقوط الأمطار فيها بين ٢٠٠ و٤٠٠ ملليمتر في السنة. ومن ثم كانت إقليم مراع يسكنه أنصاف الرعاة ويقل فيها النبات والنشاط الزراعي. وقد كانت غابات البحر المتوسط تغطي كل جبال أطلس التل، ولكنها الآن مقصورة على بقع قليلة متباعدة في شرقي الجزائر، وإقليم قسطنطينة، إذ قطعت هذه الغابات على مدى القرون وحلت محلها الآجام والشجيرات القصيرة. ولا تزال بقايا تلك الغابات مصدراً للفلين والصمغ. وتنمو حشائش الإسبارتو فوق سفوح الجبال. كما يقطع الحطب ويصنع منه الفحم النباتي.

وفي عام ١٩٧١م بلغ عدد سكان الجزائر ١٤,٧٧٠,٠٠٠ نسمة وقد كان ٩٠٪ منهم يسكنون في الشمال حيث تصل كثافة السكان إلى ٢٩٠ شخص في الكيلومتر المربع، وهي كثافة

مرتفعة. على عكس الصحراء التي تكاد تكون خالية من السكان.

أما القسم الجنوبي من الجزائر، فهو القسم الصحراوي الذي يبدأ مع جبال أطلس الصحراوية حيث تسود مظاهر الطبيعة الجافة. وتهب رياح السيروكو الجافة الحارة، وتمتد الكثبان الرملية التي تختلط فيها الرمال بعضها ببعض فتكون بحاراً من الرمال تغطي منطقة العرق الكبير الشرقي والعرق الكبير الغربي (قارن بحر الرمال العظيم في الصحراء الليبية والصحراء المصرية الغربية والغرود الكبرى في الصحراء الغربية المصرية). وتنهض في جنوبي الجزائر كتل **جبال الهجار وتاسيلي** النارية، التي تنتهي سفوحها المرتفعة الحارة بسهول يغطيها الحصي والحصبا وأشهرها **سهل تانزروفت الحصوي أشد أجزاء الصحراء الكبرى جفافاً وأعظمها وحشة.**

الاقتصاد :

تمتلك الجزائر إمكانات واسعة يهيء لها أن تكون دولة صناعية كبيرة، فإلى جانب الطاقة البشرية فإن لدى الجزائر زيت البترول والغاز الطبيعي وخامات الحديد والفوسفات. وقد بدأت بعض الصناعات الأساسية تخط طريقها في المدن الساحلية، وتدفع الدولة عجلة التصنيع منذ الإستقلال. وقد نفذ مخططان للتنمية الأول (١٩٦٧-١٩٦٩م) والثاني (١٩٦٩-١٩٧٣م) ولكن لم يتغير الهيكل الإقتصادي للبلاد تماماً فلا يزال زراعياً، ولا يزال أكثر من ثلثي السكان يكسبون قوتهم من الزراعة.

والرقعة الزراعية الجزائرية صغيرة، لا تفي باحتياجات سكان لا يفتأون يتزايدون. ولا تزال الزراعة في الريف الجزائري تتبع الأسلوب التقليدي، ومن ثم فإن إنتاجية الأرض ضعيفة. أما الزراعة الحديثة فلا تزال محدودة. وإن كانت الجزائر قد عنيت في خططها للتنمية بتقدم الزراعة، وبدأت منذ عام ١٩٧٠م مشروعاً للإصلاح الزراعي عرف بالثورة الزراعية.

والحبوب أهم المحاصيل الزراعية وهي تمثل ربع الدخل القومي من الزراعة، وتشغل ٩٠٪ من مساحة الأرض المزروعة. ولكن إنتاج الحبوب (مليون طن سنوياً) رغم هذا لا يكفي

السكان. ويزرع القمح في السهول جيدة التربة. ويأتي بعده الشعير (٧٠٠,٠٠٠ طن) في الأرض الأكثر جفافاً فالذرة الشامية (٨٠٠٠ طن) والأرز (٨٠٠٠ طن). وتؤدي البقول دوراً هاماً في الدورة الزراعية التقليدية.

وتشتمل المحاصيل النقدية على الكروم والخضر. وكانت الكروم تحتل مكاناً هاماً في الإقتصاد الجزائري منذ عام ١٨٧٠م ثم أخذت تنكمش زراعتها مراعاة لصالح زارعي الكروم في فرنسا (التي كانت تحكم الجزائر آنذاك) منذ عام ١٩٣٤م حين أخذت تلك الزراعة تتسع هناك. ومع ذلك لا تزال الكروم تشغل مساحات كبيرة في سهل وهران وعنابة، ويصدر النبيذ الجزائري (حوالي ١٠ مليون هكتولتر في السنة) إلى فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية. وصرح المسئولون باعتزام الحكومة تضييق زراعة الكروم وإيقاف صناعة النبيذ إنفاذاً لحكم الإسلام وبعد معاناة طويلة في تسويق النبيذ الجزائري في الخارج. وتصدر الجزائر حوالي ١٥٠,٠٠٠ طن من الخضر إلى أوربا سنوياً.

وبساتين الجزائر متنوعة الفواكه، فهي تشتمل على الموالح والخوخ والمشمش والتين ويزرع الزيتون أيضاً كما يزرع الطباق في الأجزاء الشرقية من الساحل بين الجزائر وعنابة وفي منطقة القبائل وتصدر الجزائر إلى بريطانيا حشائش الأسبارتو التي تستخدم في صناعة الورق.

وفي الإقليم الجنوبي الجاف تمثل حيوانات الرعي عماد الإقتصاد ويتراوح حجم قطعان الماشية من عام إلى آخر حسبما ينزل من أمطار. وتقدر الثروة الحيوانية بنحو ١,٧٠٠,٠٠٠ رأس من الماعز، ١٧٥,٠٠٠ رأس من الإبل، ٢١٠,٠٠٠ رأس من الخيل والبغال.

الثروة المعدنية :

تمتلك الجزائر ثروة كبيرة من الفحم والغاز الطبيعي. وقد بدىء في استغلالها منذ الحرب العالمية الأولى، ولكن أهميتها تراجعت بعد اكتشاف البترول بالبلاد فهبط إنتاج الفحم من ٢٩٧,٠٠٠ طناً في عام ١٩٥٦م إلى ١٢٢,٠٠٠ طناً في عام ١٩٥٩م ثم إلى ٥٠,٠٠٠ طناً في عام ١٩٦٥م.

وقد اكتشف زيت البترول عام ١٩٥٦م ، وفي أقل من عشر سنوات احتلت الجزائر المركز الثالث في إنتاجه في إفريقية (بعد ليبيا ونيجيريا) . ويستخرج الزيت من آبار حاسي مسعود وزرزاتين وحاسي الطويل وغرد البجيل والجاسي والأجرب وقويه الشمال واليورما . وينقل إلى الساحل عن طريق أربعة أنابيب : من حوض الحمراء إلى بجايه ، ومن أميناس إلى الصخيرة (في تونس) ، ومن حوض الحمراء إلى أرزيو ، ومن حوض الحمراء إلى سكيكدة . كذلك تنقل الأنابيب الغاز الطبيعي ومن حاسي الرمل (حيث يقدر الإحتياطي بنحو ١,٢٠٠,٠٠٠ متر مكعب) إلى أرزيو ، ومن حاسي الرمل إلى سكيكدة . وثمة خط ثالث سيعبر البحر المتوسط إلى موانىء صقلية وجنوبي إيطاليا .

وقد ارتفع إنتاج االبترول الجزائري بسرعة من ٢٦ مليون طن في عام ١٩٦٥م إلى ٤٧,٢٨١,٠٠٠ طن في عام ١٩٧٠م . وقد قامت مصانع كبيرة للبتروكيمائيات في أرزيو وسكيكدة . كما توسعت الجزائر في إنتاج الكهرباء حتي وصلت إلى ١,٢٠٠,٠٠٠ كيلو وات/في الساعة .

أما ركائز الحديد فتوجد في أماكن عديدة من البلاد أقدمها عنيزة وبوخضرة ويستخرج منها ثلثا الإنتاج الجزائري ، وبالقرب من الحدود التونسية . وأغناها جميعاً هي قارة جبيلة في جنوب غربي الجزائر ويقدر احتياطيها بنحو ٣٠٠٠ مليون طن من خام الحديد الجيد (نسبة الحديد في الخام ٥٥٪) . وقد جرى الإتفاق مؤخراً بين الجزائر والمغرب على وضع «تندوف» ومناجم الحديد فيها وكانتا تتنازعانها نظراً لكميات الحديد الهائلة فيها* . وإلى جانب مصانع البتروكيمائيات هناك مصانع الحديد والصلب وتجميع السيارات .

السكان والمدن :

يبلغ عدد سكان الجزائر ١٤,٧٠٠,٠٠٠ نسمة حسب تعداد ١٩٧١م يسكن ٩٤٪ منهم في الشمال والباقي في الواحات الكبرى في الصحراء . ويتزايد عدد السكان بمعدل يتراوح بين

(*) مع الأسف عاد الخلاف بين الدولتين بعد اقتسام المغرب وموريتانيا لما كان يعرف بالصحراء الأسبانية .

٣–و٣,٥٪ سنوياً ، وهذه من أعلى نسب الزيادة في العالم . وسكان الجزائر في مجموعهم في عمر الشباب إذ أن ٥٦٪ منهم تقل أعمارهم عن ٢٠ سنة .

وقد زاد عدد اعدد سكان المدن زيادة كبيرة منذ عام ١٩٥٤م ، وتضاعف عدد سكان المدن الساحلية كلها في أقل من عشرين عاماً . فزاد عدد سكان مدينة الجزائر من ٤٧٣,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٤٨م إلى ٨١٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٦٩م ، ثم بلغ ١,٢ مليون نسمة عام ١٩٧٢م . وزاد سكان مدينة وهران من ٢٦٥,٠٠٠ نسمة عام ١٩٤٨م إلى ٤٠٠,٠٠٠ نسمة الآن . وكان عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا في عام ١٩٤٨م ١٦٠,٠٠٠ نسمة فوصل في عام ١٩٥٥م إلى ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ثم بلغ ٧٠٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٧٠م وفي نفس الوقت هبط عدد الفرنسيين المقيمين بالجزائر من مليون نسمة في ١٩٥٩م إلى ١٩٦,٠٠٠ نسمة فقط في عام ١٩٦٨م .

وتعاني الجزائر من أعباء التنمية ، فهي حين خرجت من عهد الإستعمار إلى عهد الإستقلال واجهت أزمة خروج الفرنسيين العاملين في الحقول والمصانع . ولكنها تسير قدماً في استغلال ثرواتها المعدنية وتنمية زراعتها وبناء مدنها ، إلى جانب التنمية البشرية والاجتماعية وتدعيم شخصية البلاد وقد صار للجزائر مكانها بين الدول الإسلامية والعربية والإفريقية .

(٦) المغرب

تشغل المملكة المغربية أو المغرب الأقصى الجزء الغربي من جزيرة المغرب كما كان يسميها العرب، وتبلغ مساحتها ٤٤٦,٥٥٠ كيلومتراً مربعاً، وتقع في شمال غربي إفريقية بين المحيط الأطلنطي من الغرب، والبحر المتوسط من الشمال، وهي لا يفصلها عن أوروبا سوى مضيق جبل طارق، بينما تغرب في الصحراء ناحية الجنوب.

الإسلام في المغرب الأقصى:

[أنظر ما سبق عن الإسلام في تونس والجزائر].

بلاد المغرب قاعدة حضارية عريقة، بدأ تاريخها المعروف منذ أن أسس الفينيقيون مستعمراتهم التجارية على ساحلها حوالي ١١٠٠ ق.م. وقد أدخل الفينيقيون زراعة الرمان والكروم إلى بلاد المغرب كما أدخلوا صناعة المعدن. ثم صارت المغرب مع باقي الشمال الإفريقي في نطاق حكم الرومان الذين أقاموا سوراً رومانياً يمتد من الرباط حتي تازا ليحموا أنفسهم من هجمات بدو الصحراء. ويطلق على سكان الشمال الإفريقي الأصليين إسم «البربر»، وهم أرومة حامية الأصل، من سلالة البحر المتوسط، وهي نفس السلالة التي ينتمي إليها العرب الساميون. واحتفظ البربر بسمات خاصة تميز تكوينهم الإجتماعي والسياسي، وقد استعصوا على الحكم الروماني، والغزو الوندالي، حتي جاء الإسلام على أيدي العرب، فاستطاع أن يدعّم مكانه في قلوب البربر وبلادهم بعد مقاومة استمرت أكثر من نصف قرن، وزالت تماماً الكنيسة البيزنطية التي كانت طارئة على الساحل ولم توطد أقدامها قط في داخل الشمال الإفريقي.

وقد جاء توطيد الفتح الإسلامي في أراضي المغرب الأقصى واستكماله في ولاية موسى بن نصير، قيل إنه تولى إفريقية عام ٧٩هـ من قبل عبد العزيز بن مروان[١]، وقيل بل وليها في زمن

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٧٤.

الوليد بن عبد الملك عام ٨٩هـ «ففتح طنجة ونزلها وهو أول من نزلها واختطّ فيها للمسلمين. وانتهت خيله إلى السوس الأدني، وبينه وبين السوس الأقصى نيف وعشرون يوماً فوطئهم وأدوا إليه الطاعة وقبض عامله منهم الصدقة. ثم ولاها طارق بن زياد وانصرف إلى قيروان إفريقية[١]» وإذا صح القول بأن عقبة بن نافع كان قد «غزا السوس الأدني وهو خلف طنجة وجوّل فيما هناك لا يعرض له أحد ولا يقاتله»[٢] في حملته عام ٦٥هـ، فإن هذا يعني أن توطيد الفتح الإسلامي في أرجاء المغرب الأقصى وحده قد استغرق زهاء ثلاثين عاماً. ويبدو أن طبيعة البلاد كانت تساعد على تفرق أهلها أمام المهاجم إلى مفاوز الجبال والصحراء، فإذا قفلت جيوش الفتح عاد الناس إلى أماكنهم وانتهى الأمر، ولم يكن ليستقر الفتح حتي تنشأ القواعد وتمصّر الأمصار وتقام المساجد وينشر الإسلام. وقد «أخضع موسي قبائل البربر التي خرجت على الطاعة بعد مسير حسان بن النعمان إلى الشرق، وكذلك التي لم تكن قد خضعت بعد للعرب... فتتبّع القبائل عبر السوس الأدني حتي بلاد سجلماسة ووادي درعة وسيّر ابنه إلى السوس الأقصي... ونجح موسي في انتزاع (مدينة) طنجة لأول مرة وكان (بها من البربر بطون من البتر والبرانس ممن لم يكن دخل في الطاعة) ووضع موسي على ساحل طنجة حامية للرباط تتكون من ١٧٠٠ رجل تحت قيادة ابنه مروان... والظاهر أن البربر أقبلوا على الرباط على الساحل الطنجي بحماس لا نظير له إذ لم تلبث قوات طارق بن زياد – الذي استخلفه موسي بن نصير – أن بلغت اثني عشر ألفاً[٣]». ويقول ابن عذارى «وترك موسىٰ بن نصير سبعة عشر رجلاً من العرب يعلمونهم القرآن والإسلام...»، وقد ظاهرهم آلاف العرب المسلمين المرابطين في المغرب الذين كان لهم دورهم الفعال في نشر الإسلام بين إخوانهم البربر[٤].

ويعتبر إسلام البربر نقطة تحول في تاريخهم وفي تاريخ الإسلام فقد أخذ البربر يستعربون مع انتشار الإسلام بينهم، ثم ما لبثوا أن اضطلعوا بنشر الإسلام والجهاد في سبيله فيما يليهم من

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٠.
(٣) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص ٢١٠-٢١٣.
(٤) رابح بونار: المغرب العربي، ص ٢٢.

أراض ، فكانوا دعامة جيوش الفتح التي اتجهت إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، كما اضطلعوا بنشر الإسلام في الصحراء الكبرى ولا سيما خلال الفترة بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (١١–١٣م) ، فعلى يد دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري ودولة الموحدين في القرن السادس الهجري عبر الإسلام ممالك الصحراء إلى النطاق السوداني الغربي . وهكذا تتابعت الموجات العربية إلى أرجاء المغرب منذ الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ، وبخاصة تلك الموجة الكبيرة التي وفدت مع الفتح وفي أعقابه ، ثم الموجة الكبيرة الثانية التي جاءت في القرن الخامس الهجري وما تلاه . وشهدت بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي إقامة حواضر إسلامية مثل فاس ومراكش والرباط (رباط الفتح) . ويذكر أن ذوي الأصل العربي يبلغون ٦٧٪ من سكان المغرب ، والباقون ترجع أصولهم إلى البربر وهم سكان الجبال والبدو وزراع الواحات . ولكن العربية هي اللسان السائد في المسجد والسوق والإدارة .

الملامح الطبيعية :

تكتنف المغرب كتل جبال أطلس المرتفعة ، تقطعها أودية عميقة خصبة . وبينما تهطل الأمطار الشتوية غزيرة على السفوح الجبلية الغربية في المغرب ، إذا بالسفوح الجبلية الشرقية والغربية جرداء قاحلة ومن ثم تنوعت بيئاتها ، وإن كانت تتمتع مع ذلك بوحدة جغرافية مثالية فالمغرب يمثل جغرافياً «التنوع داخل الوحدة» .

ويتميز سطح المغرب بالصفة الجبلية بعامة فهو قوس جبلي كبير يمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، يفصل المغرب الأطلسي عن المغرب الصحراوي . وإلى الشمال من هذا القوس تمتد سلسلة جبال الريف من مضيق جبل طارق حتى وادي ملوية بالقرب من الحدود الجزائرية وتبلغ ارتفاع هذه الجبال ١٨٠٠ متراً في الشرق و٢٤٥٦,٢ متراً في الوسط . ثم تضيق سلسلة الجبال في الغرب قبل أن تنحدر طبقاتها نحو المحيط .

وإلى الجنوب من جبال الريف تقع سلسلة جبال أطلس الوسطى ، التي ترتفع قممها مشرفة على سهول تازا لتصل إلى أكثر من ٣٠٠٠ متراً عند جبل بونصر . وتمتد هذه الجبال ما يقرب من

٨٠٠ كيلومتراً وتشتمل على أعلى الجبال في شمال إفريقية ، وقد تكونت هذه الجبال خلال الزمن الجيولوجي الثالث ، باعتبارها جزءاً من الحركة الألبية الكبرى . ويقطع هذه الجبال عدد من الممرات الطبيعية التي تيسّر الانتقال بين الصحراء والبحر . وتلتقي أطلس الوسطى مع جبال الربت في هضبة أطلس العليا في الشرق ، حيث يصل ارتفاع الهضبة إلى أكثر من ٤٠٠٠ متراً . وهي هضبة جيرية تتصل بجبال أطلس الصحراوية في الجزائر .

ويفصل بين مرتفعات أطلس هذه عدد من السهول المرتفعة خصبة التربة هي سهول مراكش ، وتاولا ، وفاس ، ومكناس . وتحف بساحل الأطلنطي عدد من السهول الفيضية الخصبة يفصل بعضها عن بعض مناطق سبخات ومستنقعات ، وهي سهول الشاوية والدوكالا . ويفصل سهول سوس بين أطلس العليا وأطلس الصحراوية . وتحتوي الهضاب المرتفعة القديمة على رصيد ضخم من رواسب الفوسفات وهي من أهم الموارد الطبيعية للبلاد .

ويسود نبات إقليم البحر المتوسط معظم بلاد المغرب . ولكنه يتباين تبايناً كبيراً من مكان إلى آخر فتغطي أشجار الشربين والفلين والبلوط السفوح الغربية لجبال الريف وأطلس الوسطى . أما سهول الأطلسي فتغطيها حدائق الزيتون ، بينما تغطي الأشجار القصيرة والأحراج السهول الداخلية الشرقية وتسود الزراعة المستقرة حيث تسقط أمطار تزيد على ٤٠٠ مم في السنة .

وتنبع من الكتلة الجبلية الوسطى معظم أنهار الغرب . وهي تتفق جميعاً في سمة واحدة ، هي أنها سيلية متدفقة الجريان وأهم هذه الأنهار هي سيبو وأم الربيعة وملوية . وسيول الريف تفيض في أشهر الخريف ، كما تفيض في الربيع بعد أن يذوب الثلج من فوق الجبال .

الاقتصاد :

تمتلك المغرب السهول الخصبة والسفوح التي تستقبل قدراً وافراً من الأمطار ، كما تمتلك الثروة المعدنية ، والأقاليم المتنوعة التي تتيح تنوع الإنتاج الزراعي والمعدني .

من ثم كانت المغرب أكثر بلاد الشمال الأفريقي نماء، وأكثرها توازناً في الإقتصاد. والزراعة المغربية تقليدية وحديثة. فالزراعة التقليدية تستوعب ٨٠٪ من الأرض الزراعية ويعمل فيها ٩٠٪ من السكان المشتغلين بالزراعة وهي تشتمل على الحبوب وفي مقدمتها القمح الذي يزرع في السهول الشمالية للمغرب الأطلنطي ولا سيما في إقليمي عزب والشاوية (ويفوق الإنتاج مليون طن سنوياً) ثم الشعير غذاء سكان الريف (أكثر من ٢,٧٥٠,٠٠٠ طن سنوياً) ومعظمه يزرع في الجزء الجاف الذي يقع شرقي جبال أطلس، هذا إلى جانب البقول، والزيتون الذي تقع أهم مناطق زراعته في سهول فاس ومراكش.

وإلى جانب ذلك توجد الزراعة الحديثة في بعض أراضي المغرب وقد هيئت لها ٢٧١٤ هكتاراً من الأرض المروية ونحو ٢٥٠,٠٠٠ هكتاراً من الأرض المستصلحة تمتلكها جمعيات زراعية تستخدم الأساليب العلمية في إنتاج محاصيل للتصدير. وتقع هذه الأراضي بصفة أساسية في السهول الشمالية والشمالية الغربية، وكانت الزراعة الحديثة قد بدأت على أيدي مستوطنين من الأوروبيين كانوا يستخدمون ١٠٠,٠٠٠ مزارع بصفة دائمة. وعند الإستقلال كان هناك ٦٠٠٠ مزرعة أوروبية تمتلك نحو مليون هكتار من الأرض الزراعية، لم يتبق منها سوى ٤٠٠,٠٠٠ هكتار بعد الإستقلال. فقد اشترى الوطنيون باقيها.

وإلى جانب زراعة القمح العادي لتغذية سكان المدن (في إقليم مكناس) في هذه المزارع فإنها تعني بصفة خاصة بمنتجات التصدير مثل الخضر التي تصدر إلى أوروبا، والفواكه وأهمها الحمضيات التي تصدر لجهات متعددة وتزرع في أقاليم عزب والرباط وسوس، ثم الخوخ.

الثروة المعدنية والصناعة:

تؤلف المعادن ٤٠٪ من صادرات المغرب. وأهمها الفوسفات الذي يمثل ٢٥٪ من قيمة الصادرات. وتكون ركائز الفوسفات هضبة كبيرة تبلغ مساحتها بضعة آلاف من الكيلومترات وهو يستخرج من منطقتين: خوريجة ويوسفية. ويصدر الفوسفات من مينائي الدار البيضاء وصافي ويقدر احتياطيه في أرض المغرب بنحو ربع فوسفات العالم كله. والمغرب هي ثالثة دول

العالم في إنتاجه وقد تجاوز الإنتاج المغربي ١٢ مليون طن في عام ١٩٧١م ويتم تصنيع نحو ٤٠٠,٠٠٠ طن منه في الداخل.

ويوجد في المغرب أيضاً خام الحديد وهو يستخرج من بو عرفة (جنوبي وجده بنحو ٣٠٠ كيلومترا) وهو يصدر بحراً عن طريق أحد الموانىء الجزائرية منذ بدءاً استخراجه عام ١٩٣٠م. كما يستخرج أيضاً من سروه في جنوبي مراكش حيث ينتج ٧٥٪ من حديد المغرب.

والمغرب رابع دول العالم في إنتاج الكوبالت وقد بلغ إنتاجها منه ٩,٧٨٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٧١م وهو يستخرج من جبال أطلس الصحراوية. كما أن المغرب هي ثانية دول العالم في إنتاج الرصاص ويستخرج من أراضيها أيضاً الزنك والمولبدنيوم والأنتيموني والنحاس والقصدير.

كذلك فإن المغرب غنية بإمكانات توليد الطاقة الكهربائية. ومعظمها يُولّد حالياً من المياه المتدفقة خلف خزانات المياه الكبيرة التي بنيت في عام ١٩٢٨م على مجاري الأنهار الهابطة من جبال أطلس الوسطى. وهذه الخزانات تولد ١٥٠٠ مليون كيلوات/ساعة في السنة.

وتتسع إمكانات الصناعة في المغرب. وبها الآن صناعات الغزل والنسيج والجلود والصناعات الكيميائية إلى جانب الصناعات المغربية التقليدية.

هذا وتتمتع المغرب بموقع جغرافي ممتاز على مفترق الطرق بين أوروبا وإفريقية وأمريكا الجنوبية، وبين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي والشرق الأدني، كما تتمتع البلاد بشبكة من الطرق الممتازة وبشبكة أخرى من الخطوط الحديدية التي تربط بين مدينتي مراكش والجزائر، وبين الدار البيضاء (الميناء الرئيسي في المحيط الأطلنطي) ومدينة وجده من طريق الرباط ومكناس وفاس وتازا ويرفد هذا الخط خطان آخران إحداهما يصل الدار البيضاء بمراكش ويذهب منه فرع إلى صافي، والآخر يصل بين طنجة ومكناس. هذا إلى جانب ما يخدم صناعة التعدين مثل الخط الذي يسير من الدار البيضاء إلى خوريجه ثم وادزيم وهو يخترق منطقة الفوسفات. وثمة خط يمتد من وجده إلى بو عرفة فتندرا في منطقة المنجنيز والفحم.

ويخدم الإقتصاد المغربي ميناءان كبيران هما الدار البيضاء وصافي. كما يستفيد من ٢٠ مطاراً موزعة على أنحاء البلاد أكبرها مطار الدار البيضاء. وتمثل هذه المواصلات الميسّرة بنية مساعدة لاقتصاد تلك البلاد.

السكان والمدن:

بلغ عدد سكان المغرب (حسب إحصاء عام ١٩٧١م) ١٥,٤٣٣,٢٠٩ نسمة. ويشمل الإحصاء سكان أفني الذين يبلغون ٥٤,٠٠٠ نسمة. وأكثر من نصف السكان صغار السن (تقل أعمارهم عن ٢٠ سنة) بل إن ٤٦٪ منهم تقل أعمارهم عن ١٥ سنة. ومعدل المواليد بالمغرب هو من أعلى معدلات المواليد في العالم (٤٩,٥٪) ويبلغ متوسط كثافة السكان ٣٥ نسمة في الكيلومتر المربع. وتزداد الكثافة السكانية في المناطق الزراعية إذ تصل إلى ما بين ٥٠ و١٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع، بينما تنخفض الكثافة السكانية إلى أقل من ١٠ أشخاص في الكيلومتر المربع في شرقي المغرب والأطلس الصحراوية.

وقد بلغت نسبة سكان الحفر من ١٠٪ في عام ١٩٢٦م إلى ١٦٪ في عام ١٩٣٦م، ثم إلى ٣٠٪ في عام ١٩٦٠م. وارتفع عدد المدن التي يسكن كلا منها ٢٥,٠٠٠ نسمة في الفترة بين عامي ١٩٦٠ و١٩٧١م من ٨ مدن إلى ١٢ مدينة، وإذا نظرنا إلى الدار البيضاء مثلاً وهي مدينة لها شأنها المتميز في البلاد فإننا نجد عدد سكانها قد ارتفع من ٢٥,٠٠٠ نسمة في عام ١٩١٣م إلى ٩٦٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٦٠م، ثم إلى ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٧١م. والعاصمة السياسية والإدارية للبلاد هي الرباط (٣٧٥,٠٠٠ نسمة). وتقوم إلى جانبها حواضر مغربية هامة أخرى في مقدمتها الدار البيضاء ومراكش (٣٣٠,٠٠٠ نسمة) وفاس (٣٣٠,٠٠٠ نسمة) وطنجة (١٨٨,٠٠٠ نسمة) هذا إلى جانب وجده (١٧٦,٠٠٠ نسمة) وقنيطرة (١٣٩,٠٠٠ نسمة) وتطوان (١٣٩,٠٠٠ نسمة) وصافي (١٢٩,٠٠٠ نسمة).

(٧) موريتانيا

موريتانيا أو بلاد «شنقيط» القديمة، تمتد من المغرب نحو الجنوب، وهي أداة وصل بينه وبين شمالي الإقليم السوداني أو إقليم الساڤانا الكبير عبر جزء من الصحراء الكبرى، مثلما كان سودان وادي النيل أداة وصل بين مصر والجنوب. وجمهورية موريتانيا الإسلامية تقع في إقليم الساحل الصحراوي، وتبلغ مساحتها ١,٠٣٠,٧٠٠كم٢، وتمتد على مدى ١٢ درجة عرضية بين الدائرتين ١٥° و٢٧° شمالاً.

الإسلام في موريتانيا وفي غربي إفريقية بوجه عام:

ترجع تسمية «موريتانيا» إلى أيام الحكم الروماني ثم البيزنطي لإفريقية الشمالية، وكانت تمثل قسماً من أقسام ولاية إفريقية يقع في منطقة طنجة، بينما كان المغرب الأوسط أو الجزائر الحالية يمثله في ذلك التقسيم نوميديا، وكانت إفريقية القنصلية من الشرق تضم إفريقية الأصلية والجزء الشرقي من تونس الذي كان يسمى زوجيتانيا ومنطقته الداخلية إلى فزان وتسمى بتزاسينا[١]. وذكر جوتييه أن البربر كانوا يقسمون في تاريخهم القديم إلى نوميديين (وهم سكان ما يعرف بالمغرب الأوسط أو الجزائر) وموريتانيين (وهم سكان ما يعرف بالمغرب الأقصى)[٢]. إلا أن حدود موريتانيا كانت تشمل وقتذاك أراضي من المغرب الأوسط فضلاً عن أراضي المغرب الأقصى كما كانت تمتد إلى أراضي موريتانيا الحالية[٣].

وقد كانت بلاد موريتانيا القديمة وطناً للإفريقيين السود حتى العصر المسيحي إذ كانت القبائل الإفريقية تزحف من الجنوب إلى الشمال، وكان هؤلاء من الزراع المستقرين، ولم يتعدوا

---

(١) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ٢.
(٢) Gautier: Le Passé de l'Afrique du Nord p. 242.
(٣) أنظر مثلاً Julien: Hist. de l'Afrique du Nord I: 225, 285-6.

حدود إقليم الحشائش أو جنوبي موريتانيا الحالية ، وهو ما يعرف بإقليم الساحل أي ساحل الصحراء الكبرى الجنوبي . وكان من هؤلاء الأفارقة : قبائل التوكولور ، والسراخول . ومع حلول الجفاف في البلاد اتجه هؤلاء للهجرة نحو الجنوب إلى وادي السنغال ، وكان من هؤلاء المهاجرين : قبائل السرير ، وإن ظلّ بعض الفلاحين السود في الواحات مثل الأدرا والتاخيت والحوض .

وقد ذكر في غزوة عقبة بن نافع الفهري المبكرة لبلاد المغرب في ولاية عمرو بن العاص أنه بلغ زويلة ، وروى أن عمرو كتب إلى الخليفة عمر «أن من بين زويلة وبرقة سلم كلهم ، حسنة طاعتهم ، قد أدى مسلمهم الصدقة وأقرّ معاهدهم بالجزية ، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه ، وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها على الفقراء ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل إليه بمصر»[1] . ويذكر الاصطخري : أن «**زويلة** بلد في وجه أرض السودان... **وأرض المغرب** ما كان منها في شرقي بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة ، **وكلما تباعدوا فيما يلي الجنوب والمشرق ازدادوا سواداً حتى ينتهوا إلى بلاد السودان** ، فيكون الناس بها أشد الأمم سواداً... وكلما ازدادوا وتباعدوا إلى ما يلي المغرب والشمال ازدادوا بياضاً ، حتى يقطع عرض الروم كله إلى ظهر الصقالبة... وبين المغرب وبلد السودان مفاوز منقطعة لا تسلك إلا من مواضع معروفة...»[2] . وذكرت الروايات ضمن عمليات عقبة الحربية في غزوته عام ٤٦هـ أنه بلغ موضع زويلة أيضاً[3] . كذلك ذكرت في أخبار غزوته الكبرى للمغرب عام ٦٢هـ أنه بلغ وادي السوس الأقصي وخاض في الصحراء ، وقد بني مسجداً في مدينة إيجلى عاصمة السوس الأقصي ومنها سار إلى ماسة ثم إلى رأس إيغيران ، واقتحم البحر بفرسه وقال «يا رب لولا هذا البحر لمضيت مجاهداً في سبيلك»[4] ويذهب البعض إلى أنه أوغل في بلاد السودان وفتح بلاد التكرور وغانة ، وأنه كان بهذه البلاد

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٢٦ .
(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني -القاهرة ١٩٦١م ص ٣٦-٧.
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٧ .
(٤) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ص ١٦٣-١٦٤ .

جماعة مسلمة في عام ٦٠هـ ، كما يذكرون أنه بني عدداً من المساجد . ويتحفظ بعض المؤرخين المحدثين في قبول مثل هذا الامتداد الواسع لتلك الحملات المبكرة ، ولكنه يرون أنه «ليس ببعيد أن تكون مملكة غانة الزنجية قد مدت نفوذها شمالاً حتي وادي نون ، فيكون عقبة حين غزا وادي نون قد أدرك الحدود الشمالية لمملكة السودان . وبذلك يكون عقبة أول من حمل أها اللثام على الإسلام ، وأول من ارتاد هذه الديار النائية من العرب ، وأول من فتح الطريق أمام التجار الذين أخذوا يتدفقون إلى هذه البلاد ويخترقون الصحراء إلى أودغشت على حافة السودان الشمالية...»[1] . وترسّم موسي بن نصير خطى عقبة في المغرب الأقصي فواصل مسيرته من المغرب صوب الجنوب .[2] ثم جاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري حفيد عقبة الذي ولى القيروان (١٢٧-١٣٢هـ) فعمل على حفر سلسلة من الآبار تصل بين واحات إفريقية وبين مدينة أودغشت بصحراء المغرب الأقصي وهكذا استطاع جنوده أن يعبروا الصحراء وأن ينشروا الإسلام بين القبائل الضاربة فيها ، كما استطاع التجار أن يتصلوا ببلاد الملثمين وبلاد السودان عن طريق ساحل المحيط أو طريق الصحراء الذي أصلحه عبد الرحمن ، وهكذا أصبحت القوافل أكثر قدرة على ارتياد هذا الطريق متجهة إلى غربي إفريقية[2] .

وقد استفاد الإسلام من طبيعة الشعوب البدوية الرعوية واعتيادها الحركة فانتشر معهم أثناء تحركاتهم ، وفي مقدمة هؤلاء العرب . وعزّز جهودهم في غربي إفريقية بدو المغرب الأقصي النازلين بين جنوبي مراكش وحوض السنغال ، وقد كان «**الفولاني**» الذين عملوا على نشر الإسلام في شمالي نيجيريا ومنطقة بحيرة تشاد من هذه الشعوب البدوية . وهؤلاء كانوا يفضلون التحرك في السهول ويتوقفون إذا اصطدموا بالجبال . ولم تستطع القبائل البدوية أن تتوغل إلى أبعد من العروض التي تنمو فيها الشجيرات القصيرة بسبب طبيعة الأرض وعدم ملائمتها لتقدم البدو وبسبب سوء المواصلات فضلاً عن عدم ملائمة المناخ وتفشي الأمراض . وقد دخلت طلائع **المرابطين** من بدو المغرب الأقصي عن طريق النهاية القصوى للسهل الساحلي المحاذي للمحيط الأطلسي وانحدروا جنوباً حتي حوض السنغال ثم توقفوا عند نهاية منطقة الشجيرات

(١) حسن ابراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى -القاهرة ١٩٥٧م- ص ٤٦ .
(٢) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقية -القاهرة ١٩٦٣م- ج١ ص ٢١٢ .

القصيرة وحدود المنطقة الإستوائية. وقد شرع الإسلام يتجه شرقاً بجنوب فينتشر على الحافة الشمالية لمنطقة الاستبس الرعوية، ومن ثمّ قامت المراكز الإسلامية الأولى مثل تنبكت وأودغشت في هذه المنطقة. ثم توغل الإسلام في نيجيريا جنوباً إلى منطقة كانو. وقد سلك الإسلام في انتشاره بغربي إفريقية الطريق الساحلي عبر حوض السنغال وهو الذي سلكته جموع المرابطين، وينحدر هذا الطريق صوب الشرق محاذياً لمنطقة الشجيرات القصيرة. كذلك نفذ الإسلام من مدن المغرب مع التجار إلى بعض المراكز القائمة على حافة الصحراء. وكانت أهم السلع التي تحملها قوافل التجار القادمة من بلاد المغرب الملح الجبلي الذي كان يستخرج من صحراء المغرب، إلى جانب النحاس والمنسوجات وأحياناً التمر والحلى، وكانت هذه القوافل تعود ببعض المحصولات الإستوائية والذهب. وكان المغاربة مموّلي هذه القوافل التجارية التي تخترق الصحراء كما كانوا منظميها وهي تجتاز الواحات الصحراوية إلى المدن الكبرى التي أقيمت في شمالي السودان قرب حافة الصحراء، وقد غدت هذه المدن مراكز لتجارة القوافل فهي تعمل على استقبالها وتقديم الطعام والماء والمأوى لرجالها. وكان أهم المراكز التجارية في غربي إفريقية: غانة، مالي، جيني (غينيا)، تنبكت، كانو. وفي النهايات الشمالية قرب حدود المغرب قامت المدن المغربية من أمثال: القيروان، تونس، طرابلس. وكانت التجارة المتبادلة بين الشمال والجنوب تسلك ثلاث طرق رئيسية: منها طريق غربي من مراكش إلى منحني النيجر والمناطق الواقعة غرباً ويبدأ من تافلالت في جنوبي مراكش ثم يتفرع عند الحريب فيمضي فرع إلى مناجم الملح في تغزة ومنها إلى غانة مساحلاً للمحيط ويمضي الآخر إلى أودغشت ومنها إلى تنبكت، وقد كان هناك طريق أوسط يصل ما بين تونس والمنطقة الواقعة بين نهر النيجر وبحيرة تشاد، وإلى جانب ذلك كان هناك طريق شرقي من طرابلس إلى المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد. وتساعد إنحناءة النيجر الكبيرة في الغرب صوب الشمال على تقريب شقة الصحراء التي لا تتصل بساحل المحيط الأطلسي مباشرة ولكنها تترك سهلاً ساحلياً يمكن اجتيازه فيتصل بذلك الجنوب والشمال. وقد اتصل المغرب بالسهل الواقع جنوبي الصحراء الكبرى اتصالاً قديماً مستمراً عبر هذه الطرق. وكانت البلاد الزنجية في حاجة دائمة إلى ملح الطعام الذي كان يحتكر تجارته المغاربة منذ فجر التاريخ يستخرجونه من جنوبي المغرب الأقصى ويحملونه إلى مختلف الأنحاء.

وقد أصلح المسلمون طرق الواحات ونظموا القوافل وأمّنوا التجارة، وحمل التجار المسلمون عقيدتهم خلال رحلاتهم ومعاملاتهم.

وبدأ المغرب الإسلامي يؤثر في غربي إفريقية بعقيدته وثقافته وشعوبه وحكمه. وجاءت هجرات البربر المسلمين في موجات متعاقبة نحو الجنوب نتيجة أسباب مختلفة عاملاً مؤثراً فعالاً في انتشار الإسلام في غربي إفريقية، وبخاصة أولئك البربر الذين كانت تنتشر مضاربهم في جنوبي المغرب الأقصى وتمتد ديارهم على ساحل المحيط جنوباً حتى مشارف السنغال. وفي عهد **الأدارسة** استوعب الإسلام هؤلاء، وبدأت هجراتهم تعمل عملها منذ القرن الرابع الهجري (١٠م) وتأكد إسلام هؤلاء بوجه خاص في القرن الخامس الهجري فصاعداً، وعن طريقهم نفذ الإسلام إلى غربي إفريقية. وأدى ضغط هجرات العرب الهلاليين لبلاد المغرب إلى دفع قبائل من البربر لهجرات إلى منطقة الصحراء ثم توغلها نحو الجنوب إلى منطقة السنغال والنيجر، وبعضها قد هاجر إلى بلاد برنو أو كانم ثم اندفع فريق عبر الطريق الساحلي نحو بلاد السنغال. وإن **عبدالله بن ياسين** حين قاد حركة جهاد للإسلام في رباطه عند مصب السنغال قد استطاع أن يجمع على حركته قبائل **الملثمين** ويدفعهم نحو بلاد المغرب، وهكذا امتدت **دولة المرابطين** فوصلت شطراً من غرب إفريقية بالمغرب والأندلس. وتحت رايتها نفذت المؤثرات الإسلامية على نطاق واسع إلى السودان الغربي. وقد توفي أبو بكر بن عمر أمير المرابطين في أرجائه مجاهداً في سبيل الإسلام. ويبدو أن القرن الخامس الهجري (١١م) كان زمن التدفق الواسع من المغرب على تلك الجهات. ثم قامت جماعات مسلمة من أهل البلاد الأصليين، وأنشئت مدن لها شأنها الكبير وأثرها الباقي في تاريخ الإسلام في إفريقية مثل تنبكت. وخلف المرابطون في ذلك الجزء من إفريقية جماعات من المسلمين يتطلعون دائماً إلى إخوانهم في الدين عبر الصحراء وإلى سائر إخوانهم المسلمين في شتى أنحاء دار الإسلام. كذلك كان **للطوارق** شأن في نشر الإسلام في منطقة السنغال والنيجر حتى القرن الثاني عشر الهجري (١٨م). ولم تبلغ هجرات البربر بلاد برنو فحسب، بل وصلت دارفور. بل يظن أن هجرات **الفولاني** هجرات بربرية وفدت على غربي إفريقية منحدرة من منطقة أدرار في شمالي السنغال. وجاء اندفاع هؤلاء إلى السودان الغربي على أثر إجلاء المسلمين عن الأندلس، وشرعوا في مستقرهم الجديد يعملون في

الرعي أو الزراعة أو التجارة ، حتي جمعت شملهم راية الجهاد التي رفعها **عثمان بن فودي في** القرن الثالث عشر (١٩م) وكان هؤلاء عدته في جهاده ودعامة دولته[١] .

لقد لعبت بلاد شنقيط دوراً كبيراً في نشر الإسلام في نطاق الحشائش بإفريقية ، ومنها اتجه دعاة الإسلام صوب الجنوب وصوب الشرق . وقد كانت موريتانيا جزءاً من إمبراطورية غانا الإفريقية حتي القرن الرابع الهجري (١٠م) ، وعندما استولى المرابطون على أودغشت عاصمة البربر الصحراويين صار المرابطون وجهاً لوجه ضد أمبراطورية غانا . لكن الإسلام ما لبث أن استطاع تثبيت جذوره في تلك الأمبراطورية الإفريقية وأخذ ينتشر جنوباً وشرقاً . وكان للشناقطة في ذلك جهد مذكور .

الملامح الطبيعية :

تقع موريتانيا في إقليم الساحل الصحراوي ، فثلث البلاد صحراء ، أما الثلث الآخر الجنوبي فيدخل في إقليم الساڤانا الذي ينتهي إلى إقليم الساحل . والحدّ بين الساحل والساڤانا هو دائرة العرض ١٧° شمالاً [أنظر السودان] . فإلى الشمال من هذه الدائرة تسود الكثبان الرملية في هضاب الأدرار والتاخيت والأسبا ، وهي هضاب من الصخور البلورية القديمة تغطيها الرمال وتنتهي بحافات شديدة الإنحدار (الحنك) وفي الشرق تنتهي هذه الهضبة إلى أحواض الرمال الواسعة ، وسلاسل كثبان العرق . ويشطر مدار السرطان الجزء الشمالي من موريتانيا ، حيث الجفاف الشديد والرياح الشرقية السائدة ، بينما تبدأ الأمطار في السقوط جنوبي دائرة العرض ١٧° شمالاً نتيجة رياح مدارية وتصل الأمطار إلى ٥٠٠ ملليمتر في السنة .

ويستمر فصل الجفاف من ثمانية أشهر إلى تسعة ، تبلغ خلالها درجة الحرارة أقصاها ، إلا أن تيار كناريا البارد الذي يهب على ساحل المحيط الأطلسي من الشمال إلى الجنوب ، يلطف درجة حرارة هذا الساحل ، حتي تصل إلى ٢٠°م فقط .

وتنمو حشائش الساڤانا فيما بين دائرتي العرض ١٧° ، ١٥° س ، حيث ترعى قبائل البدو .

(١) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ، ص٦٣-٦٤ ، ٦٨-٧٣ ، ١٩٠ ، ٢١٠-٢١٣ .

ويقل النبات كلما اتجهنا شمالاً ، حتي تحل الصحراء المجرية تماماً . ومن ثم فإن الزراعة هناك مقصورة على الواحات المتناثرة وعلى وادي السنغال أو إقليم شيماما في الجنوب .

الاقتصاد :

يعيش ٩٠٪ من السكان في موريتانيا على الرعي أو الزراعة . ولا تمارس الزراعة إلا حيث يسقط ٤٠٠ ملليمتر من المطر في العام ، أي في شريط ضيق من وادي الستغال في الشمال لا يزيد عرضه على ٥٠ كيلومتر وفي واحات تاجنت وهضبة أدرار . ويقدم وادي السنغال وحده ٨٠٪ من الإنتاج الزراعي للبلاد . وتزاول الزراعة في بطن الوادي عند انخفاضه أو في الأشرطة الطمية في فصل سقوط المطر . وهي تنحصر في زراعة ما يقتات به فيكون الإقتصاد «العيشي» هو السائد في البلاد ، ويقصد به الاقتصاد الذي يقوم على سد حاجة السكان المحليين من ذرة وبقول وبطاطا وفول سوداني . كما يجمع الصمغ من أشجار السنط . أما الواحات فتزرع القمح والشعير وينتج نخيلها التمر .

وتعمل الحكومة منذ أن حصلت موريتانيا على استقلالها (١٩٦١م) على تنمية الزراعة ولا سيما في حوض السنغال ، وإدخال وسائل الري ، وزراعة بعض المحاصيل النقدية لكي تستطيع البلاد الحصول على ما يكفيها من غذاء بدون إرهاق للخزانة .

والرعاة يكونون ٧٥٪ من مجموع السكان . ويقوم على الرعي ثلاثة أرباع الإقتصاديات الأساسية في موريتانيا . وتقدر الثروة الحيوانية بأكثر من ٢,٠٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية ، ٦,٠٠٠,٠٠٠ رأس من الغنم والماعز ، ٦٧٥,٠٠٠ رأس من الإبل ، ٢٠٠,٠٠٠ رأساً من الحمير والخيل . ويقدر نصيب الفرد من الماشية بنحو خمسة رؤوس في المتوسط .

وتوجه التنمية الإقتصادية كثيراً من إهتمامها إلى مجال الثروة الحيوانية فتعني بإنشاء مذابح حديثة وثلاجات كبيرة لحفظ اللحوم ومسالخ للجلود كما في كايدي ونواكشوط .

ولا يزال صيد السمك في حالة بدائية ، وإن كانت إمكاناته كبيرة وتأتي للدولة بما يمثل ٣٣٪ من دخلها . ويمثل خام الحديد أهم صادرات موريتانيا إذ يكون ٩٥٪ منها ويوجد خام الحديد في إقليم افدريك ، ويقدر احتياطي الحديد بنحو ١٤٤ مليون طن من الخام عالي الجودة (٦٠–٦٤٪) وتقوم باستغلاله شركة تمتلك الدولة ٦٠٪ من رأس مالها وتشارك فيها رؤوس أموال أجنبية تدعى «ميفرما» وقد منحت قرضاً من البنك الدولي.

كذلك يستخرج خام النحاس من مناجم أكجوت ، ويتكون من عدسة يتراوح قطرها بين ٣٠٠ و٥٠٠ متر ويقدر احتياطيها بنحو ٢٧ مليون طن من أكاسيد النحاس وتستخرجه شركة ذات رأس مال مختلط أيضاً تسمى شركة «سومیا» ويستخرج منه ما بين ٥٠,٠٠٠ و٦٠,٠٠٠ طن من ركائز النحاس (٥٠٪ منها نحاس خالص) أو ٢٥,٠٠٠ طن من معدن النحاس سنوياً.

ويوجد بالقرب من يوناقة معدن نادراً اسمه بتريوم (يستخدم في صناعة التلفزيون الملون) كما توجد رواسب الفوسفات والكبريت والجص. وأهم صناعات موريتانيا التعدين ومن ثم كان ميزانها التجاري دائناً فصادراتها من المعادن ضعف وارداتها.

السكان :

يسكن موريتانيا ١,٢١٥,٠٠٠ نسمة وتبلغ كثافة السكان ١,٢ شخص للكيلومتر المربع. ويتركز ٨٠٪ من السكان جنوبي دائرة العرض ١٧° شمالاً والسكان جميعهم مسلمون يتحدثون العربية. ويمثل المغاربة أو البيضان الذين يسكنون الشمال ٧٥٪ من السكان لكن باقي السكان على قلة عددهم يضطلعون بدور كبير في اقتصاد البلاد ، ومن هؤلاء الفلاحون أو الحراثون السود ، والتوكولور في وادي السنغال الأوسط والولوف في أسفل النهر وهذه العناصر نشطة أخذت تقبل على التعليم الحديث وهم يعملون في أعمال التجارة والإدارة والتعدين.

ولا يكاد سكان الحضر يصلون إلى ١٠٪ من مجموع السكان ، وهم يعيشون في مدن قليلة العدد صغيرة الحجم . وأكبرها نواكشوط العاصمة التي بلغ عدد سكانها ٣٥,٠٠٠ نسمة في عام

١٩٧١م وهي في الوقت نفسه ميناء موريتانيا. أما في الداخل فهناك أتار وسكانها ١٠,٠٠٠ نسمة وتقع عند ملتقى عدة طرق هامة ، ومدينة أفدريك زويرات (فورت جورو سابقاً) ويسكنها ١٦,٠٠٠ نسمة. ومن الموانىء النهرية على نهر السنغال كايدي (١٣,٠٠٠ نسمة) وروسو (١١,٠٠٠ نسمة) وبوغه (٦,٠٠٠ نسمة) أما نواديبو (أو بورت اتيين سابقاً) فهي أقدم ميناء في موريتانيا وقد يكون عدد سكانها وصل إلى ٢٥,٠٠٠ نسمة الآن.

(٨) الصومال

تقع بلاد الصومال على طرف القرن الإفريقي البارز في مياه المحيط الهندي ، وتطلّ سواحلها على خليج عدن في الشمال والمحيط الهندي في الشرق ويبلغ طولها ١٨٠٠ كم. وتتاخم الصومال إثيوبيا في إقليم أوجادين الذي تتنازعه الدولتان. كما تتاخم الصومال في جنوبها الغربي كينيا.

ودولة الصومال تضم في أراضيها معظم الشعب الصومالي الذي كان موزعاً بين فرنسا وإيطاليا وبريطانيا. وقد نالت جيبوتي استقلالها أخيراً ويسكنها العفار والعيسي. وتوجد بعض القبائل الصومالية في إقليم أوجادين الواقع داخل حدود دولة إثيوبيا وفي شرقي كينيا.

الإسلام في الصومال وفي شرقي إفريقية بوجه عام :

من قبل الإسلام نشأت علاقات تجارية بين سواحل شبه الجزيرة العربية في عمان وحضرموت واليمن من جهة وبين سواحل القرن الإفريقي من جهة أخرى ، وقد أنشأ العرب محطات تجارية على سواحل ذلك القرن ينفذون منها إلى داخل شرقي إفريقية كما تكون قواعد لأسطولهم التجاري الذي كان يجوب سواحل المحيط الهندي. وقد تاجر العرب مع الحبشة قبل الإسلام ، وكانت هجرة المسلمين الأولى إلى تلك البلاد إثر تزايد اضطهاد قومهم المشركين لهم ، وقد تعقبهم زعماء المشركين إلى هناك.

وقد انتشر الإسلام في المنطقة بين جنوبي الحبشة وموزمبيق عن طريق هجرات عربية من منطقة عمان وحضرموت واليمن أو نتيجة للعلاقات التجارية التي لم تنقطع طوال العصور التاريخية بين بلاد العرب وشرقي إفريقية. ويذكر أن هجرات عربية نزحت من عمان إلى شرقي إفريقية في عام ٧٦هـ (٦٩٥م) ، وفي عام ١٢٢هـ (٧٤٠م) هاجرت جماعة من الزيدية إلى هناك وانتشرت حتي خط الإستواء. وبعد أجيال خرجت هجرات أخرى من إقليم الإحساء في مطالع القرن الرابع الهجري وذلك في عام ٣١٣هـ (٩٢٥م). وانتشرت المراكز العربية

الإسلامية في منطقة السهل الساحلي الشرقي للجنوب الإفريقي فنشأت مدن هامة على الساحل مثل موقادشيو وكلوا وزنجبار وممبسّة وسفالة ، وقامت المبادلات التجارية بينها وبين القبائل الزنجية المجاورة في سن الفيل وغيره من المنتجات الإفريقية.

ونشأت المجتمعات الإسلامية الأولى بتلك الجهات في مدن المنطقة الساحلية التي تحف بخليج عدن والبحر الأحمر مثل سواكن ومصوع وزيلع وبربرة وهرر. وقد قامت هذه المجتمعات بنشر الإسلام بين القبائل الحامية البدوية التي تقيم في المنطقة الممتدة من ساحل البحر حتي الهضبة الحبشية مثل قبائل البجة والعفار والصوال والجلا وكانت هذه القبائل تعمل في نشر الدعوة الإسلامية جيلاً بعد جيل ، استهل ذلك البجة ثم العفار ثم الصومال ثم الجلا. وهكذا انتشر الإسلام على سواحل البحر الأحمر ، وبخاصة بعد أن اضطر العرب المسلمون لحماية تجارتهم وتأمين مراسي لهم على الساحل المقابل لليمن فنزلوا جزر دهلك تجاه مصوع التي كانت بمثابة رأس جسر أدى إلى النزول في مراكز أخرى ونفاذ الإسلام إلى شرقي إفريقية. وعلى أثر استجابة البجة للإسلام استمر انتشاره في الساحل الشرقي للبحر الأحمر طوال القرنين الرابع والخامس الهجريين (١٠-١١م).

ثم بدأ الإسلام يدخل أرض الحبشة نفسها ابتداء من النصف الأول من القرن الرابع للهجري فأخذ يمتد من المناطق الساحلية ويخترق النطاق الجنوبي للبلاد. وكان انتشار الإسلام يتحقق في تلك الجهات سلمياً وعلى مهل عن طريق التجار والدعاة بحيث لم يقلق الحبشة على سلطانها في أول الأمر ، ولكنه ما لبث أن أدّى إلى قيام سلسلة من الإمارات الإسلامية في المنطقة التي تمتد بين جنوبي الحبشة ومنطقة البحيرات وحتي مدار الجدي في المنطقة التي دعاها الجغرافيون المسلمون « برّ الزنج » خلال الفترة بين القرنين الرابع والسابع للهجرة (١٠-١٣م). وانتشرت المراكز الإسلامية التجارية على طول ساحل الصومال وبلاد الجلا مثل موقادشيو التي أنشئت في منتصف القرن الرابع الهجري وغيرها. وأصبح للإسلام مكانه ومكانته في جميع المناطق الساحلية من أرخبيل دهلك في البحر الأحمر على الطريق من عيذاب إلى اليمن ثم إلى مناطق الدناقل وبلاد الصومال ، وبدأ في مواجهة الهضبة الحبشية التي تحصنت فيها المسيحية

وفي النوغل من شرقي إفريقية صوب هضبة البحيرات في أوغندة وتنجانيقا. وقامت عوان على ساحل البحر الأحمر مقابل تهامة على خليج عدن، فضلاً عن موقاديشيو على بحر الهند. ويذكر أنه حوالي عام ١٣٠٠م نفذ أحد دعاة الإسلام إلى بلاد الحبشة وتمكن من هداية مائتي ألف أعلن بهم الجهاد ضد ملك أمهرا وفي هذا الصدد يقول توماس أرنولد بكتابه «الدعوة إلى الإسلام» «وفي نهاية هذا القرن –١٣م– انشغلت بلاد الحبشة بالحروب الداخلية التي صحبتها حالة من الإضطراب مهدت السبيل للقبائل العربية المختلفة التي استقرت على طول الساحل، فدفعت أهل الحبشة نحو المناطق الداخلية». وثمة جماعات من العرب المسلمين عاشت في مصوع تحت نفوذ ملك الحبشة.

وكان لمصر صلاتها التجارية بشرقي إفريقية التي أعانت على تثبيت جذور الإسلام فيها. وكانت هناك جماعة من التجار المسلمين في مدينة قوص بمصر تتألف من مهاجرين من أهل التكرور وبعض الهنود والعرب عرفت باسم «الكارمية» أو «الكانمية» نسبة إلى بلاد الكانم. واشتغل هؤلاء بتجارة التوابل، وكانوا نشيطين في التجارة والدعوة إلى الإسلام معاً، منهم قراء ومحدثون وفقهاء وإن اشتغلوا بالتجارة طلباً للرزق. وأعانت هؤلاء على جهودهم في نشر الإسلام اتصالاتهم التجارية وطول إقامتهم في البلاد ومعاشرتهم لأهلها ومعرفتهم بعاداتهم. وقد أسلم على أيديهم الكثير من أهل الحبشة. وقد لاحظ الرحالة ربل Ruppell عند زيارته بلاد الحبشة أن الملوك كانوا إذا أرادوا أن يلتمسوا شخصاً أميناً جديراً بالثقة اختاروه من بين التجار المسلمين. وشرع المسلمون من أهل شرقي إفريقية يرحلون إلى مصر طلباً للعلم، وكان لأهل زيلع رواق في الأزهر، وتكاثرت وفود جبرت إلى مصر، وينتمي إليهم الجبرتي مؤرخ مصر المعروف.

وقد تعرّضت العلاقات بين السواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب ومصر من جهة وبين سواحل شرقي إفريقية من جهة أخرى للتوقف نتيجة لظهور النشاط الإستعماري للأساطيل البرتغالية، ولكن هذا التوقف كان موقوتاً لزمن قصير، وقد اضطلعت **مملكة عدال الإسلامية التي تأسست حول زيلع** في الشمال بنشر الإسلام في القرن الإفريقي وشرقي إفريقية كلها. وحين تطلّع البرتغاليون إلى محالفة الأحباش للقضاء على الإسلام في البحر الأحمر، كان النفوذ العثماني قد أخذ يظهر في بلاد اليمن ومضيق عدن وشرقي إفريقية، واستولى العثمانيون على زيلع وكان لهم

أسطول قوي في البحر الأحمر، واتجهوا بطبيعة الحال إلى التحالف مع عدال الإسلامية وأمدوا بالأسلحة النارية المستحدثة عاهلها الإمام **أحمد بن ابراهيم الغازي الملقب بجران أي الأشول** (٩١٢–٩٥٠هـ/١٥٠٦–١٥٤٣م) وشجعوه على غزو بلاد الحبشة، فقاد جيشاً يضم أهل مملكته ومجاهدين من العرب المسلمين ومن أشراف مكة ومن زعماء الحبشة المسلمين، وقد غزوا شعب الجلا وهرر وأكسوم ونجح هذا الجيش المسلم في عملياته الحربية زهاء خمسة عشر عاماً (٩٣٤–٩٥٠هـ/١٥٢٨–١٥٤٣م) وكان لذلك أثره في نشر الإسلام في بلاد الحبشة. ويلاحظ أن فاسكو دي جاما البرتغالي كان قد استعان في رحلته حول الساحل الشرقي للجنوب الإفريقي عام ١٤٩٨م ومنه إلى الهند عبر المحيط بأدلاء وملاحين من العرب والهنود المسلمين وقد أثار دهشة البرتغاليين أنهم وجدوا في مدن ذلك الساحل الشرقي أناساً يعيشون كما يعيش أهل المغرب الإسلامي. وقد نجح البرتغاليون في بسط نفوذهم على تلك البلاد زمناً، لكن المسلمين ما لبثوا أن تمكنوا من طردهم[١].

وقد تعرّضت بلاد الصومال للغزو الاستعماري الأوروبي الذي بلغ أوجه في القرن الثالث عشر (١٩م) فاحتلت القوات البريطانية الصومال في عام ١٨٨٧م، وكانت بريطانيا قد أجبرت مصر في عام ١٨٨٤م بعد عامين من احتلال أراضيها على ترك أراضيها في شرقي إفريقية ووسطها، وقامت بريطانيا بضم الصومال إليها وأخذت قواتها تتوغل في داخله لإخضاعه تدريجياً. وقد أعلن الزعيم **الصومالي الشيخ محمد بن عبدالله الجهاد ضد البريطانيين والأحباش، في الوقت الذي كان فيه المهدي يدعو السودانيين إلى الإسلام والجهاد في سبيله**[٢]. وكانت الحركة المهدية قد عنيت بالدعوة الإسلامية في الحبشة، واتخذت مدينة القلابات في شرقي السودان مركزاً لهذه الجهود[٣]. ولم تنته حركة الشيخ محمد بن عبدالله في الصومال إلا في عام ١٩٢١م، بعد أن كلّفت المحتلين البريطانيين خسائر فادحة.

---

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقية –ج١ ص٦٣، ٧٣–٧٥، ٢٠١–٢، ٢٠٧. حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة ص١٢٠–١٢٧. وانظر أيضاً فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ ص٦٣–٦٤، ٧٢–٧٦.

(٢) عبد الرحمن زكي: المسلمون في العالم اليوم– ٢: إفريقية الإسلامية–القاهرة ١٩٥٨، ص٥٢–٥٣.

(٣) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة ص ١٢٤–١٢٥.

كذلك احتلت القوات الإيطالية الصومال الشمالي في عام ١٨٨٩م.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأخيرة وتأسيس هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٤م، نظر في وضع المستعمرات الإيطالية السابقة مع غيرها من المستعمرات، ووضعت الصومال تحت وصاية الأمم المتحدة.

وفي ٢٦ يونيو عام ١٩٦٠م حصلت الصومال على الإستقلال بقسميها: الذي كان خاضعاً لبريطانيا، والذي كان خاضعاً لايطاليا فيما سبق ووضع تحت وصاية الأمم المتحدة، وقد صارا يؤلفان دولة موحدة.

الملامح الطبيعية:

تسود سطح الصومال السهولة والانبساط بوجه عام، فيما عدا ذلك الجزء من شمال البلاد حيث تنحدر السفوح الشمالية الشرقية لإثيوبيا شرقاً نحو الصومال الشمالي، مكونة هضبة متوسطة الإرتفاع تطل على ساحل خليج عدن وتسمى تلال مدجورتين التي يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ و٢٠٠٠ متر. وتعتبر المرتفعات الغربية امتداداً لهضبة إثيوبيا ويطلق عليها اسم مرتفعات أوجو وترتفع نفس الارتفاع. أما الصومال الشرقي فيتكون من سهل ساحلي قليل التعاريج، يرتفع تدريجياً إلى هضبة قليلة الإرتفاع لا يزيد ارتفاعها عن ٦٠٠ متر، ثم ترقى إلى الهضبة الحبشية عبر الحدود.

وبالرغم من أن الصومال تقع بين خط الإستواء ودائرة العرض ١٢° شمالاً إلا أنها قليلة الأمطار شبه جافة ملامحها صحراوية وهي تتعرض للرياح الموسمية الشتوية الخارجة من شبه جزيرة الهند لكن هذه الرياح تصل الساحل الصومالي قارية قليلة الرطوبة ومن ثم لا تسقط عليها إلا ٢٠٠ ملليمتر من المطر. أما الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية فهي تهب بين شهري مارس وأكتوبر، غير أنها تغير اتجاهها بعد عبور خط الإستواء فتصبح موازية للساحل ولا تسقط أي أمطار.

وتزيد من حدة الجفاف الصخور الجيرية والرملية التي تتشرب ما يسقط عليها من ر
ومن ثم كان أكثر من نصف مساحة الصومال صحراء، وحرارتها شديدة تصل في المتوسط
٢٥° ويصل أقصاها إلى ٤٠°.

والغطاء النباتي ضئيل، أحراج شوكية في الجنوب، تتخللها أشجار الصمغ والبخور، أ
الساحل فتحف به أشجار النخيل.

وتغلب الصفة الرعوية على الصومال بوجه عام ولا تنمو فيها أشجار غابية إلا على جا
الأنهار التي تهبط من الهضبة الحبشية وأهمها نهر شبيلي ونهر جوبا ويتعذر على هذه الأنه
الوصول إلى الساحل حيث تعترضها الكثبان الرملية فتفرغ حمولتها عند سفوحها وتنش
المستنقعات في بطاحها.

الاقتصاد:

الرعي هو عماد الإقتصاد الصومالي وتمثل الماشية وجلودها نحو ٦٠٪ من قيمة صادرا
البلاد وتشمل قطعان الثروة الحيوانية نحو ١,٥٠٠,٠٠٠ رأساً من الماشية و٣,٨٠٠,٠٠٠ رأ
من الغنم و٤,٦٠٠,٠٠٠ رأس من الماعز و٢,٨٠٠,٠٠٠ رأس من الإبل.

وتتحرك قطعان الماشية نحو المرتفعات في شهور الجفاف (الصيف في الصومال الشمالي
والشتاء في جنوب غربي الصومال) ونحو السهول في أشهر المطر. وتحدد العادات المرعية طرق
تحركات البدو بقطعانهم وتفصل الحكومة في خلافات البدو الرعاة على المرعى والآبار.

ولا تشغل الزراعة إلا مركزاً متواضعاً في اقتصاد البلاد إذا ما قورنت بالرعي غير أن
الحكومة بعد الإستقلال بدأت تعني بمشاريع الزراعة وقد يتفرغ الزراع للزراعة المستقرة في
واديي شبيلي وجوباً، أو يجمعون بين ممارسة شيء من الزراعة والرعي فيكونون أنصاف رعاة.
وأهم المحاصيل الزراعية الذرة والدخن والفول السوداني والسمسم والموز ولا تكفي المحاصيل
الغذائية حاجة السكان. والمحصول النقدي الوحيد في الصومال هو الموز الذي يزرع في أدنى
واديي شبيلي وجوبا.

ويعمل سكان الساحل ذوو الأصل العربي في جمع الملح وصيد السمك.

وأهم موارد الصومال المعدنية الحديد والثوريوم واليورانيوم، ولكن هذه الثروة لم تستغل بعد. وتقوم شركة صومالية إيطالية الآن باستخراج اليورانيوم من الصومال الشمالي.

ولا تزال الصناعة في بدايتها وهي مقصورة على تعليب المواد الغذائية ودبغ الجلود وصناعة السكر من القصب. والبلاد فقيرة في بنيتها الإقتصادية الأساسية فطرقها رديئة بوجه عام، وما يوجد بها من طرق جيدة هو ما شقه الإيطاليون لخدمة مصالحهم في الصومال الشمالي حين كانوا يحكمونه. أما بريطانيا فلم تعن في احتلالها للصومال بإنشاء طرق أو مد خطوط حديدية. ولا يوجد في ساحل الصومال الطويل سوى ميناء واحد مجهز لاستقبال السفن، هو ميناء موقاديشو. وتتجه الخطط الإقتصادية للصومال بعد استقلاله إلى توسيع هذا الميناء وإلى تعبيد الطرق.

السكان والعمران:

سكان البلاد الأصليون من الأفارقة البانتو غير أن القرن الأفريقي تعرض لهجرات الشعوب الحامية كما تعرض للهجرات السامية القادمة من جنوبي بلاد العرب عن طريق باب المندب، وقد جاء الجالا أولاً، ثم جاء الصومال والدناقل الذين أزاحوا من سبقهم نحو الداخل. وهم جميعاً من الشعوب الرعوية التي لا تختلف في صفاتها الجسمية عن المصريين القدماء أو بربر الشمال الأفريقي والصحراء الكبرى والبجة في شرقي السودان - أي أنها تنتمي إلى الأرومة القوقازية التي تسمى بالأرومة البيضاء.

وتتميز الصومال بوحدتها القومية، فهي كلها شعب واحد، يدين بالإسلام. ولكن وقعت أجزاؤها تحت استعمار ثلاث دول مختلفة فكان لذلك آثاره. ويقدر عدد سكان الصومال في عام ١٩٧١م بنحو ٢.٨٦٠,٠٠٠ نسمة، أي أن الكثافة السكانية كانت في المتوسط أقل من ٢,٥ شخص للكيلومتر مربع. وثلاثة أرباع سكان البلاد بدو رعاة. ويبلغ عدد ذوي الأصل

الحامي من هؤلاء ١,٧٠٠,٠٠٠ نسمة منهم الدناقل رعاة الشمال، والجالا على الحدود الصومالية الحبشية، بينما يعيش معظم الصومال في الجنوب وهم الذين يبدو فيهم تأثير الإسلام وحضارته.

ويبلغ عدد سكان موقاديشو ١٠٠,٠٠٠ نسمة، ويقل السكان عن هذا العدد في ما دونها من البلدان ولا يزيد عدد سكان تركا - جنوب غربي العاصمة - على ٥٠,٠٠٠ نسمة، وهم في هارجيسا، في الشمال الشرقي عاصمة الصومال السابقة ٥٠,٠٠٠ نسمة أيضاً، بينما يسكن بربرة على الساحل الشمالي ٣٥,٠٠٠ نسمة ويسكن جيامان ٢٢,٠٠٠ نسمة.

(٩) جيبوتي

جمهورية جيبوتي –أو أقليم عفار وعيسي– تقع على خليج ضيقة يربط بين مضيق باب المندب والبحر الأحمر من ناحية ، وخليج عدن من ناحية أخرى ، وتبلغ مساحة هذه البلاد ٢٢,٠٠٠كم٢ . ويقع ميناء جيبوتي –العاصمة– عند المدخل الجنوبي الشرقي لهذا الخليج . ويمتد خط حديدي بين جيبوتي وأديس أبابا عاصمة أثيوبيا . كان هذا الخط منفذ أثيوبيا الوحيد للبحر قبل أن تضم أريتريا إليها (انظر أثيوبيا) ومن ثم كانت أهمية هذه الدولة التي كانت تدعى قبل استقلالها الصومال الفرنسي . وقد أعلن استقلال البلاد في مايو عام ١٩٧٧م عقب استفتاء شعبي لتقرير المصير .

الإسلام في جيبوتي :

[أنظر ما سبق عن الإسلام في الصومال وشرقي إفريقية بوجه عام] .

الملامح الطبيعية :

يتكون قلب هذا الإقليم من منخفض تكتوني على شكل مثلث وهذا المنخفض هو جزء من الأخدود الشرقي الكبير ، وتكتنفه المرتفعات القافزة التي تحيط بالأخدود . وتربض في قاع هذا المنخفض بضعة بحيرات ، أهمها بحيرة عسل (١٧٤ متراً تحت مستوى سطح البحر) وبحيرة آبي . وتظهر في المرتفعات التي تحيط بهذا المنخفض آثار النشاط البركاني الذي صحب الصرع الكبير (أنظر إثيوبيا) .

ويقع هذا الإقليم بين دائرتي العرض الحادية عشرة والثالثة عشرة حيث تشتد الحرارة وتقل الأمطار . وتنقسم السنة إلى فصل جفاف بين مايو وأكتوبر وفيه تهب من الشمال رياح الخماسين الحارة شديدة الجفاف بعواصفها الرملية . ويمتد فصل المطر بين أكتوبر وأبريل ، وفيه تسقط أمطار قليلة لا تزيد على ٢٠٠ ملليمتر ، ولكن يكثر الندى . وتنمو أشجار السنط والأشجار الشوكية ، على طول الأودية .

الاقتصاد والسكان والمدن :

إقليم جيبوتي رعوي فقير ، ويكاد الرعي أن يكون الحرفة الوحيدة للسكان . وقد أقيمت أخيراً مشاريع للري أعانت على تكوين واحات صغيرة منها واحة إس إيلا شرقي بحيرة آبي ، وواحة دخيل في جنوبي شرقي جيبوتي .

ويبلغ عدد السكان ٩٥,٠٠٠ نسمة ، وتصل كثافتهم إلى ٤,٣ أشخاص للكيلومتر المربع . وهم ينتمون إلى نفس الأرومة التي ينتمي إليها أهل الصومال . وتسكن قبائل العيسي في الشمال وقبائل العفار الدناقل والصوماليين في الجنوب . ويدين هؤلاء جميعاً بالإسلام وتتجلّى آثاره في حياتهم . وهم من البدو الرعاة .

وكان الفرنسيون قد أسسوا مدينة جيبوتي في عام ١٨٨٤م ، ويسكنها ٦٢,٠٠٠ نسمة ، أو ما يمثل ٦٧٪ من مجموع السكان . وجيبوتي ميناء بحري ، ونهاية خط حديدي ، وبها مطار دولي ، لذلك كانت لها أهميتها من حيث المواصلات . ويرتبط نشاط جيبوتي كثيراً بالملاحة في البحر الأحمر وقناة السويس .

ثانياً : البلدان الإسلامية في غربي إفريقية :

السنغال (١)

تقع السنغال في أقصي الغرب من إقليم غرب إفريقية ، داخل الإقليم المداري المطير صيفاً ، أو إقليم حشائش السافانا السودانية . تحدها من الشمال موريتانيا ومن الشرق مالي ومن الجنوب الشرقي غينيا ومن الجنوب غينيا بيساو . غير أن جامبيا بنهرها وخليجها تمثل اسفيناً يشق جنوبها ويفصله عن بقية أراضي السنغال . وقد أعلنت السنغال جمهورية مستقلة في ٢٩ أغسطس عام ١٩٦٠م .

الإسلام في السنغال :

[أنظر ما سبق عن الإسلام في موريتانيا وغربي إفريقية] .

كانت السنغال جزءاً من كل الإمبراطوريات والممالك السودانية التي قامت في النطاق السوداني الغربي بين القرنين الأول والحادي عشر للهجرة (٧-١٧م) ومن هذه ما كان وثنياً ، ثم قامت الممالك السودانية الإسلامية في هذا النطاق . وقد وصلت دعوة الإسلام إلى ضفاف نهر السنغال عن طريق مسلمي المغرب كما سلف البيان وانتشرت في تؤدة وثبات بين زعماء بعض الإمارات الصغيرة هناك . وشقّت الثقافة العربية الإسلامية طريقها من مدينة فاس فبلغت ديار الملثمين إذ بسط **الأدارسة** نفوذهم على تلك البلاد كلها تقريباً وتخطى نفوذهم جبال دَرَن أو الأطلس الكبرى وانتشر في إقليم الواحات . وأصبح الأدارسة يولون الولاة على ديار **الملثمين** وقد انتشر الإسلام بينهم في القرن الثالث للهجرة ، فضم قبائل الملثمين تحالف قوي تزعمته لمتونة ، ومضي هذا التحالف في التقدم صوب الجنوب ونشر الإسلام بين القبائل الزنجية في الجنوب . وكانت مملكة غانة الزنجية وقتذاك قد أصابها الضعف والتفرق فوقعت بين هجمات أعدائها في الجنوب وسيوف الملثمين في الشمال . وواصل الملثمون التوسع حتي قاربوا منحني النيجر .

وازدهرت الممالك الإسلامية في النطاق السوداني الغربي منذ القرن الثامن الهجري (١٤م) حتي غدا في مكنتها إدماج قبائل هذا النطاق وشعوبه تحت لواء الإسلام . وفي القرن العاشر للهجرة (١٦م) انتشرت بينها الأسماء العربية الإسلامية وبخاصة بعد تفوق قبائل «الفولة» ، ورفع مسلمو «الفوتاتورو» لواء الجهاد لنشر الإسلام في السنغال منذ عام ١١٩٠هـ/١٧٧٦م لفترة من الزمن وأقبل الكثيرون يعتنقون الإسلام في القرن الثالث عشر (١٩م)(١) .

الملامح الطبيعية :

بلاد السنغال حوض إرسابي كبير تكون في نهاية الزمن الثاني ، تحده في الشرق مرتفعات تفصله عن مالي ، ومن الغرب طفح بركاني يظهر في صورة «الرأس الأخضر» . والمظهر العام للسنغال هو الرتابة والامتداد المسطح . وتشق هذا الحوض ثلاثة أنهار تجري من الغرب إلى الشرق هي : نهر السنغال في الشمال ونهر غامبيا في الوسط ونهر كازامانس في الجنوب . وهذه الأنهار تشق أودية واسعة وتمتلىء بالماء وتفيض في فصل المطر ، كما أنها تصب في خلجان متسعة ، تطغى عليها مياه المد .

وللسنغال جهة بحرية طولها ٦٠٠ كيلومتراً تطل على المحيط الأطلنطي ، وهي أقرب أجزاء الساحل الإفريقي لسواحل أمريكا اللاتينية . ومن ثم كانت أهميتها الاستراتيجية في طرق المواصلات البحرية والجوية عبر هذا المحيط . وينقسم الساحل السنغالي إلى ثلاثة أقسام من الشمال إلى الجنوب : فيمتد القسم الأول من الحدود الموريتانية حتي الرأس الأخضر والساحل هنا مستو ويحدّه نطاق سميك عريض من الكثبان الرملية يجعل مقاربة الساحل واختراقه أمراً عسيراً ، ويمثل الرأس الأخضر القسم الثاني من ساحل السنغال وهو مجموعة من الجزر البركانية يربطها بالبر الأفريقي شبه جزيرة رملية تكون مرافىء طبيعية عديدة استغل منها موقع ميناء داكار ، أما القسم الثالث من الساحل فيقع إلى الجنوب من الرأس الأخضر وهو سهل رملي منخفض ، تقطعه مصبات الأنهار الخليجية .

---

(١) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة ، ص٥١-٥٢ ، عبد الرحمن زكي : المسلمون في العالم اليوم-٢ : إفريقية الإسلامية ص٧٩-٨٠ .

ويتميز **المناخ والنبات** في السنغال بخصائص الإقليم السوداني بوجه عام، فيما عدا أطرافها الجنوبية التي تدخل في نطاق المناخ الغيني الإستوائي الذي يتميز برطوبة أكثر ارتفاعاً. كما أن أطرافها الشمالية تمس حدود الإقليم الساحلي الصحراوي [أنظر موريتانيا]. وفيما عدا تلك الأطراف يمتاز المناخ في معظم السنغال بالحرارة الشديدة على مدار السنة أما بالنسبة للمطر فإن البلاد يمر بها فصل مطير أقصر زمناً إذ يمتد من يوليه إلى أكتوبر. ويقل المطر من الجنوب إلى الشمال كما يقل المطر في الجنوب كلما توغلنا من الساحل نحو الداخل. فمتوسط المطر السنوي في كازامانس الأسفل ١٨٠٠ ملليمتر، بينما هو ٥٠٠ ملليمتر فقط في وادي السنغال. وتبلغ درجة الحرارة أقصاها في شتى أنحاء البلاد عدا الساحل وقت نهاية فصل الجفاف أي في شهري إبريل ومايو (٣٠°-٣٥°م) بينما تبلغ درجة الحرارة أدناها في شهر يناير (١٨°-٢٠°م).

تغطي السنغال حشائش السافانا المشجرة، وتقل الأشجار كثافة وطولاً كلما اتجهنا شمالاً. وأنهار السنغال الثلاثة التي سبق ذكرها تجري فيها المياه طول العام. أما الأودية الجافة في الشمال، مثل وادي سالوم ووادي فرلو ووادي سين فتمتلىء بالماء في فصل المطر فقط.

الاقتصاد:

ثلاثة أرباع أهل السنغال فلاحون، يزرعون القوت (الذرة الرفيعة) والمحاصيل النقدية التي أهمها الفول السوداني. وتبلغ مساحة الأرض المزروعة ٢,٢٠٠,٠٠٠ هكتار، منها مليون هكتار يزرع بالفول السوداني الذي يعتبر مصدر الدخل الوحيد للمزارعين وهو يكون ٧٥٪ من قيمة صادرات السنغال. وتحاول الدولة الآن تنويع الحاصلات الزراعية النقدية حتى تحرر اقتصاد البلاد من خطر الإعتماد على محصول واحد قد يصيبه مكروه أو تتعرض تجارته الخارجية لخطر، فأدخلت زراعة الأرز والخضر والقطن. ورغم أن السنغال لا تعتبر منتجاً كبيراً للقطن إلا أن محصول الهكتار من القطن ينافس مثيله في أكبر الأقطار المنتجة له في العالم. ومن ثم فالسنغال تشير نحو التوازن الاقتصادي بين الفول السوداني وبين غيره من المحاصيل النقدية الأخرى، وتسير نحو التحرر من سيطرة المحصول الواحد على اقتصاد البلاد.

وفي السنغال ثروة حيوانية تقدر بنحو ٢,٧٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية، ١,٤٠٠,٠٠٠ رأس من الغنم، وأكثر من مليون رأس من الماعز، و١٨٠,٠٠٠ رأس من الخيل، و٨٠٠٠ رأس من الإبل. و«البيل» هم أهم رعاة للماشية في السنغال.

وتقوم القبائل الزنجانية على الساحل بصيد الأسماك التي تدخل في الغذاء اليومي للسكان. ويعيش نحو ٢٧,٠٠٠ شخصاً على الأعمال المتعلقة بالأسماك.

وكانت السنغال حتى عام ١٩٦٠م أكبر الدول الإفريقية المتحدثة بالفرنسية تصنيعاً، وتعتمد صناعاتها على الحاصلات الزراعية. وأهمها عصر الزيت من الفول السوداني ويمثل إنتاجه ٤٠٪ من الإنتاج الصناعي في البلاد، وهو يستوعب ٧٥٪ من محصول الفول السوداني في البلاد وقد توسعت السنغال بعد الإستقلال في الصناعات الكيمائية (الزيت واللدائن) وغزل القطن ونسجه.

والسنغال فقيرة في مواردها المعدنية، إلا أن تربتها تنطوي على بعض رواسب الفوسفات الجيري والألومنيومي. ويقدر احتياطها منه بنحو ١٤٠ مليون طن وتعالج السنغال نحو ١,٥٠٠,٠٠٠ طناً من الفوسفات كل عام.

السكان والمدن:

يسكن السنغال قبائل عدة أهمها **الولوف** الذين يكونون نحو ثلث السكان، ولسانهم هو اللسان الرئيسي في السنغال. وكانت لهم ممالك سودانية قديمة هي ممالك الجولوف والوالو والكابور. ويسكنون ثلث السنغال الشمالي. كما ينتشرون في الشرق والجنوب والغرب. وقد انتشر الولوف ومعظمهم من الزراع جنوباً مع التوسع في زراعة الفول السوداني. **والسرير** يسكنون في غربي أقليم سين سالوم. وقد اضطروا تحت الضغط السكاني أن يرتادوا أقاليم شرقي سالوم الجديدة وهم من أحسن المزارعين في السنغال ويجمعون بين الزراعة وتربية الماشية.

والبيل من أصل بربري- يبلغ عددهم نحو نصف مليون وهم يسكنون أعالي وادي كازامانس وفرلو وأدني نهر السنغال ، وهم في الأصل رعاة ولا يزال بعضهم الذين يسكنون فرلو رعاة حتي الآن ، لكن تحول كثير من البيل غير هؤلاء إلى الزراعة.

والتوكولور من القبائل السودانية القوية ، ويبلغ عددهم نحو ربع مليون نسمة وهم من أوائل القبائل السودانية التي اعتنقت الإسلام في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، ولا يزالون يحتفظون بتراثهم الإسلامي. وقد هاجر كثير منهم إلى داكار حيث يكونون معظم أهلها.

ويبلغ **الماندنج** حوالي ٢٠٠,٠٠٠ نسمة ، وقد وفدوا من وادي النيجر ، وهم سلالة أصحاب أمبراطورية مالي القديمة التي كان نفوذها يمتد على السنغال منذ القرن الثامن (الرابع عشر الميلادي) حتي آخر القرن التاسع (الخامس عشر الميلادي) وهم ينتشرون إلى أواسط وادي كازامانس (المالتكة) وأعالي جامبيا (الساراخول).

وقد قدِّر عدد سكان السنغال بنحو ٤٢٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٧١م بينما تبلغ مساحة البلاد ٢٠١,٤٠٠كم^2 ويتركز معظم السكان في أحواض الأنهار الرئيسية ، حيث تتراوح الكثافة السكانية بين ٣٠و٥٠ شخصاً في الكيلومتر المربع ، بينما يتناثر السكان في أطراف السنغال بكثافة قدرها ٥ أشخاص في الكيلومتر المربع فقط. وأكثر المناطق ازدحاماً بالسكان هي إقليم السرير ووادي السنغال الأوسط أو فوتاتورو وشبه جزيرة الرأس الأخضر. وتبلغ نسبة المسلمين في السنغال نحو ٩٠٪ من مجموع السكان.

ويسكن أكثر من سبع السكان في المدن ، وهي نسبة تعدّ مرتفعة بالمقارنة مع دول أفريقية المدارية الأخرى. ومن أشهر مدن السنغال ثايز ويسكنها ٩٠,٠٠٠ نسمة وتقع على الخط الحديدي الممتد بين داكار والنيجر. وتعتبر كامولاك مدينة الفول السوداني ، وهي عاصمة إقليم سالوم ويبلغ عدد سكانها ٩٦,٠٠٠ نسمة. ويسكن زجنكور عاصمة كازامانس ٤٦,٠٠٠

نسمة. أما داكار العاصمة فهي تعتبر أكبر موانىء أفريقية وتتعامل في نحو ٤ ملايين طن سنوياً وتغطي ٢١٦ هكتاراً وتمتلك وسائل خاصة لتيسير تصدير الفول السوداني والفوسفات ومنتجات البترول والأسماك.

(٢) جامبيا

وادي نهر يقطع الجزء الجنوبي من السنغال كالإسفين. وتبلغ مساحة البلاد ١١,٢٩٥ كم٢ ويسكنها نحو ثلث مليون نسمة (وفقاً لإحصاء ١٩٧٠م) وتبلغ كثافة السكان ٣٢ شخصاً في الكيلومتر المربع. ولا يختلف سكانها في شيء عن سكان السنغال إذ هي في الحقيقة جزء من السنغال وكانت جزءاً من امبراطورية مالي الإفريقية حتي اكتشفها البرتغاليون في القرن الثامن (الرابع عشر الميلادي). وقد عانت جامبيا من الأطماع الإستعمارية، إذ كانت مصدراً لتجارة الذهب والرقيق حتي نفد الذهب وحرمت تجارة الرقيق. ثم أصبحت محل تنازع الدول الإستعمارية في عهد التكالب على أفريقية فتداولتها الأيدي البرتغالية والهولندية والفرنسية والإنجليزية، حتي أصبحت مستعمرة بريطانية في عام ١٨٢١م. وقد حصلت على استقلالها في عام ١٩٦٣م.

وعاصمة البلاد هي ميناؤها في الوقت نفسه وتقع على مصب نهر جامبيا وكانت تسمى باثورست حتي عام ١٩٧٣م، ثم أطلق عليها منذ ذلك الوقت أسم بانجول.

لا تختلف جامبيا في شيء عن السنغال، إلا أن الاستعمار أورثها اللغة الإنجليزية بينما أورث السنغال اللغة الفرنسية. وتزيد نسبة عدد المسلمين في جامبيا عن نصف مجموع السكان.

(٣) غينيا

تقع غينيا في الجنوب الغربي من إقليم غرب إفريقية. وتحدها شمالاً السنغال، وشمالاً بغرب غينيا بيساو، وشمالاً بشرق مالي، بينما تحد شرقاً بساحل العاج وجنوباً بسيراليون وليبيريا. وتطل على المحيط الأطلنطي بساحل طوله ٣٠٠ كيلومتر.

الإسلام في غينيا:

أشهر الشعوب السودانية التي أثرت في غينيا وحملت إليها الإسلام وأعطتها لغتها وصبغتها بصبغتها الثقافية، هو شعب **الماندنج** وقد تلاه **البيل** الرعاة ذوو الأصل المغربي. وقد جاء الماندنج الفلاحون من الشرق، وجاء البيل الرعاة من الشمال الشرقي أو من ماسينا (دلتا النيجر الداخلية) [انظر مالي] واستقروا في هضبة فوتاجالون وتحولوا إلى زراع.

أكبر الشعوب في غينيا هو شعب الماندنج (ويشمل الصوصو والمالنكة والسراخول) ويتحدث هؤلاء لغة الماندة ودينهم الإسلام وعددهم نحو ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة. أما البيل المسلمون فيبلغون نحو مليون نسمة. ويكون هؤلاء مع أولئك بين ٧٠,٦٥٪ من مجموع السكان. أما سكان الغابات فلا يزالون على دياناتهم الإفريقية.

وقد تعرضت غينيا للغزو البرتغالي في أواخر القرن التاسع (الخامس عشر الميلادي) حيث أنشأ البرتغاليون محطات بحرية عند مصبات الأنهار. ومنذ ذلك الحين حتي بدء القرن الثالث عشر (التاسع عشر الميلادي) سادت تجارة الرقيق، وشارك البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون والبريطانيون في اختطاف الشباب وشحنهم في سفنهم الشراعية عبر المحيط الأطلنطي إلى سواحل العالم الجديد، حيث كان يستبدل بهم حاصلات العالم الجديد من الطباق والسكر والجلود، التي يعود بها المختطفون إلى موانىء بلادهم. وعلى هذا النحو البشع استنزفت دماء أفريقية على مدى ثلاثة قرون كاملة. ولم تحرم تجارة الرقيق إلا حين بدأ الاستعمار الأوروبي في أفريقية مرحلة

استغلال الموارد الطبيعية ، وغدا إنتاج الالات واستعمالها شيئاً يتفوق من الوجهة الإقتصادية على الرق. على أن السيطرة الأوروبية الكاملة على غينيا لم تتحقق إلا بعد القضاء على نفوذ «الساموري» الذين قاوموا هذا الاستعمار ببسالة ، وكان نفوذهم يمتد على أراضي غينيا العليا ومالي. [أنظر مالي].

وأخضعت غينيا للإستعمار الفرنسي. وكانت الوحدة من بين الدول الأفريقية المتحدثة بالفرنسية التي رفضت البقاء داخل الجماعة الفرنسية وآثرت ألاستقلال في استفتاء عام أجري في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٥٨م.

الملامح الطبيعية :

يتميز سطح غينيا بالتنوع ، فهي ذات سهل ساحلي عريض ، تقطعه أنهار تصب في مصبات خليجية متسعة ، وينتهي هذا السهل بمرتفعات فوتاجالون ، وهي جبال مرتفعة مكونة من صخور قديمة بللورية ومتحولة تغطيها طبقات سميكة من الحجر الجيري والشست لها قمم تبدو كالقلاع ، وتشقها أودية الأنهار في خوانق عميقة ذات انحدارات شبه عمودية كالحوائط . ومن فوتاجالون تنبع أنهار غرب أفريقيا الكبرى : جامبيا والسنغال والنيجر.

وتقع غينيا بين دائرتي العرض ٨و١٣ شمال خط الاستواء. ومن ثم فهي تتمتع بمناخ مداري له فصلان : فصل ممطر بين يونيه وأكتوبر وفصل جاف بين نوفمبر ومايو. غير أن عوامل السطح والوضع ميزت بين شرقي غينيا وغربيها . فشرقي غينيا هضبة متوسطة الارتفاع ، هي أقل مطراً من غربها ، ويسقط عليها ما بين متر ١ و١,٥ متر من المطر سنوياً ، أما غربيها فتتعامد عليه الرياح الموسمية الصيفية ومن ثم كان أغزر أمطاراً ، ويسقط عليه من المطر نحو ٤ أمتار في العام. هذا ولا يسقط على الحوض الداخلي لغينيا ، سوى ٧٠٠ ملليمتر من المطر في السنة.

وتغطي الغابات الاستوائية الكثيفة السهل الساحلي ، وقد أزيلت هذه الغابات تماماً تقريباً من جبال فوتاجالون التي لجأ إليها السكان وحولوها إلى الزراعة . والهضبة الداخلية تغطيها أشجار أقل كثافة أو حشائش السافانا التي تتخللها بعض الأشجار. وقد ظلت الغابات المكشوفة تحف بالمجاري المائية.

الاقتصاد :

تتنوع في غينيا الثروات النباتية والمعدنية . وقد كانت حتي عام ١٩١٠م تعتمد في اقتصادها على تصدير المطاط الطبيعي الذي يجمع من الغابات الإستوائية . وقد أنشيء خط حديدي بين كوناكري العاصمة والنيجر عام ١٨٩٨م لكي ينقل الحاصلات النقدية من مزارع المستعمرين الفرنسيين الواسعة وقتذاك ، وهي حاصلات الموز والبطاطا والبن والطباق والحمضيات وقصب السكر والقطن. ويشتغل بالزراعة ٨٠٪ من مجموع السكان ، ينتجون «قوتهم» ويزرعون المحاصيل النقدية سالفة الذكر.

ولكن بعد الحرب العالمية الأخيرة قفز الاقتصاد الغيني باكتشاف المعادن المستخلصة من الرواسب الطبقية ، إذ أن التقدم العلمي العالمي قد أدى إلى إمكان استخلاص الألومنيا من البوكسيت . وتشغل غينيا المركز الخامس في العالم في إنتاج البوكسيت . وتمثل صادرات غينيا من الألومنيا والبوكسيت نصف صادرات البلاد كلها ، وتمثل المعادن عموماً ثلاثة أرباع صادراتها . ويقدر احتياطي غينيا من البوكسيت بنحو ٤٠٠٠ مليون طن يكون المعدن نصفها .

كذلك اكتشف خام الحديد بالقرب من كوناكري العاصمة ، ويقدر احتياطيه بنحو ٢٠٠٠ مليون طن (منها ٥٠–٥٥٪ معدن الحديد) كما اكتشف خام الحديد أيضاً في الغابات وفي جبال نمبا ، وتفوق احتياطات الحديد بها ما كان قد بدىء في استغلاله من قبل. كذلك شرع استخراج الماس يكون أحد موارد البلاد ، وأغلبه من الماس المستخدم في الصناعة.

ورغم أن غينيا لا يوجد بها زيت البترول ، إلا أنها تنطوي على إمكانات ضخمة لتوليد الكهرباء والطاقة المائية . وقد ارتفع إنتاج الكهرباء من ٢٩ مليون كيلوات/ساعة في عام ١٩٥٩م إلى ٢٠٢ مليون في عام ١٩٦٨م. وتستخدم ثلاثة أرباع هذه الطاقة الكهربائية في مصنع فريا لاستخلاص الألومنيا.

السكان وأهم المدن :

يسكن غينيا نحو أربعة ملايين نسمة ، وتبلغ مساحتها ٢٤٥,٨٥٧كم٢ ، أي أن كثافتها العددية لا تتعدى ١٦ شخص في الكيلومتر المربع . وفي خلال التي كانت تشن فيها الحروب القبلية ، أو التي كان يخطف فيها الأفريقيون ليباعوا رقيقاً في أسواق العالم الجديد ، كانت جبال فوتاجالون تتيح ملجأ طبيعياً للسكان . ومن ثم ارتفعت كثافة السكان فيها إلى ٥٠ شخص في الكيلومتر المربع . ويعتبر هذا اكتظاظاً بالسكان ، إذا أخذنا في الاعتبار الموارد المحدودة للبيئة . وقد عاد السكان منذ نصف قرن للهجرة إلى الأقاليم المجاورة .

وغينيا تشارك جاراتها السودان في كونها معبراً للشعوب والهجرات المختلفة ، ومن ثم كان التنوع السكاني الذي تشهده . وكانت العناصر القادمة تدفع بمن سبقها إلى الالتجاء والعزلة في الغابات الإستوائية أو المرتفعات . ولذلك نجد في الغابات الإستوائية أقدم العناصر الزنجية والقزمية . وعاصمة البلاد وميناؤها كوناكري تعد من أهم الموانىء الطبيعية في غربي إفريقية .

(٤) غينيا بيساو

جمهورية حديثة عهد بالاستقلال . صغيرة المساحة لا تزيد مساحتها على ٣٦,١٢٥ كيلومتراً مربعاً ، بما في ذلك أرخبيل بيساجو . وتحدها من الشمال السنغال ومن الجنوب غينيا . وقد كانت غينيا بيساو آخر معاقل الاستعمار البرتغالي في غرب أفريقية .

وهي سهول منخفضة تحيط بمصب نهر جيبي الخليجي وبغيره من مصبات نهرية خليجية متعددة أخرى . وتعتبر الخلجان النهرية مواقع ممتازة لمرافىء طبيعية وإلى جانب ذلك هناك أرخبيل من الجزر الصغيرة .

ويسكن هذه الجمهورية ٧٠٠,٠٠٠ نسمة ، ينقسمون بين البيل أو البربر والماندنج والبالانت . وهم جميعاً رعاة يزرعون قليلاً من الدخن . ويعيش البالانت الزنوج على السهول الساحلية والخلجان والمستنقعات ، بينما يعيش في الداخل البيل والماندنج وهم مسلمون ويكونون نسبة لها اعتبارها بين السكان .

ولا يزال اقتصاد تلك البلاد ينوء بما خلفه الاستعمار البرتغالي من آثار . وقد اتسعت زراعة الأرز أخيراً . ويمثل الفول السوداني ونخيل الزيت وزيوتها معظم الصادرات . والعاصمة بيساو .

(٥) مـــالي

مالي إحدى دول غرب أفريقية الحبيسة ذات المساحة الكبيرة (١,٢٤٠,٧١٠ كيلو مترات مربعة)، ولكن لا يسكنها سوى ٥,١٤٠,٠٠٠ نسمة، فأكثر من نصف مساحتها صحراء. وتقع مالي في الإقليم السوداني وإقليم الساحل الصحراوي والصحراء. وهي كسائر الدول الأفريقية المدارية (فيما عدا أثيوبيا) لم ترسم حدودها بأيدي أبنائها. بل رسم لها الاستعمار الأوروبي هذه الحدود. ومن ثم فهي لا تتفق مع أي حقيقة جغرافية طبيعية كانت أم بشرية. وهي تصل إلى البحر عن طريق داكار ميناء السنغال. وبوساطة خط حديدي يربط النيجر بالمحيط عن طريق أبيدجان، وترتبط كل من عاصمة مالي وكوناكري بهذا الميناء بوساطة طريق بري.

وقد صارت تلك البلاد عضواً في الجماعة الفرنسية ابتداء من ٢٤ نوفمبر عام ١٩٥٨م لفترة من الزمن، ولكنها خرجت من هذه الجماعة واستقلت تماماً من فرنسا وكونت اتحاد مع السنغال في ٤ ابريل عام ١٩٦٠م. وفي تلك الأثناء طلبها عادت مالي إلى حمل اسم (السودان) فكان اسمها السودان الفرنسي. ثم انفصلت مالي واتخذت لنفسها هذا الإسم منذ ٢٢ سبتمبر عام ١٩٦٠م.

الإسلام في مالي:

[أنظر ما سبق عن الإسلام في موريتانيا وغربي إفريقية وفي السنغال].

أخذ الإسلام ينتشر في مالي عبر الصحراء بعد القرن الرابع الهجري (١٠م) وهو الذي نظم حياة القبائل بهداية عقيدته وأحكام شريعته، وهكذا استطاعت هذه القبائل إقامة دول قوية البنيان وطيدة الأركان امتد نفوذها من نهر السنغال غرباً حتي وادي النيل شرقاً، وكانت على صلات تجارية وثقافية منتظمة مع مصر والمغربين الأدني والأقصي. وقد تتابعت في المنطقة أمبراطوريات غانة، ومالي، وتجاو، وتمبكتو، وماسينا، وأمبراطورية الحاج عمر.

وكانت **مملكة مالي** تقع بين بلاد برنو شرقاً والمحيط الأطلنطي غرباً وجبال البربر شمالاً، ومن أهلها حضر يسكنون المدن ورحّل يتنقلون في البوادي. وتعد مملكة مالي أعظم ممالك السودان الإسلامية، وكانت تشتمل على خمسة أقاليم كل منها هو مملكة مستقلة تجتمع حول صاحب مالي وكان يسميه أهل مصر الإسلامية خلال العصور الوسطى «**سلطان التكرور**» كما كان يعرف باسم سلطان مالي. وكانت التكرور تطلق أصلاً على السنغال الشرقية ثم عمم إطلاقها على السودان الغربي كله. وكانت الأقاليم الخمسة في مملكة مالي هي: ١-**مالي** وتتوسط أقاليم المملكة وقاعدتها بنبي. ٢-**صوصو** وتقع إلى الغرب من مالي. ٣-**غانة** وتقع غربي إقليم صوصو وتمتد إلى المحيط الأطلسي وبها مناجم الذهب ويسير إليها المغاربة من سجلماسة يخترقون القفار وقد أسلم أهل غانة في صدر الإسلام. ٤-**كَوْكَوْ** في شرقي إقليم مالي وقاعدته كوكو وبينها وبين مدينة غانة القديمة شهر ونصف. ٥-**تكرور** ويقع شرقي إقليم كَوْكَوْ وقاعدته مدينة تكرور ولباس عامة أهله الصوف ولباس خاصتهم القطن وطعامهم الذرة واللبن والسمك ويحمل إليهم تجارة المغرب الأقصي الصوف والنحاس ويحملون منه التبر.

ولا يُعرف إلا القليل عن نشأة مملكة مالي، وإن كانت تعد من أقوى دول السودان الغربي وأغناها. وكان ملوك الماندنج في كانجابا قد اعتنقوا الإسلام منذ القرن الخامس (١١م) واستقر بينهم في أوائل القرن السابع (١٣م). وحين شرع ملوك مالي يوسعون مملكتهم في الجنوب والجنوب الشرقي أثاروا عداء ملك صوصو ولكنه هزم آخر الأمر وانضمّت مملكته إلى أمبراطورية مالي. وكانت مملكة غانة قد أفل نجمها بتغلب أهل صوصو المجاورين لهم عليها، ثم استولى ملك مالي على البقية من مملكة غانة بعد رحيل المسلمين عنها عام ٦٣٨هـ (١٢٤٠م). وأخذت مالي مكان غانة باعتبارها أغني مركز تجاري في غرب السودان، وتوافد التجار عليها من المغرب وأقاموا بها قبل نهاية القرن السابع (١٣م). وفي مطالع القرن الثامن (الرابع عشر) امتدت مملكة مالي من بلاد التكرور غرباً إلى دندي شرقاً أو من المحيط الأطلنطي حتي مرتفعات آير ومن ولاته في الصحراء إلى مرتفعات فوتاجالون جنوباً وذلك في عهد منسي موسي الذي فتح ولاته وتمبكتو وكانت قواعدها في أعالي النيجر بين باماكو وتجويلا وتأتيها القوافل من المغرب الأقصي وبرقة ومصر بانتظام، كما كان للملك سفراء في مدينة فاس. وكان ملوك مالي

يحجون إلى البيت الحرام من كل عام. وقد زار ابن بطوطة بلاد مالي في أواسط القرن الثامن (١٤م) ووصفها في أخبار رحلته. وأشار إلى استتباب الأمن وإقرار العدل في تلك البلاد «فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان»، كما أشار إلى مواظبتهم على الصلاة والتزامهم الجماعات وضربهم أولادهم عليها ولبسهم الثياب البيض يوم الجمعة وعنايتهم بحفظ القرآن. وذكر القلقشندي أن زيّ أهل مالي يشبه زي المغاربة «ويتعامل أهل مالي بالودع الذي يجلبه التجار فيكون مصدر ربح كبير لهم، ويتقايضون بالأطعمة والذهب الكثير في بلادهم». وقد اضمحلت مملكة مالي بعد منسي موسي وتقاسمت أراضيها قبائل الطوارق والولوف والموسي واستقل بعض أقاليم المملكة مثل جاو في أواسط النيجر. وبلغ من ضعف المملكة خلال القرنين التاسع والعاشر (١٥-١٦م) أن استنجدت بالبرتغاليين الذين كانوا قد كونوا لهم مستعمرة على ساحل إفريقية الغربي. وعادت مالي في منتصف القرن الحادي عشر (١٧م) دولة صغير في كانجابا كما كانت من قبل[1].

ثم تأسست **امبراطورية الصنغاي** في نهاية القرن الثامن (١٤م) واتخذت جاو قاعدة لها. وكان بعض البربر الوثنيين من قبيلة لمطة بالمغرب الأقصي قد استطاعوا تأسيس أسرة حاكمة على الضفة اليسرى من نهر النيجر عند مدينة دندي بعد انتصارهم على الزراع من صنغاي في منتصف القرن الأول (٧م) واستمر ملكهم قروناً ونمت علاقاتهم التجارية مع غانة والمغرب الأدني وبرقة ومصر، فكان لهذه العلاقات أثرها في تحول هؤلاء الملوك إلى الإسلام في القرن الخامس (١١م) - وبخاصة علاقاتهم مع المغرب، وقد اتخذوا جاو عند منحني النيجر حاضرة لهم على مقربة من الطريق الرئيسي للقوافل وقد غدت من أهم مراكز التجارة في السودان الغربي وهي تشبه مدينة غانة بالنسبة إلى البلاد الواقعة في أعالي النيجر. وكانت جاو وما يتبعها من أراض تؤلف جزءاً من أمبراطورية مالي بين عامي ٦٣٢ و٧٣٥هـ (١٢٣٥-١٣٣٥م) ثم استقل ملوكها واتخذوا لقب «سنّي». وفي عهد اسكيا (اسقيا) محمد الأول استردت تمبكتو مكانتها كمركز للثقافة الإسلامية، وقد حج هذا الملك إلى مكة عام ٩٠٠هـ (١٤٩٥م) وبعد

(١) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة ص٥٩-٦٦، وانظر أيضاً: عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسكيين- الجزائر- ص ٢١-٢٥، ص ٢٨ هامش ١.

عودته قاد عدة حملات لتوسيع مملكته ونشر الإسلام بين الوثنيين من جيرانه: الماندنجو والفلاني في الغرب والطوارق والبربر في الشمال والموسّى في الجنوب والهوسا (الحوصا) في الشرق. ولم يلق مقاومة إلا من الموسّى وكانوا يخضعون لحكم موحّد. فامتد نفوذ صنغاي إلى حدود التكرور، وفي الشمال والشمال الشرقي استولى ملوك صنغاي على مدينتي تغزّة وأجديس من البربر، وفي الشرق غزوا بلاد الهوسا وهكذا امتدت تلك الأمبراطورية من السنغال الأدني حتي وسط الصحراء. ثم أخذ يدب إليها الوهن بعد ذلك، واصطدمت ببعض سلاطين المغرب الأقصي الذين تطلعوا إلى مصادر الملح في تغزة ومناجم الذهب في غربي إفريقية وإلى السيطرة على التجارة مع السودان في القرن العاشر (١٦م). ولكن لم يستطع أولئك السلاطين تحقيق أهدافهم وإن كانوا قد حققوا انتصاراً عسكرياً على مملكة صنغاي، وأسسوا دولة قاعدتها تمبكتو لم يتح لها الاستقرار أو الثراء «فقد كشفوا أن ثروة صنغاي لم تكن نتيجة امتلاكهم مناجم الذهب وإنما كانت نتيجة سيطرتهم على تجارته مع مواطن إنتاجه... وهي تجارة لا تزدهر إلا في ظل الأمن الذي أفلح ملوك صنغاي في إقامته في غرب السودان...» وواجه الجيش الزاحف غارات الزنوج والأمراض الاستوائية «وأخفق المراكشيون في الاستيلاء على مناجم الذهب في داخل الغابات في الوقت الذي تفرّق فيه جيش صنغاي فلم يعد قادراً على حفظ الأمن وتفرقت أوصال ملكهم وقام الفلاني والبمبارا والطوارق ينهبون ويخربون... وكان الجيش المراكشي قليل العدد لم يستطع أن يسيطر إلا على جاو وتمبكتو وجني، واستخدمها كمراكز للإغارة على ما يليها. فأخفق المراكشيون في حفظ الأمن والنظام في أقاليم السودان الغربي في الوقت الذي بدأ فيه الأوروبيون ينزلون سواحل إفريقية الغربية ويطمعون في مناجم الذهب»[1]. ويذكر الرحالة الحسن الوزاني الفاسي (ليو الإفريقي) في القرن التاسع (١٥م) أنه كان قد أقام أياماً في تمبكتو ووصف حوانيتها وسوقها الذي يجمع سلعاً من المغرب ومصر فضلاً عن سلع من أوروبا الجنوبية والغربية وردت عن طريق المغرب وكان من أروجها الكتب إلى جانب الملح والخيول، مما يدلّ على ارتفاع مستوى المدينة الثقافي، وكانت الكتب تأتي من

(١) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة ص٦٦-٧١. أنظر أيضاً: عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ص٢٥-٢٨ وسائر الكتاب وبخاصة ص٣١-٤١.

المغرب ومصر. وقد قسمت المدينة إلى أحياء، في كل حي يسكن تجار كا بلد من البلدان الإسلامية التي تقصد قوافلها السودان فهناك تجار غدامس وتجار توات مثلاً – لكل فريق حيهم، وهناك خليط من تجار آخرين لهم حيهم، أما تجار بلدان المغرب فكانوا يتوزعون على عدة أحياء مستحدثة. وكان لسان السكان لغة صنغاي لكن العربية كانت لغة الثقافة والإدارة ويتحدث بها الناس في السوق أيضاً. وقد ذكر الحسن الوزاني أن الذين كتبوا عن بلاد التكرور قبله مثل ابن بطوطة والمسعودي لم يعرفوا إلا منطقة محدودة على امتداد الخط بين النيجر وبحيرة تشاد في حين أنه تجوّل هو خلال مختلف البلاد الواقعة تحت نفوذ أسرة أسكيا (الأسيقيين) أثناء زيارته للمنطقة[1]. وقد كان للإسلام أثره في تصحيح معارف أهل تلك المنطقة عن الكون فقد «بدأ انتشار المعارف الصحيحة عن الكون في صنغاي بوساطة الإسلام... وقد تعمقت هذه المعارف بتمكن الإسلام التدريجي في المنطقة وكان أول أثر لتصحيح المعارف من قبل الإسلام هو أنه قلّل من أثر المفاهيم السحرية التي كانت تسيطر على عقول الناس وجوّ حياتهم في المنطقة قبله... وقد كتب أحد المؤرخين الإفريقيين يصف أثر الإسلام في إصلاح المعارف الإنسانية على أيام سنغاي وتكييفه لها فقال: إن الإسلام لم يأت في هذا المجال إلا بكل جيد وطريف، وبذلك فقد طوّر الحياة الحضارية وطبع التاريخ الإفريقي بطابع عميق منذ ذلك الحين»[2].

وفي القرن الثاني عشر (١٨م) أسس المرابط الشيخ أحمد (شيكو أفادو) مملكة مغربية للبيل في ماسينا. وتشغل تلك البلاد جزيرة خصبة واسعة ترويها مياه النيجر ورافده باني جنوبي مدينة جني. وكانت جماعة من الفلاني الرعاة قد استقرت بين الزنوج المشتغلين بالزراعة في تلك المنطقة منذ القرن الثامن (١٤م). وقد اعترف زعماء هؤلاء الفلاني الرعاة بسلطان ملوك مالي ثم الولاة الحاكمين في تمبكتو من قبل سلطان مراكش. وفي مطالع القرن الثالث عشر (العقد الأول من القرن ١٩م) استطاع أحمد لوبو الفلاني الأصل المولود في ماسينا أن يهدي الكثير من

(١) عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ص ١٠١-١٠٢، ١٣٦.
(٢) عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ص ١٣٣.

هؤلاء الفلاني إلى الإسلام وكان قد اشترك في جيش عثمان دان فوديو الذي ضم المجاهدين في سبيل نشر الإسلام من الفلاني وغيرهم وفتح بلاد الهوسا وقتذاك. واستطاع الشيخ أحمد ومن اجتمع حوله من المجاهدين تأسيس مملكة إسلامية حكمت بلاد ماسينا كلها وانتصروا على من تصدّى لهم.

وكانت مملكة فوتا إلى الجنوب من حوض السنغال الأدنى سليلة مملكة التكرور القديمة التي تخطى نفوذها حوض السنغال قبل غزوات البربر، وبلغ بلاد موريتانيا جنوبي المغرب الأقصى. وفوتا هي الموطن الأصلي لشعب الفلاني ومنها انتشروا صوب الشرق إلى بلاد الهوسا حيث كان سكانها الأصليون من شعب التوكولور وأولئك هم بقايا المرابطين ويمتّون بصلة القربى إلى الولوف والسرير. وقد تأثر هؤلاء السكان الأصليون بموجات الهجرة المتعاقبة وبنفوذ الحاكمين لهم وتعلموا في نهاية الأمر لغة الفلاني لكنهم كانوا قد أسلموا منذ عهد بعيد وأسهموا في استهلال حركة المرابطين عند مصب السنغال. وفي عام ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م) ظهر من بين أفراد البيت الحاكم في فوتا **الحاج عمر** الذي قام بدور خطير في السودان الغربي وتسنى له توحيده تحت سلطانه من بلاد فوتا إلى تمبكتو. وقد حج وعاد فأسس رباطاً في فوتا جالون ما لبث أن صار مركزاً للثقافة الإسلامية والنشاط التجاري. وأخذت قوة الحاج عمر تتزايد وأعلن الجهاد في سبيل الإسلام في بلاد السودان. وكانت امبراطورية الحاج عمر آخر الأمبراطوريات الكبرى في السودان الغربي التي أسسها المجاهدون. وهي التي واجهت الزحف الاستعماري الفرنسي على البلاد منذ عام ١٨٩١م حتى استطاع المستعمرون أن يوطدوا أقدامهم فيها في عام ١٨٩٨م. على أن مقاومة ملك الماندنجو للزحف الفرنسي قد استمرت زهاء ستة عشرة سنة حتى استطاع الفرنسيون التغلب عليها في نفس الوقت[1].

وهكذا عبر الإسلام ومعه العربية إلى مالي، فالتقت فيها الحضارة الإسلامية المغربية التي صاغها المسلمون العرب والبربر بالحضارة السودانية في إقليم الساڤانا، كما غدت ملتقى رعاة

(١) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة، ص ٨٩-٩٣.

الاستبس الصحراويين بالفلاحين المستقرين السودانيين، إذ تقع مالي على ساحل الصحراء الكبرى الجنوبية وفيها قام عدد من موانىء هذا الساحل يستقبل التجارة العابرة للصحراء ويصدر متاجر إفريقية السودانية والزنجية. وفي مدنها الكبرى ازدهرت المساجد والمدارس ومنها انطلق الدعاة يجتازون الغابات الاستوائية إلى قلب إفريقية. فلا غرو أن كانت مالي ملتقى الشعوب العربية والمغربية والسودانية والإفريقية.

الملامح الطبيعية :

أهم ظاهرة طبيعية في البلاد هو نهر النيجر الذي يجري بطيئاً من الجنوب الغربي حيث (هضبة فوتا جالون) نحو الشمال الشرقي، في حوض مستوٍ تقريباً، صانعاً مساحة من المستنقعات والبطاح والبحيرات الضحلة في إقليم مالينا قبل أن يتجه شرقاً ثم جنوباً بشرق حيث يدخل أرض دولة النيجر. ويصرف النيجر أيضاً مياه هضبة أدرار إيفوراس الشمالية الشرقية التي تصل بين مالي والجزائر.

وتمتد مالي من الدائرة العرضية الحادية عشرة حتى الدائرة العرضية الخامسة والعشرين شمال خط الإستواء. فهي مدارية سودانية بين دائرتي ١١°-١٦°، وصحراوية بين الدائرة ١٧° شمالاً فساعداً. وبين الإثنين يقع إقليم الساحل الصحراوي الذي تقع فيه مدن مالي التاريخية الكبرى ومنها جاو وتمبكتو.

وتسقط في جنوبي مالي كمية أمطار صيفية تصل إلى ١٠٠٠ ملليمتر في العام. وفي إقليم الساحل تقل هذه الأمطار، ويكون سقوطها مقصوراً على ثلاثة أشهر فقط. ونستطيع أن نقول إن شمالي ثنية النيجر تقع الصحراء. ويبلغ طول مجرى النيجر داخل مالي ١٥٠٠كم، كما يجري جزء من مجرى من نهر السنغال في أرضها يبلغ طوله ١٠٠كم. ولكلا النهرين نظام صرف مداري، فهما يفيضان في أشهر الصيف ويغيضان في أشهر الشتاء.

الاقتصاد :

يعتمد الإقتصاد المالي على الزراعة التقليدية، فتنتج البلاد «الفوت» من الذرة الرفيعة والأرز والبقول، كما تزرع محاصيل نقدية أهمها القطن، وتأتي مالي في إنتاجه بعد تشاد التي يزرع فيها منذ زمن طويل. وتعتبر ماسينا، الدلتا الداخلية للنيجر، أهم حقول القطن والأرز والتبغ والشاي وقصب السكر، والفول السوداني.

وحين يكون المطر وفيراً، تتسع مساحات المراعي، حتى إنها تستوعب خمسة ملايين رأس من الغنم والماعز والإبل والخيل والحمير. وترعى هذه الحيوانات قبائل الطوارق والبيل المغربية.

وتتجه البلاد منذ استقلالها نحو التصنيع. وتعتمد في ذلك على حاصلاتها الزراعية ومنها القطن.

السكان وأهم المدن :

في مالي يلتقي -كما سلف الذكر- رعاة الاستبس الصحراويون بالفلاحين المستقرين السودانيين. وقد أتاح موقعها على ساحل الصحراء الكبرى الجنوبية قيام موانىء على هذا الساحل تستقبل التجارة العابرة للصحراء وتصدر تجارة إفريقية السودانية والزنجية. وهكذا كانت مالي ملتقى للشعوب العربية والمغربية والسودانية والإفريقية وقد أفاد الإسلام من هذا اللقاء في انتشاره، كما أنه دعّم هذا الإلتقاء بعد انتشاره بين هذه الشعوب كلها.

وأكبر قبائل مالي هي قبيلة البمبارا التي يبلغ عددها نحو مليون شخص وتقطن الوسط الغربي والجنوب الغربي للبلاد. وهناك قبائل الساراخول والمالنكة والكاسونكة والديالونكة. وتنتشر الصنغاي في الوادي الأوسط، وكلها قبائل سودانية تختلط فيها الدماء العربية المغربية بالدماء الزنجية. أما الرعاة فهم مغاربة الأصل وأشهرهم البيل والطوارق رعاة الإبل. وأكثر من ٦٠٪ من سكان مالي مسلمون. وأهم مدن مالي باماكو، وموبتي، وجاو، وتمبكتو.

(٦) فولتا العليا

تقع جمهورية فولتا العليا في ثنية نهر النيجر، فهي الأخرى دولة حبيسة، تبعد عن أقرب السواحل اليها بنحو ٥٠٠ كيلومتر. وتحيط بها مالي من الشمال والغرب، والنيجر من الشمال الشرقي وداهومي من الجنوب الشرقي أما في الجنوب منها فتقع توجو وغانا وساحل العاج.

الإسلام في فولتا العليا :

[أنظر الإسلام في موريتانيا وغربي إفريقية وفي السنغال وفي مالي].

تمثل هضبة موسّي Mossi الوسطى أحد مراكز القوة للإفريقيين في غربي إفريقية وقد تكونت ممالك الموسي المختلفة (ممالك الواجادوجو، والتنكودوجو، والياتنجا، والفادا، والنجورما) منذ القرن السادس (١٢م)، واستطاعت بكيانها الموحّد وتنظيمها الإجتماعي والإداري والحربي أن تفرض الأمن والنظام في تلك المنطقة وأن تقف في وجه الممالك السودانية التي توسعت في نطاق الساڤانا السوداني مثل مالي وصنغاي فصمدت أمام غزوات ملك مالي منسي موسي (٧٠٧-٧٣٢هـ/١٣٠٧-١٣٣٢م) وأمام هجمات ملك سنغاي أسكيا (أسقيا) أحمد الأول منذ ٩٠٢هـ (١٤٩٧م). ولكن هذا لم يمنع دخول قبائل البيل المغاربة وقبائل الطوارق إلى نطاق الساحل الصحراوي الشمالي. ويبلغ عدد هؤلاء نحو مليون نسمة، كلهم مسلمون.

وقد كان «المورونابا» لقب الأمير علي الموسّى ثم غدا يطلق بعد ذلك على الزعماء التقليديين وقد ظلوا يمارسون سلطاتهم القبلية والدينية الوثنية، حتي مات آخرهم في عام ١٩٧١م.

وقد أخضعت مملكة الموسّى للنفوذ الفرنسي في أواخر القرن الماضي، ولجأ الفرنسيون إلى حركات القمع الوحشية مما اضطر الكثير من أهل البلاد إلى مغادرتها وقت الحرب العالمية

الأولى. وقد انضمت فولتا العليا إلى الجماعة الفرنسية في عام ١٩٥٨م، ثم أعلن استقلالها -داخل الجموعة الفرنسية- في ٥ أغسطس عام ١٩٦٠م.

الملامح الطبيعية :

سطح هذه البلاد هو هضبة قديمة من صخور الجرانيت والنيس، تغطيها طبقات من الصخور الرسوبية التي ترجع إلى الزمنين الأول والثاني. وترتفع الهضبة في إقليم بانفيورا في الغرب ولكن تصل أعلى قممها إلى ٧٤٩ متراً فقط. وإلى الشمال من الهضبة ترتفع بعض القمم والجبال الإنكسارية المنعزلة. وتقطع الهضبة أودية الفولتا الثلاثة وهي الفولتا الأسود والفولتا الأحمر والفولتا الأبيض، وهي تجري ببطء بسبب قلة الإنحدار ولا يصل نهر من هذه الأنهار إلى البحر، بل تصب في بحيرة فولتا في غانا.

وتقع فولتا العليا بين دائرتي العرض ١٠°و١٥° شمالاً، ومن ثم كان مناخها مدارياً له فصلان، فصل صيفي ممطر، وفصل شتوي جاف. ويقل المطر من الجنوب الغربي (حيث يصل إلى ١٥٠٠ ملليمتر في السنة) إلى الشمال الشرقي (حيث يصل إلى ٥٠٠ ملليمتر في السنة). كما يقل المطر كلما اتجهنا شمالاً. ويأخذ المناخ صبغة إقليم الساحل الصحراوي في شمالي خط جيبو-دوري-تيرا. أما في الجنوب الغربي فالمناخ غيني الصبغة.

ويتدرج النبات مع المطر، ففي الجنوب توجد الغابات المدارية التي تتدرج الى الساڤانا التي يتخللها الشجر، ثم تليها الأشجار المتناثرة والأعشاب القصيرة في الشمال الشرقي.

الاقتصاد :

موارد فولتا العليا محدودة. وهي تعتمد اعتماداً كبيراً على الزراعة ورعي الحيوان. وأرضها فقيرة منهكة. ولكن زراعتها تكفي أهلها وتمدهم بقوتهم من الذرة الرفيعة، والذرة والأرز.

وتزرع أيضاً الفول السوداني الذي لا يصدر إلا من إقليم يوبو ويوالاسو، حيث يجتازه خط حديدي.

وتقتصر الحاصلات النقدية على القطن والسمسم.

وأهم صادرات البلاد الحيوانات. إذ يرعى على أرضها ٢,٥ مليون رأس من الماشية ،و٣,٥ مليون رأس من الأغنام والماعز. وثلث هذه الثروة الحيوانية يربيها أنصاف الرعاة الذين يعيشون في إقليم الساحل الصحراوي. وتصدر فولتا العليا الماشية الحية إلى جيرانها على خليج غينيا.

أما ثروتها المعدنية فهي ضئيلة ، ومنها رواسب المنجنيز والبوكسيت والجرانيت والنحاس والنيكل.

وتعتمد فولتا العليا في تجارتها الخارجية على التسهيلات التي تمنحها إياها جاراتها. وأكثر اعتمادها على الخط الحديدي الشهير الذي يسمى بخط أبيدجان–النيجر. ويبلغ طول هذا الخط ١١٤٥ كيلومتراً ويمر منه جزء يبلغ طوله ٥١٧ كيلومتراً في فولتا العليا. ويصل الخط بين أبيدجان وجادوجو عاصمة فولتا العليا. وكان قد بدىء في مد هذا الخط في عام ١٩٠٤م من ساحل العاج ثم وصل بواكه في عام ١٩١٢م. وقد استؤنف العمل فيه في عام ١٩٢٣م فوصل الخط إلى بوبو ديولاسو في عام ١٩٣٤م. ومد الخط بعد ذلك إلى وجادوجو فيما بين العامين ١٩٤٦ و١٩٥٤م وحينئذ فقط اتصلت العاصمة وجادوجو بالبحر. وتعتزم الحكومة مد هذا الخط نحو الشمال الشرقي حيث توجد مناجم المنجنيز التي اكتشفت في عام ١٩٥٩م.

السكان وأهم المدن :

يسكن في فولتا العليا ٥,٣٠٠,٠٠٠ نسمة فوق مساحة من الأرض قدرها ٢٧٤,٢٠٠ كيلومتر مربع . أي أن كثافتها العامة ١٨ شخصاً في الكيلومتر المربع . إلا أن هذا الرقم لا يمثل الحقيقة. فهضبة موسي الوسطى تزدحم بالسكان حيث تتراوح كثافتهم بين ٥٠ و١٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع . بينما يتبعثر البدو في الشمال وفي الشرق ولا تزيد كثافتهم على ٢٠ شخصاً في الكيلومتر المربع . وتنخفض الكثافة في الجنوب الشرقي وفي حوض نهر النيجر إلى أقل من ٥

أشخاص في الكيلومتر المربع ، بسبب انتشار الأمراض الطفيلية مثل البلهارسيا. وتتراوح الكثافة في الغرب بين ٥ و١٥ شخصاً في الكيلومتر المربع.

ويسكن العاصمة وجادوجو ١١٠,٠٠٠ نسمة. بينما يسكن بوبو ديالوسو ٧٠,٠٠٠ نسمة ويسكن كودوجو ٢٧,٠٠٠ نسمة ، ولا يزال ٩٥٪ من سكان فولتا العليا ريفيين.

(٧) جمهورية ساحل العاج

تبلغ مساحة أراضي جمهورية ساحل العاج نحو ٣٢٢,٤٦٣ كيلومتر مربعاً. وهي تطل على خليج غينيا.

الإسلام في ساحل العاج :

[أنظر ما سبق عن الإسلام في موريتانيا وغربي إفريقية وفي السنغال وفي مالي].

كانت منطقة الغابات مركزاً لمدنية زنجية قديمة ، وقد عرفت ممالك إفريقية أصيلة مثل مملكة آجني ومملكة باولة اللتين قامتا بين القرنين السابع والثاني عشر (١٣-١٨م). أما الشمال فكان جزءاً من الممالك الإسلامية التي ازدهرت في السودان الغربي.

وقد ارتادت المنطقة البعثات التبشيرية المسيحية تمهيداً للاستعمار الفرنسي. وهكذا ضم ساحل العاج إلى الممتلكات الفرنسية في غربي إفريقية في عام ١٩٠٢م وظل خاضعاً لفرنسا حتي حصل على الاستقلال في ٧ أغسطس عام ١٩٦٠م.

الملامح الطبيعية :

يتكون سطح ساحل العاج من هضبة جرانيتية قديمة ، ترتفع إلى ١٢٠٠ متر في إقليمي مان واودين في الغرب والشمال والغربي. وتقطع هذه الهضبة عدة أنهار متوازية تنبع في الشمال وتصب في خليج غينيا هي من االشرق إلى الغرب : نهر كومويه ونهر باندامًا ونهر ساسندرا ونهر كافالي الذي يكون الحدود الغربية بين ساحل العاج وليبيريا.

ويقع ساحل العاج بين دائرتي العرض ٥° و١٠° شمالاً ولذلك كان لها مناخ شبه استوائي في الجنوب ومناخ مداري في الشمال. ويمتاز القسم الجنوبي بالرطوبة الشديدة والحرارة الشديدة أيضاً وهو يشهد فصلين مطيرين عندما تتعامد الشمس عليه في حركتها الظاهرية نحو الشمال في الربيع ونحو الجنوب في الخريف.

ويختفي المناخ شبه الاستوائي شمالي دائرة العرض ٨° شمالاً ويبدأ المناخ المداري ، الذي يمتاز بفصل مطر وفصل جفاف.

وتنمو الغابات الإستوائية في الجنوب ، ويبلغ عرض هذه الغابات نحو ٣٠٠ كيلومتراً في الشرق والغرب ، و١٠٠ كيلومتر في الوسط وهذه الغابات هي أحد الموارد الطبيعية الهامة في ساحل العاج. وبه نحو ١٣٠ نوعاً من الأشجار التي يتراوح ارتفاعها بين ٣٠ و٤٠ متراً ، إلى جانب ١٢٠ نوعاً آخر يتراوح ارتفاع الشجرة منها بين ٢٠ و٢٥ متراً. وتقل كثافة الغابات إلى الشمال من دائرة العرض ٨° شمالاً وتحل محلها الغابات المكشوفة وحشائش الساڤانا التي تتخللها الأشجار.

وقد لعبت الغابة الإستوائية دوراً كبيراً في تاريخ البلاد. فقبل العصر الاستعماري كانت مأوى للعناصر الزنجية الأصلية وفي عصر الاستعمار كانت أحد مصادر الثروة الرئيسية للدولة المستعمرة. وقد بدأ السكان الآن في قطعها والزراعة محلها فهذا أمل المستقبل بالنسبة لهم.

الاقتصاد :

يعتمد اقتصاد ساحل العاج على الزراعة ، حيث يعمل بها نحو ٨٥٪ من القوى العاملة. والبلاد تكفي نفسها من الغذاء فيما عدا الأرز الذي تستورد منه كميات كبيرة. ويأتي معظم الغذاء من الشمال ، أما الجنوب فقد تحول إلى المحاصيل النقدية. وساحل العاج هي ثالثة بلاد العالم في إنتاج البن والكاكاو وخامسة بلاد العالم في إنتاج الموز والأناناس ، كما أن الخشب يكون ٢٠٪ من صادراتها.

وتوجد في البلاد رواسب من عدة معادن : من المنجنيز في إقليم جراندلاهو ومن الحديد في الغرب ومن البوكسيت في ديفو ولاكوتا ووومة وتومودي ومن النحاس في مان ومن الكروميت في باوكه كما يوجد التيتانوم والقصدير والذهب والماس في أقاليم متفرقة.

السكان وأهم المدن :

يسكن ساحل العاج نحو ٥,١ مليون نسمة (وفقاً لتقدير عام ١٩٧٦م) وتعتبر دائرة العرض ٩° شمالاً الفاصل بين سكان الساڤانا في الشمال وسكان الغابات في الجنوب. وتسكن في الشمال الشعوب السودانية المتأثرة بالمسلمين البربر والعرب مثل الفولبه والبمبارا، أما في الجنوب فتسكن الشعوب الزنجية وأهمها الأشانتي والكرو والماندە والكوا. ويؤلف المسلمون أكبر مجموعة موحدة من السكان، ويبلغون نحو ربع السكان، أما المسيحيون فلا يزيدون على ١٢٪ من السكان. وبقية السكان لا يزالون على معتقداتهم وطقوسهم الأفريقية القديمة.

ويتوزع السكان على البلاد بصورة غير منتظمة. فبينما لا تزيد كثافة السكان في الشمال على ١٤ نسمة في الكيلومتر المربع، فإنها ترتفع عن ذلك في الجنوب. ويعتبر ساحل العاج من أكثر دول أفريقية المدارية من ناحية وفرة الحضر. ففيها ٢٠ مدينة يزيد عدد سكان كل منها على ١٠,٠٠٠ نسمة، و٩٠ مدينة يزيد عدد سكان كل منها على ٥٠٠٠ نسمة وبينما كان يسكن عاصمتها أبيدجان ١٦٠٠٠ نسمة في عام ١٩٣٦م، إذا بعدد سكانها يرتفع إلى ٢٤٧,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٦٣م وإلى نحو ٦٠٠,٠٠٠ في عام ١٩٧١م، وتعتبر أبيدجان من أكبر مراكز التجارة في أفريقية، وهي تجتذب كثيراً من المهاجرين من البلاد المجاورة ولا سيما من فولتا العليا. وتأتي بعدها مدينة بواكه عاصمة إقليم باوله ويسكنها ١١٠,٠٠٠ نسمة.

(٨) سيراليون

واحدة من أصغر جمهوريات غرب إفريقية. مساحتها ٧١٧٤٠ كيلومتراً. تحيط بها غينيا من الشمال والشرق وليبيريا من الجنوب. وتطل على المحيط الأطلسي، وقد حصلت سيراليون على استقلالها وأصبحت عضواً في الكومنولث البريطاني منذ ٢٧ أبريل ١٩٦١م.

الإسلام في سيراليون :

[أنظر ما سبق عن الإسلام في موريتانيا وغرب إفريقية وفي السنغال وفي مالي].

تشارك سيراليون جاراتها في تاريخها، فهي مثلها كانت جزءاً من الدول الإسلامية التي تكونت في نطاق الساڤانا ثم توغلت نحو الغابات منذ القرن التاسع (١٥م)، كذلك كانت سيراليون مثل جاراتها في التعرض لتجارة الأوروبيين في الرقيق وللاستعمار الأوروبي منذ القرن الثالث عشر (١٩م).

الملامح الطبيعية :

تتكون سيراليون من عدد من الهضاب المتقطعة الصغيرة، وسهل ساحلي مليء بالمستنقعات. وهضبتها الشرقية ترتفع إلى ١٩٤٨ متراً (جبال لوما) وإلى ١٨٥٣ متراً (سانكان بيريوا). وهذه الهضبة مكونة من الصخور البللورية والمتحولة القديمة وتنبع منها أنهار النيجر الذي يتجه شرقاً، وعدة أنهار قصيرة تصب في المحيط الأطلسي بمصبات خليجية واسعة.

وهي بحكم موقعها بين دائرتي العرض ٧° و١٠° شمالاً – ذات مناخ مداري رطب. وتشهد فصلين متتابعين من المطر والجفاف. وتستقبل ما يقرب من أربعة أمتار من المطر سنوياً. وتغطيها الغابات الاستوائية. أما الهضبة الداخلية فأقل نباتاً، تغطيها الساڤانا التي تتخللها الأشجار.

الاقتصاد :

أكثر من ٩٠٪ من سكان سيراليون يعملون في الزراعة. وهم ينتجون الحاصلات الغذائية من الذرة الرفيعة والمانيوق والأرز. كما أنهم يزرعون محاصيل نقدية أهمها الطباق والكاكاو والزنجبيل والموز. وبالبلاد ثروة خشبية من الأخشاب النادرة، وتقطع الأخشاب من إقليم كينما بالقرب من الخط الحديدي. وإلى جانب ذلك ينشط كثيرون في أعمال متعددة تتعلق بالثروة السمكية.

ويستخدم البوكسيت منذ عام ١٩٦٣م. كما توجد رواسب حديدية جيدة في مناطق متعددة. كما يستخرج الكروم والتيتانيوم.

وتقوم في سيراليون بعض الصناعات الغذائية الناشئة.

السكان وأهم المدن :

يسكن سيراليون ٢.٥٠٠,٠٠٠ نسمة، وتبلغ كثافة سكانها ٣٤ نسمة في الكيلومتر المربع. وشبه جزيرة فريتاون حيث تقوم العاصمة هي أكثر أقاليمها سكاناً إذ تصل الكثافة إلى ٢٥٠ شخصاً في الكيلومتر المربع.

ويظهر أثر ارتباط سيراليون بجاراتها في تلقي دعوة الإسلام وفي مواجهة هجمات تجارة الرقيق والمستعمرين، في تكوين سكانها. إذ يوجد في البلاد خمس عشرة مجموعة من الشعوب أكبرها الماندي (من شعب الماندنج) في الجنوب، والتمنة في الشمال. وقد كانت سيراليون محطاً للرقيق الذين تحرّروا في أمريكا وجامايكا وآثروا أن يهاجروا إلى أفريقية، كما كانت السفن البريطانية – بعد تحريم الرق – تلقي بمن تصادرهم من الرقيق على ساحل سيراليون. وقد سمي هؤلاء بالكريول (كلمة أسبانية كانت تطلق على الفلاحين من المهاجرين الأسبان في أمريكا اللاتينية) وهم الذين أسسوا مدينة فريتاون. ويبلغ عدد هؤلاء نحو ثلث مليون نسمة. وهم مسيحيون. أما الماندي والتمنه فهم مسلمون.

ومنذ استقلال سيراليون توالى الزحف نحو المدن، فأصبح عدد سكان فريتاون ١٧٠,٠٠٠ نسمة وعدد سكان بو ٣٠,٠٠٠ نسمة ويعيش في كل من كينما وماكيني ١٥,٠٠٠ نسمة وفي مارامبا ١٢,٠٠٠ نسمة.

(٩) جمهورية توجو

أصغر الجمهوريات المتحدثة بالفرنسية في إفريقية ، فمساحتها ٥٦,٠٠٠ كيلومتر مربع ، وهي تشكل ممراً مستطيلاً يمتد ٦٠٠ كيلومتراً من الشمال إلى الجنوب ويصل بين غانا في الغرب وداهومي في الشرق. ولها جبهة بحرية ضيقة تطل على خليج غينيا طولها ٥٥ كيلومتراً فقط. ومتوسط عرض توجو من الشرق إلى الغرب لا يزيد على ١٠٠ كيلومتر.

الإسلام في توجو :

[أنظر ما سبق عن الإسلام في موريتانيا وغربي إفريقية وفي السنغال وفي مالي].

يعتبر شمال توجو امتداد للإقليم السوداني وهكذا كان جزءاً من الممالك الإسلامية التي شغلت هذا الإقليم. أما بقية توجو فتنتمي إلى إفريقية الزنجية.

الملامح الطبيعية :

توجو ذات سهل ساحلي عرضه ٥٠ كيلومتراً. تنهض بعده هضبة قديمة ترتفع إلى ما بين ١٥٠ و٥٠٠ متراً ، وتغطي أكثر من نصف البلاد وتعطيها شكلها والمنظر العام لها. ويعترض هذه الهضبة سلسلة جبلية تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، وهي امتداد لمثيلتها في داهومي وفي غانا. وترتفع إلى أكثر من ١٠٠٠ متر.

وتتمثل في توجو ثلاث مناطق مناخية متميزة : فمن الدائرة العرضية السادسة إلى الثامنة يسود مناخ مداري أكثر جفافاً مما تدل عليه دوائر العرض وهذا النطاق يمتاز بوجود فصلين مطيرين أحدهما من مارس إلى يونية والآخر في سبتمبر وأكتوبر ويفصل بينهما فصلان جافان. ويسقط المطر المداري مع تعامد الشمس على المكان في حركة الشمس الظاهرية نحو مدار

السرطان وعوداً إلى خط الاستواء. وتعزى قلة المطر الذي تكون كميته مقصورة على ٧٠٠ ملليمتر في السنة إلى أن دلتا الفولتا الممتدة إلى الجنوب الغربي من الساحل قد تحجب الرياح الموسمية عنه. ولكن ما تلبث أن تشتد غزارة الأمطار كلما قاربنا المرتفعات الداخلية حتي أنها لتصل إلى ١٦٠٠ ملليمتر من المطر في السنة. وبين دائرتي العرض ٨° و٩° شمالاً يوجد نطاق أكثر جفافاً. أما بين الدائرتين العرضية التاسعة والحادية عشرة شمالاً فيسود مناخ سوداني ، حيث يوجد فصل مطر قصير بين مايو وأكتوبر وفصل جفاف طويل بين أكتوبر ومايو. وقة المطر في أغسطس ، ومتوسط كمية المطر التي يستقبلها الإقليم تصل إلى ١٣٠٠ ملليمتر في العام.

ويصرف مياه جنوبي توجو نهر مونو وروافده ، بينما يصرف مياه توجو الشمالية نهر أوتي وهو يصب في النهاية في نهر الفولتا في غانا.

الاقتصاد :

تعتمد البلاد اقتصادياً على الزراعة ، وقد أدخلت إليها حاصلات نقدية في الجنوب أهمها الكاكاو والبن والقطن ونخيل الزيت. أما في الشمال السوداني فالثروة الحيوانية هي عماد الإقتصاد.

وقد اكتشف الفوسفات في البلاد وهو يكون الآن ٤٥٪ من صادراتها. كما اكتشفت ركائز الحديد ، ويقدر رصيد الحديد في البلاد بين ٥٠٠ و١٠٠٠ مليون طن. ولكنه لم يستخرج بعد بشكل اقتصادي.

السكان والمدن :

يسكن توجو نحو ١,٩٠٠,٠٠٠ نسمة ، ويزدحم السكان في الشمال والجنوب ويكاد يكون الوسط الجاف خالياً من السكان. وتتراوح كثافة السكان في الشمال بين ٢٥٠ و٣٠٠ نسمة في

الكيلومتر المربع وكذلك النسبة في الجنوب ، وتعد هذه من أكثر الكثافات السكانية ارتفاعاً. ومعظم السكان ريفيون. وأكبر الحواضر هي لومية العاصمة ويسكنها ١٢٠,٠٠٠ نسمة ، أما غيرها من البلدان فلا يسكن الواحدة منها أكثر من ٢٠ ألف نسمة.

ويعيش في توجو الجنوبية ٤٠ قبيلة ، تتركز في ثلاث مجموعات هي : الإيوى (٢٥٠,٠٠٠ نسمة) والواتاشي (٢٠٠,٠٠٠ نسمة) ، والمينا (١٠٠,٠٠٠ نسمة) وهي جميعاً تتحدث لغة الإيوي أو تستطيع أن تتفاهم بها.

أما في الشمال فتسود لغة الهوسا حيث تعيش القبائل السودانية المختلطة بالبربر ، مثل البول والجرما.

وقد كان شمال توجو جزءاً من الممالك الإسلامية التي شغلت الإقليم السوداني نظراً لأن شمال توجو يعتبر امتداداً لهذا الإقليم. أما بقية توجو فهي تنتمي ثقافياً إلى أفريقيا الزنجية ، ولا تزال الديانات التقليدية الزنجية سائدة بين ثلاثة أرباع سكانها. وقد تدفق على توجو في القرن الثامن عشر الميلادي هجرات من الرقيق المحرر في البرازيل ، كان لهم دور بارز في اقتصاديات البلاد.

(١٠) جمهورية داهومي

تشغل داهومي ١١٢,٦١٢ كيلومتراً مربعاً ، وتمتد ٧٥٠ كيلومتراً من الجنوب إلى الشمال بين نيجيريا في الشرق وتوجو في الغرب. وتحدها في الشمال فولتا العليا والنيجر. وتمثل داهومي قطاعاً كاملاً في الأقاليم المدارية كلها : من المناخ شبه الاستوائي في الجنوب ، إلى المناخ شبه الصحراوي في الشمال. وتطل داهومي على خليج غينيا بجبهة طولها ١٢٥ كيلومتراً.

الإسلام في داهومي :

[انظر ما سبق عن الإسلام في موريتانيا وغربي إفريقية وفي السنغال وفي مالي].

تجتمع داهومي مع جارتها توجو وغيرها من جاراتها في التاريخ المشترك. وكانت مثل توجو مركزاً لبعض الممالك الزنجية القوية مثل الفون واليوروبا ، كما أن داهومي كانت امتداداً للممالك الإسلامية التي قامت في النطاق السوداني الغربي.

وقد وفدت هجرة إسلامية قوية إلى الشمال الشرقي من البلاد في القرن الحادي عشر (١٧م) وظهر الإسلام في المناطق الساحلية في مطالع القرن الثاني عشر (١٨م)[1].

وتعرضت داهومي مثل توجو للقرصنة البرتغالية التي ارتادت سواحل البلاد وكانت تختطف الشبان والرجال وتبيعهم رقيقاً في أسواق العالم الجديد. ثم كانت أحد المجالات التي برز فيها التكالب الإستعماري في إفريقية في القرن الثالث عشر (١٩م) إلى أن أعلنتها فرنسا مستعمرة لها في عام ١٨٩٢م. وقد استقلت في أول أغسطس عام ١٩٦٠م.

الملامح الطبيعية :

البلاد مسطحة بصفة عامة فيما عدا الشمال الغربي ، حيث تمتد جبال أتاكورا ، وتعتبر

(١) عبد الرحمن زكي : المسلمون في العالم اليوم ، ٢ : إفريقية الإسلامية ص ٨٩.

تضاريس داهومي امتداداً شرقياً لتضاريس توجو. فتشغل مسطحات الصلصال والبحيرات المتقطعة مساحات كبيرة في الجنوب، وهي بطائح من المياه الضحلة أشهرها جراند بويو، وويداه أبومي كلافي، وجودومي. وهذه البطائح مصبات لأنهار صغيرة عديدة أكبرها نهر ويمي.

وتمتد داهومي بين دائرتي العرض ٦ و١٤ شمال خط الاستواء. وهي تنقسم إلى قسمين مناخيين كبيرين: المناخ شبه الاستوائي جنوبي دائرة العرض ١٠ والمناخ المداري شمالي هذه الدائرة.

الاقتصاد:

يعتمد الإقتصاد الداهومي على الزراعة، ويقدم زيت النخيل ٩٠٪ من صادرات البلاد.

السكان والمدن:

يسكن داهومي نحو ٢,٧٦٠,٠٠٠ نسمة (وفقاً لتقدير عام ١٩٧١م) ويتكون السكان من عدد كبير من القبائل أشهرها في الجنوب الفون والبوروبا والناجي، أما في الشمال فتسكن قبائل سودانية بربرية أهمها البول.

ولا يزال جزء كبير من السكان يمارسون طقوسهم الإفريقية القديمة، أما المسلمون والنصارى فهم قرابة ثلث السكان، نصفهم مسلمون ونصفهم مسيحيون.

ومعظم سكان داهومي ريفيون ويتركز السكان في الجنوب، حديث تصل كثافة السكان إلى ١٥٠–٢٥٠ نسمة في الكيلومتر المربع، وهي تقل في الشمال إلى ١٠ أشخاص فقط في الكيلومتر المربع.

وعاصمة داهومي هي بورتونوفو ويسكنها ٨٠,٠٠٠ نسمة، أما كوتونو فهي العاصمة الاقتصادية ويسكنها ١٢٠,٠٠٠ نسمة. وفيما عدا ذلك لا يزيد سكان المحلات الحضرية عن ٢٠,٠٠٠ نسمة.

(١١) نيجيريا

نيجيريا أكثر دول إفريقية سكاناً إذ يبلغ عدد سكانها ٧٠ مليوناً، وهي من أكبر دول إفريقية مساحة إذ تبلغ مساحتها ٩٢٣,٧٦٨ كيلومتراً مربعاً. وتقع هذه البلاد عند تقاطع غرب إفريقية بوسطها، وهي تمتد من المحيط الأطلسي جنوباً حتى الصحراء الكبرى شمالاً، قاطعة بذلك أقاليم إفريقية المدارية كلها. وتخترق أراضي البلاد نهر النيجر الكبير ورافده بنوى. ويحدها من الشمال النيجر ومن الغرب داهومي ومن الشمال الشرقي تشاد ومن الشرق الكاميرون.

ونيجيريا دولة اتحادية نالت استقلالها في أول أكتوبر من عام ١٩٦٠م وانضمّت إلى الكومنولث البريطاني. وتتكون الدولة الإتحادية من الإقليم الشمالي المسلم، والإقليم الجنوبي الشرقي، والإقليم الجنوبي الغربي. ثم استحدث إقليم رابع في عام ١٩٦٣م هو إقليم الوسط الغربي. وقد قامت حرب أهلية بين العناصر الإنفصالية في الإقليم الجنوبي الشرقي والدولة الإتحادية بقيادة الشمال، استمرت منذ عام ١٩٦٦ إلى ١٩٧٠م. وانتهت بانتصار الدولة الإتحادية وبقاء الإقليم الجنوبي الشرقي في نطاقها.

الإسلام في نيجيريا:

[أنظر ما سبق عن الإسلام في بلدان غربي إفريقية وبخاصة في السنغال ومالي وغينيا].

انتشر الإسلام في غربي إفريقية بين شعوب استوطنت بعض جهاتها مثل الماندنجو والهوسا والفلاني، وقد اتجه مسلمو تلك الشعوب إلى إقامة زعامات إسلامية من بينهم. وكان كل من سلطان سكوتو Sokoto والشيهو Shehu في برنو Bornu يعتبر إماماً لجماعة المسلمين في قومه، فلم يتطلع مسلمو تلك الشعوب دائماً إلى المغرب التي حملت إليهم دعوة الإسلام. وقد كان لبعض الجماعات الصوفية نشاطها في نشر الإسلام في تلك الجهات[1].

(١) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة ص ٤٤–٤٥.

وينتشر المتكلمون بالهوسا في شمالي نيجيريا ولا سيما في مقاطعات سكتو وكانو وزاريا وباوتشي وقد تأثرت القبائل التي تتكلم تلك اللغة ، بمؤثرات زنجية واشتغلوا بالزراعة والتجارة. وكانت لغتهم منتشرة بشكل عام في غربي إفريقية على نطاق أوسع باعتبارها لغة المعاملات التجارية والمالية وغدت تكتب بحروف عربية ووجدت وثائق تاريخية مكتوبة بها وإن كان الفلاني قد قضوا على كثير من وثائق الهوسا.

وبدأت قبائل الهوسا تتحول الى الإسلام في القرن السابع (١٣م) ، وانتشر بينهم انتشاراً واسعاً منذ القرن التاسع (١٥م) وكان له آثاره البعيدة في الحياة الإجتماعية والدينية لتلك القبائل ، إذ قام فيها نظام مالي وقضائي على أساس أحكام الشريعة. وكانت للقبائل المتحدثة بالهوسا إمارات سبعة تستمد كل منها اسمها من المدينة الرئيسية بها هي : كانو ورانو وزاريا ودورا وجوبير وكتسينا وزامفارا ، لكل منها ملك أو أمير يعونه بعض الوزراء على النحو المعروف في العصور الوسطى. ويقوم بين الإمارات السبعة شكل من التحالف غير الوثيق ، وقد تشتعل بينها الحروب الأهلية أحياناً. وقد اضطلعت إمارة زاريا بنشر الإسلام في أواسط نيجيريا ، بينما اضطلعت إمارة كانو بنشره في منطقة برنو في الشرق. وكانت الإمارات المتحدثة بالهوسا تتعرض لغارات شعب الهوسا الذي كان يتنافس على السيطرة على غربي السودان مع قوة أخرى هي قوة الكبّى التي استقلت عن مملكة صنغاي. وقد عملت قبائل الهوسا في التجارة ، فأعانتها طبيعة التجار وأساليبهم على التفاهم مع تلك القوى التي ترمي إلى السيطرة على بلادهم. وواجهت تلك القبائل هجرات شعب الفلاني الذي يرجح أنه استقر في بلاد التكرور على نهر جامبيا حوالي القرن الثالث (٩هـ) وقد جاء هؤلاء من صعيد مصر – وقد يكونون من أصل مصري – واتجهت هجراتهم غرباً إلى بلاد المغرب ثم انحدروا إلى المحيط الأطلنطي فاستقر بعضهم هناك بينما مضي بعضهم الآخر حتي بلاد السنغال. وفي القرن السابع (١٣م) أخذت هجراتهم تتجه شرقاً وتتدفق على شمالي نيجيريا. وكان بعض هؤلاء المهاجرين يسكنون المدن ويختلطون بسكانها من المتحدثين بالهوسا ويتزوجون منهم وقد دانوا بالإسلام ، وسرعان ما سيطروا على المدن وعرف هؤلاء بالفلاني جيدا Fulani Gidda أي المهجّنين ، أما الذين عاشوا على البداوة والوثنية بمعزل عن قبائل الهوسا فكانوا يعرفون بالفلاني رعاة البقر وقد

خضعوا للسلطات القائمة في بلاد الهوسا قروناً طويلة. وكان الفلاني يتألفون حتي ذلك الوقت من عدة قبائل صغيرة متناثرة ويؤلفون مستعمرات من الرعاة والزراع في مختلف بقاع السودان. وقد ذكر زائر أوروبي لموطنهم على نهر جامبيا في عام ١٧٣١م أنهم يشبهون العرب ويتكلم معظمهم العربية وهم يتعلمونها في مدارسهم وكانوا إذا أساء إليهم حاكم هدموا مدنهم وارتحلوا إلى مكان آخر. كذلك ذكر أنهم يزرعون من القمح والقطن ما يفوق حاجاتهم ليبيعوا الفائض. ويسودهم التضامن والتعاون وحسن المعاملة وهم يعولون العجوز والعاجز ، فضلاً عن أنهم محاربون شجعان كسائر الشعوب الإفريقية. وذكر ذلك الزائر أنهم مسلمون متدينون يندر أن يشرب الخمر واحد من بينهم.

وفي مطالع القرن الثالث عشر (حول نهاية القرن ١٨م) ظهر بين فقهاء الفلاني المرابطين الشيخ **عثمان دان فوديو** الداعية المجاهد الذي رحل لأداء فريضة الحج ويبدو أنه قد تأثر بالدعوة السلفية التي نهض بها في شبه الجزيرة وقتذاك الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد استطاع الشيخ عثمان أن يوحد الجماعات المتناثرة في أقاليم الهوسا فكان له نفوذ كبير حتي بين الملوك الوثنيين. أعلن الجهاد لنشر الإسلام ودفع عدوان مملكة جوبير الوثنية وتلقب «ساركين مسلماني» أي أمير المسلمين وقد استقرّ في سكوتو واتخذها قاعدة لحملاته. ولم يغفل الشيخ عثمان عن المسلمين أنفسهم ممن انحرفوا عن تعاليم دينهم فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر. وقد هاجم أنصاره بلاد برنو عام ١٨٠٨م على الرغم من أنها كانت تعتنق الإسلام. واجتمع تحت لواء عثمان دان فوديو مسلمو الفلاني والهوسا على السواء. ولما انتصرت جيوشه وقامت دولته ترك الشيخ عثمان شئون الحكم لأخيه عبدالله وابنه بلو Bello وقسم البلاد بينهما وامتدت دولته الواسعة بين نهري بنوى والنيجر. وقد غزا إقليم اليوروبا وعمل على نشر الإسلام في إقليم الغابات الإستوائية. وتوفي عثمان دان فوديو عام ١٨١٧م في سكوتو قاعدة دولته ، وظلت سلالته تتوارث عرش سكوتو واستمر ذلك في بداية النفوذ البريطاني في البلاد. وقد أدار أمراء الفلاني أمور البلاد بمقدرة وعدالة. وطبقوا أحكام الشريعة فنظمت جباية الزكاة والخراج ، وكان القضاة يحكمون وفقاً للفقه المالكي. وبنيت المساجد في أنحاء البلاد وتعددت المكتبات الحافلة بالمراجع الإسلامية. واستمر حكم الفلاني صالحاً قرابة قرن من الزمان انتشر خلاله الإسلام في شمالي نيجيريا ودانت لهم قبائله بالطاعة ، حتي جاء خلف أغفلوا أمر دينهم وافتقدوا ما كان لسلفهم من جدّ وعزيمة

وحنكة ومراس في تعاهد الأمور فضلاً عما كان من تدينهم وعدلهم وحسن أخلاقهم وسلوكهم ، فاضمحّل ملكهم في الوقت الذي بدأ فيه البريطانيون يدخلون البلاد في القرن الثالث عشر (١٩م).

وقد كانت جوانب نيجيريا الخارجية المختلفة وقت قدوم الإستعمار البريطاني إلى تلك البلاد مستقر شعوب زنجية أو مغربية الأصل قد اعتنقت الإسلام من قبل وأسست إمارات قوية متحضرة ، منها شعب اليوروبا Yoruba في جنوب غربي نيجيريا. ويرجح أن أصول مملكتهم ترجع إلى الفترة بين عامي ٦٠٠ و١٠٠٠م. ويدعى شعب اليوروبا أنهم جاءوا من مكة ، وهناك رأي بأنهم من صعيد مصر. وينسبهم البعض إلى الكنعانيين كما ينسب الفلاني إلى القينيقيين أحياناً. ويقال إن اليوروبا قد قدموا إلى غرب أفريقية من بلاد العرب وكانوا في مسيرتهم إلى مدينة ياربا Yarba يتركون فريقاً منهم في كل بلد ينزلون فيه ومن هنا نراهم يدعون أن كل قبائل السودان قد انحدرت منهم. ويرى الباحثون الإثنوجرافيون أن اليورربا لم يكونوا من أصل ونجي وإنما اختلطوا بالدماء الزنجية على نطاق واسع. وقد أسس اليوروبا ملكاً امتد من مصب النيجر حتي داهومي غرباً واتسعت مملكتهم بالحروب التي كانوا يشنونها في فصل الجفاف عادة. وقد نفذ إليهم الإسلام عن طريق الفلانيين الذين استقروا بين القبائل المتحدثة بالهوسا ، وأقبل هؤلاء إلى شعب اليوروبا وتزايد نفوذهم في أراضيهم. وانتشر الإسلام في أراضي اليوروبا وفي نيجيريا الجنوبية بوجه عام. ولا يزال الإسلام ينتشر في تلك الجهات وقد دخل مملكة إيجيبو Ijebu في نيجيريا الجنوبية في عام ١٨٩٣م ، وشهد أحد الرحالة المساجد العديدة في بلدانها. وقد انتشر الإسلام حديثاً بسرعة على طول ضفتي النيجر في مجراه الجنوبي بوجه خاص حتي ليندر أن تجد قرية وثنية في أسفل إدّه Eddah على النيجر جنوبي الحدود الشمالية لنيجيريا الشمالية. وذلك على الرغم من أن بلاد اليوروبا دخلت تحت النفوذ الإستعماري البريطاني منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، كما تعرضت لتأثير البعوث التبشيرية المسيحية.

وفي شرقي نيجيريا قامت مملكة برنو إلى الشرق من بلاد القبائل التي تتحدث الهوسا وقد توسعت حتي بسطت نفوذها على الصحراء وجزء من السودان ، ومن أهم قبائل بلاد برنو قبيلة كانوري التي تختلط فيها الدماء العربية والحامية والزنجية وقد استقرت في تلك البلاد منذ قرون

طويلة. وكانت بلاد برنو داخلة في امبراطورية الكانم. وقد كانت المملكة تبسط نفوذها على أراضي واسعة في القرن الخامس عشر الميلادي كما تدل على ذلك خريطة برتغالية ، وفي القرن التالي وصلت إليها الأسلحة التركية فبلغ توسع المملكة غايته. وقد تحولت إلى الإسلام وطبقت فيها أحكامه وفرائضه المالية ، لكن أخذت بعد حين في الاضمحلال شأن غيرها من الأمبراطوريات السودانية قبلها. وقد دخلتها جيوش عثمان دان فوديو عام ١٨٠٨م. ثم ظهر في بلاد برنو الشيخ محمد الكانمي الذي كان قد ولد في فزان من أب عربي وأم كانمية ، فحارب الفلانيين واستعاد لمملكة برنو كيانها ثم رفض العرش وظل يشتغل بعلوم الدين وأعاد الملك السابق إلى عرشه وإن ظل للشيخ رأيه ونفوذه. وقد أصبحت كوكا التي بناها عام ١٨١٤م حاضرة البلاد الحقيقية. وأدرك الضعف تلك المملكة بعد ذلك وتداولتها الجيوش المصرية والسودانية المهدية حتي دخل الفرنسيون السودان الغربي[1].

وبينما كان إقليم الحشائش يشهد دولاً وممالك مستقرة تدين بالإسلام وتنشىء صلات تجارية ودينية ثقافية مع بلاد المغرب ومصر، هبط السطو الأوروبي على الساحل لاختطاف الرقيق على أيدي البرتغاليين في القرن التاسع (١٥م) حتي أطلق على ذلك الساحل اسم «ساحل العبيد». وكان الرقيق من الإيبو واليوروبا يحملون إلى أسواق النخاسة في العالم الجديد [أنظر سيراليون].

ثم جاء البريطانيون في القرن التالي، وعندما تقرر تحريم تجارة الرقيق تركّز الاهتمام الاستعماري على نهب الموارد الطبيعية لمصب النيجر. فتأسست شركة النيجر الملكية التي اضطلعت بالدور الاستعماري المعهود من تلك الشركات ، وعقدت المعاهدات مع الحكام المحليين وتحيّنت الفرص لضمّ الممتلكات شيئاً فشيئاً ، ودخلت في منافسة استعمارية مع فرنسا ، ولكن استطاعت في النهاية أن تبسط سيطرتها على رقعة كبيرة من الأرض أطلقت عليها أسم نيجيريا.

---

(١) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة ص ٧١-٨٥.

الملامح الطبيعية :

يتكون سطح نيجيريا من عدد من الهضاب المتقطعة المنعزلة ، يصل بعضها بالآخر سهول رسوبية منخفضة . وهضابها الوسطى هي بقايا من قارة جندوانا الإفريقية القديمة ، وتتكون من صخور بللورية ومتحولة . ويعلو بعضها طفوح بركانية ترجع إلى الزمنين الثاني والثالث الجيولوجيين . ويصل ارتفاع هضبة جوس إلى ألفي متر وهي أعلى هضاب نيجيريا ، وتقطع كتلتها الصلبة أودية وخوانق عميقة . وتنحدر هذه الهضبة انحداراً هيناً نحو الشمال إلى هضبة لاتشي وإقليم الهوسا ، وهي تمثل هضاباً مستوية السطح تغطيها الصخور الرملية الأفقية . وتنهض فوق سطح هذه الهضبة المستوية بعض القباب الجرانيتية . وفي الغرب من الهضبة يمتد سهل سكوتو المنخفض ، وفي الشرق منها تنحدر الهضبة بالتدريج إلى حوض تشاد . أما في الجنوب فتنحدر الهضبة إلى سهول منخفضة تغطيها الرواسب الصلصالية ، والصلصالية الرملية .

ويصب نهر النيجر في سهل فيضي تغطيه البحيرات المقتطعة والخلجان المتسعة . وتنتشر دلتا النيجر في مساحة واسعة من الأرض ، وهي دلتا لم تنضج أو تتضح معالمها بعد ، تختلط فيها الحياة البحرية بالحياة البرية ، ويطغى البحر حيناً والنهر حيناً آخر وتمتلىء بالطين اللزج والرمال المتحركة . ويتفرع النهر فيها إلى عدة فروع متوازية ومتقاطعة تنتشر فيما بينها المستنقعات .

وتقع نيجيريا بين دائرتي العرض ٤° و١٤° شمال خط الاستواء . ولذلك فهي تنقسم إلى قسمين طبيعيين كبيرين . الإقليم الإستوائي في الجنوب ، والإقليم السوداني أو إقليم حشائش الساڤانا في الشمال . أما الإقليم الأول فيمتد بين دائرتي العرض ٤° و١٠° شمالاً ، وهو إقليم استوائي بمعني الكلمة ، تسقط عليه الأمطار طول العام في الجنوب ويظهر فصل جفاف قصير في شهر أغسطس في الشمال . ويكاد المطر أن يسقط كل يوم على الساحل ، ويستقبل هذا الساحل أكثر من ثلاثة أمتار من المطر سنوياً .

أما في شمالي دائرة العرض ١٠° شمالاً فيظهر المناخ السوداني المداري ، بفصليه المتعاقبين من المطر والجفاف فيسقط المطر من يونيه إلى أكتوبر ويسود الجفاف من نوفمبر إلى مايو . ويقل المطر في هذا الإقليم كلما اتجهنا شمالاً . كما أنه يتعرض لرياح «الهرمتان» الجافة السامة في فصل الجفاف .

وتحتل الغابات الاستوائية مساحات شاسعة من الساحل ، وتظهر فيها كل مراحلها وأطوارها . فعلى الساحل غابات المانجروف المستنقعية ، ثم الغابات الاستوائية ذات الأشجار العالية ومن أهمها نخيل الزيت وأشجار الماهوجني والكولا والبن البري ، وتحوط مجرى الأنهار غابات الدهاليز الكثيفة .

أما في الشمال فتمتد حشائش الساڤانا التي تتخللها الأشجار . وهذا الغطاء النباتي يشمل ثلاثة أرباع البلاد ، وتقل الأشجار كثافة كلما اتجهنا نحو الشمال ، حيث يزداد طول فصل الجفاف . وأهم أشجار إقليم الساڤانا شجر السنط بأنواعه وشجره الباوباب الذي يسمى في السودان بشجر التبلدي .

ونهر النيجر ورافده نبوي هما شريانا الحياة الإقتصادية في البلاد ولهما دور كبير في المواصلات وتوليد القوى الكهربائية .

الاقتصاد :

الزراعة هي النشاط الإقتصادي الرئيسي في البلاد . وتشغل الحاصلات الغذائية ٩٠٪ من مساحة الأرض المزروعة . ومع ذلك فإن إنتاج الحاصلات النقدية له قيمته الإقتصادية وهو يمثل ٦٠٪ من جملة الصادرات . وتضم الحاصلات الغذائية عدداً متنوعاً من المحاصيل منها اليام والمانيوق والذرة الرفيعة والذرة والبطاطا والأرز . وتنتج الأقاليم الشمالية وحدها ٩٠٪ من الحبوب الغذائية (الذرة الرفيعة) وينتج الجنوب الأرز الذي توسعت البلاد في زراعته منذ الحرب العالمية الثانية وبدأت تصدر الفائض منه . وتتنوع الفواكه المصدرة بين الموز والمانجو والطماطم والكولا .

وأهم الحاصلات النقدية هي الفول السوداني والكاكاو وزيت النخيل. وهي تقدم في مجموعها ٤٠٪ من جملة الصادرات الزراعية. وتشغل نيجيريا المركز الرابع بين الدول المصدرة للفول السوداني الذي يمثل ثالث بين صادرات البلاد بعد الزيت والكاكاو. وأهم مناطق زراعة الفول السوداني هي السهول الشمالية التي تشمل كانو وكاتسينا وسكوتو وبرنو.

وتنتج نيجيريا ما يتراوح بين ١,٢٠٠,٠٠٠ و١,٥٠٠,٠٠٠ طن من الفول السوداني، وتصدره صحيحاً أو زيتاً. ونيجيريا هي ثانية دول العالم في إنتاج الكاكاو وتأتي بعد غانا مباشرة. ويزرع الكاكاو في الإقليم الجنوبي الغربي بصفة أساسية وهو ينتج ما بين ١/٤ و١/٣ مليون طن من الكاكاو الممتاز. ويتميز هذا الإقليم أيضاً بأكبر منتجات النخيل. ويقدر الإنتاج السنوي من لب جوز النخيل بنحو نصف مليون طن ومن زيت النخيل بأكثر من نصف مليون طن. ويمثل هذا الإنتاج نصف الإنتاج العالمي منهما.

وإلى جانب ذلك فإن نيجيريا هي ثالثة الدول إنتاجاً للقطن، بعد مصر وتنزانيا. وتنتج البلاد نصف ما تحتاجه من أكسية القطن في إقليم كادونا في الشمال.

أما الحاصلات الأخرى التي تصدر بكميات قليلة فهي فول الصويا والسمسم والبن والطباق والتوابل والزنجبيل وجوز الهند.

وتغطي الغابات ثلث مساحة البلاد. ولذلك تمثل الأخشاب عنصراً هاماً في الصادرات. وتصدر البلاد بعض الأخشاب الممتازة مثل الماهوجني.

ويرعى الفلاني نحو ١١ مليون رأس من الماشية، و٧ ملايين من رءوس الغنم و٢١ مليون من رءوس الماعز وتصدر البلاد جلود الماعز التي تعتبر أساساً للصناعات الجلدية فيها.

أما عن ثروة نيجيريا المعدنية فأهمها الكولومبايت الذي تبلغ نسبة إنتاجها منه ٨٠٪ من مجموع الإنتاج العالمي. كما يستخرج القصدير من أراضيها.

وقد اكتشف زيت البترول في نيجيريا في عام ١٩٥٦م وارتفع إنتاجه بسرعة حتي وصل إلى ٢١ مليون طن في عام ١٩٦٦م، لكنه تأثر بعد ذلك بأحداث الحرب الأهلية. وتعتبر نيجيريا ثالثة دول القارة الإفريقية إنتاجاً للبترول، بعد ليبيا والجزائر. وقد وصل إنتاجها إلى ٧٥,٥ مليون طن في عام ١٩٧١م. ويستخرج ٨٠٪ من إنتاج البلاد البترولي من الإقليم الشرقي و٢٠٪ من إقليم الوسط الغربي. وتقع أكبر حقول البترول بالقرب من بورت هاركورت في دلتا النيجر. وقد أقيمت مصفاة كبيرة في هذا الميناء.

ونيجيريا هي الدولة الوحيدة في غرب إفريقية التي يستخرج منها الفحم، ويقدر احتياطي الفحم فيها بنحو ٣٦٠ مليون طن وإن كان من نوع رديء جداً.

وهكذا تتجمّع لدى نيجيريا عناصر الطاقة المتنوعة: زيت البترول والغاز الطبيعي والفحم ثم القوى المائية، مما يتيح عوامل مواتية لتنمية الصناعة بتلك البلاد. وقد توقفت المشاريع الصناعية خلال الحرب الأهلية، ولكن هناك مشاريع كبرى تخطط لها الحكومة حالياً منها إقامة مصنع للصلب في إينوجو ومصنع للصناعات المعدنية في لوكوجا. هذا وتنتشر في البلاد صناعات تقليدية عديدة أهمها صناعات الجلود والأنسجة.

السكان والمدن:

نيجيريا دولة اتحادية، أخذت شكلها الحالي على يد الاستعمار البريطاني في نهاية القرن الماضي، وهي تضم عديداً من العناصر العرقية المتنوعة. وقد كانت بحكم موقعها معبراً ومستقراً للعديد من الهجرات، وكان الأقوىٰ منها يدفع الأضعف إلى أقاليم العزلة في المستنقعات أو الغابات أو فوق المرتفعات، ومن ثم فإن سكان الغابات يمثلون العناصر الزنجية القديمة، بينما تسكن العناصر السودانية الأحدث في سهول الساڤانا.

ومن أقدم العناصر الزنجية في نيجيريا: الإيبيبو والإيبو والإيجو. وهؤلاء أصحاب أقدم حضارة إفريقية زنجية وهي حضارة النوك التي ازدهرت فيما بين القرنين الخامس ق.م والثالث

الميلادي. وقد أثرت في حضارة بينين التالية. وبين القرنين السابع والحادي عشر الميلاديين قدم اليوروبا واستقروا في الجنوب الغربي، والهوسا الذين استقروا في الشمال. وأخيراً جاء شعب الفلاني وتوغلوا في الشمال حيث استقروا فترة من الزمن ثم انتشروا بعد ذلك في القرن الثامن عشر الميلادي في الجنوب والجنوب الشرقي.

وتسود قبائل الهوسا والفلاني المسلمين في الإقليم الشمالي، بينما يسود اليوروبا في الإقليم الجنوبي الغربي، ويسود الإيبو في الإقليم الجنوبي الشرقي.

وشعب اليوروبا من الشعوب الإفريقية القوية، وقد تغلغل في جنوب غرب نيجيريا وأسس مملكة بنين في الشرق وأويو في الغرب. ووصل اليوروبا إلى أوج قوتهم في القرن السادس عشر الميلادي.

وقد خضع شمال نيجيريا للتأثيرات العربية والمغربية الإسلامية التي تجلت بين الهوسا والفلاني.

ونيجيريا التي يبلغ سكانها سبعين مليوناً هي أكثر أقاليم إفريقيا سكاناً، ومن أكثرها كثافة إذ تبلغ كثافة السكان بها ٦٦ شخصاً في الكيلومتر المربع. غير أن توزيع السكان في نيجيريا ليس متعادلاً. فالسهول الشمالية هي أقل جهات البلاد سكاناً، إذ لا تزيد فيها كثافة السكان عن ٢٣ في الكيلومتر المربع. وأكثر الأقاليم الشمالية سكاناً هي كانو وسكوتو، وهي موطن الهوسا.

أما في الجنوب الغربي حيث يسود اليوروبا فترتفع الكثافة إلى ٦٦ في الكيلومتر المربع. وتصل الكثافة إلى ٩٤ في الكيلومتر المربع في الجنوب الشرقي والشرق، حيث يعيش الإيبو. وهكذا يكون الهوسا المسلمون والإيبو واليوروبا ثلثي السكان في نيجيريا. أما قبائل الفلاني المسلمون (البيل) من الرعاة وأنصاف الرعاة فإنهم ينتشرون في الشمال والشمال الشرقي. ويعيش الكانوري (وهم من المسلمين) في حوض تشاد. أما في الحزام الأوسط فتعيش قبائل إفريقية أقل عدداً، مثل التيف في حوض نهر بنوى، والفوبي في وادي النيجر والإيدو في الوسط الغربي. والإيبيبيو في الجنوب الغربي.

وثلاثة أرباع السكان في نيجيريا ريفيون، إلا أن البلاد تحتوي مدناً كبرىٰ عديدة. فمدينة لاجوس العاصمة الإتحادية يسكنها ما يقرب من مليون نسمة، وإيبدان يسكنها نحو ثلاثة أرباع مليون نسمة، بينما يسكن أوجيوموشو نحو ثلث مليون. ومدن الشمال أقل سكاناً إذ يسكن كانو نحو ثلث مليون نسمة، ويسكن زاريا أقل من ٢٠٠,٠٠٠ نسمة وأكبر المدن في الجنوب هي بورت هاركورت التي يسكنها ٢٠٠,٠٠٠ نسمة وأونتشا وآبا ويسكن كلا منهما نحو ١٥٠ ألف نسمة.

وشعوب الشمال كلهم مسلمون. الهوسا والفلاني والكانوري والفوبي وقد وحّد الإسلام هذه الشعوب جميعاً بعقيدته وتعاليمه وثقافته وحضارته. كما انتشر الإسلام أيضاً بين اليوروبا وقد استطاعت بعثات التبشير أن تنشر المسيحية بين الإيبو واليوروبا. ولا يزال نصف السكان على المعتقدات والطقوس الإفريقية التقليدية. وهم بحكم الفطرة أقرب لقبول الإسلام إذا نشطت الدعوة إليه بينهم.

(١٢) جمهورية الكاميرون المتحدة

تمثل الكاميرون من زوايا متعددة جسراً بين مناطق إفريقية متباينة : فهي جسر بين إفريقية الوسطى وغرب إفريقية ، بين إفريقية الرطبة وإفريقية الجافة ، بين إفريقية المتحدثة بالفرنسية وإفريقية المتحدثة بالإنجليزية . وتشبه الكاميرون مثلثاً كبيراً : ضلعه الشرقي يتاخم تشاد وإفريقية الوسطىٰ ، وضلعه الجنوبي يتاخم الكونغو والجابون وغينيا الاستوائية ، وضلعه الغربي يتاخم نيجيريا ويطل بجبهة ضيقة على خليج غينيا وتبلغ مساحة الكاميرون ٤٧٥,٤٤٢كم٢ .

الإسلام في الكمرون :

[أنظر ما سبق عن الإسلام في بلدان غربي أفريقية ، وبخاصة في السنغال وفي مالي وفي نيجيريا] .

شمالي الكميرون جزء من السودان الغربي ، حيث كانت الممالك الإسلامية القديمة قبل عهد الإستعمار .

وقد خضع شعب الساو بين القرنين الثامن والحادي عشر (١٤-١٧م) لمملكة برنو في جنوبي تشاد وكانوا يحذقون الصيد والبناء وعرفوا منذ القرن التاسع (١٥م) باسم كوتوكو . وقد انتشر الإسلام بينهم في القرن الثالث عشر (١٩م) وشيدت المساجد وظهر علماء الدين . وغزا الفلاني من أتباع مملكة سكوتو الهضبة الوسطى وأخذ الإسلام ينتشر هناك منذ عام ١٨٠٥م[1] .

وقد تعرضت الأجزاء الجنوبية من الكمرون للقرصنة البرتغالية في القرن السادس عشر الميلادي ثم للإستعمارين الفرنسي والألماني في القرن التاسع عشر الميلادي . ثم قسمت البلاد بين

(١) عبد الرحمن زكي : المسلمون في العالم اليوم ، ٢ : إفريقية الإسلامية ، ص ١٢٩-١٣١ .

انجلترا وفرنسا بعد الحرب العالمية الأولى . وقد قاد «اتحاد الشعب الكاميروني» في الكاميرون الفرنسية حركة توحيد البلاد واستقلالها ، حتي حصلت -بعد جهاد عنيف- على استقلالها في عام ١٩٥٧م ، وضمت إليها جزء من الكاميرون البريطاني نتيجة لاستفتاء أجري هناك ، وأعلنت جمهورية متحدة عام ١٩٦١م .

الملامح الطبيعية :

تمتد الكاميرون ، بين دائرتي العرض ٢° ، ١٤° شمال خط الاستواء . ومن ثم تتمثل فيها جميع أنواع المناخ المداري .

ويسود المناخ الاستوائي جنوبي دائرة العرض ٨° شمالاً ، بينما يبدأ النظام المداري إلى الشمال من هذه الدائرة ، حتي إذا شارفنا بحيرة تشاد أصبح المناخ شبه صحراوي .

ويخفف عامل التضاريس من شدة حرارة الإقليم المداري ، فحيث تمتد جبال أداماوا من الشرق إلى الغرب تعتدل درجة الحرارة .

وتغطي الغابات الإستوائية السهول المنخفضة التي تطل على خليج غينيا ، ثم تحل الغابات المكشوفة محل الغابات الاستوائية ، بينما تغطي المروج المعتدلة والسافانا الهضبة الوسطى ، ويقل النبات كثافة كلما اتجهنا شمالاً .

الاقتصاد :

يعتمد الإقتصاد في الكاميرون على الزراعة . والكاميرون هي خامسة دول العالم في تصدير الكاكاو ، ويأتي البن بعد الكاكاو في قائمة صادرات البلاد . والقطن هو المحصول النقدي الوحيد في البلاد ويزرع في شمالها ، وتعتمد الكمرون بعد ذلك على ثروتها الحيوانية .

السكان وأهم المدن :

يبلغ عدد سكان الكاميرون ٥,٨٤٠,٠٠٠ نسمة ، فتكون كثافة السكان العامة نحو ١١,٦ شخصاً في الكيلومتر المربع . ويتركز نحو نصف السكان في منطقة الهضاب الغربية والشمالية . أما في الشمال فتعيش قبائل نصف بدوية أو بدوية ، وهي قبائل سودانية مختلطة بالبربر والعرب ، مثل قبائل الشوا العربية ، والكوتوكا والماسا والتوبوري – وهي قبائل سودانية من الكانوري كما تعيش قبائل البيل السودانية البربرية . وهذه القبائل جميعاً تدين بالإسلام وهي تكون نحو ربع سكان البلاد .

أما الهضاب الغربية فتسكنها قبائل زنجانية أشهرها الباماليكة والبامون ، وهي نصف بانتوية . وتعيش في السهول الجنوبية الغربية قبائل زنجية مثل الفانج وهي من شعوب البانتو التي وفدت أفواجاً على البلاد منذ بدء العصر المسيحي ، كما تسكن بعض القبائل القزمية في وسط الغابات الإستوائية .

ولا يزال نحو نصف السكان على المعتقدات والطقوس الإفريقية القديمة ، ويقل عدد المسيحيين في البلاد عن المسلمين وهم يتركزون على السواحل .

وعاصمة الكاميرون ياوندي في الداخل حيث يجعلها الإرتفاع أكثر ملائمة للسكني وهي ترتبط بميناء دوالا بخط حديدي . وكانت فرنسا قد عنيت بمد شبكة من الطرق بين ممتلكاتها الإفريقية : تشاد وجابون والكاميرون والكنغو الفرنسية أهمها طريق الكاميرون الشمالي الذي يصل ياوندي بأعالي بنوى وفورت لامي عاصمة تشاد في الشمال .

ثالثاً : البلدان الإسلامية في وسط إفريقية :

(١) النيجر

النيجر دولة صحراوية داخلية ، يبعد عن المحيط بمقدار ٦٥٠ كيلومتراً وقد اقتطعت من الصحراء والساحل الصحراوي إقتطاعاً دون أن يكون هناك ما يفصلها طبيعياً أو بشرياً عن جيرانها . فهي جزء من أقليم الساحل الكبير الذي يحد الصحراء الكبرى من الجنوب ويمتد من السنغال حتي وادي النيل .

وقد نالت النيجر استقلالها عن فرنسا في أغسطس عام ١٩٦٠م .

الإسلام في النيجر :

[أنظر ما سبق عن الإسلام في موريتانيا وغربي إفريقية وفي السنغال ومالي وغينيا ونيجيريا] .

تحالفت قبائل الملثمين إثر انتشار الأسلام بينهم بزعامة لمتونه ، وهكذا كان لإسلام تلك القبائل آثار متعددة في تاريخها وتاريخ بلاد المغرب وتاريخ بلاد السودان . واتجه الملثمون إلى الجهاد لنشر الإسلام بين القبائل الزنجية الضاربة إلى الجنوب منتهزين فرصة اضمحلال مملكة غانة الزنجية ، حتي أصبحوا على مسيرة أيام من منحني النيجر وكان لذلك أثره في انطلاق الإسلام إلى غربي أفريقية[١] . وقد وصل الإسلام إلى النيجر مع المرابطين والموحدين الذين انطلقوا من بلاد المغرب وعبروا الصحراء الكبرى صوب الجنوب في القرنين الخامس والسادس (١١–١٢م) ودخل الإسلام النيجر من الغرب عن طريق صنغاي ومن الشرق عن طريق كانم وبرنو[٢] . وقد كانت النيجر جزءاً من أمبراطورية صنغاي ثم الإمبراطورية المغربية السودانية التي

(١) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة ، ص ٥١–٥٢ .

(٢) عبد الرحمن زكي : المسلمون في العالم اليوم ، ٢ : إفريقية الإسلامية ، ص ٧٧ .

كانت قاعدتها تمبكتو، كما كانت جزء من إمارات الهوسا وإمبراطورية برنو في الشرق. وكانت النيجر بموقعها عند حافة الصحراء الكبرى الجنوبية تشارك في التجارة العابرة للصحراء، وهكذا قامت عدة مدن على حافة الصحراء الجنوبية كانت بمثابة موانىء جنوبية تحف بساحل الصحراء الجنوبي. ومنها مدينة زندر قاعدة انطلاق القوافل عبر آير وفزان إلى ساحل الصحراء الشمالي في بلاد المغرب، وأجادير (أغادير) التي تأسست في القرن الخامس (الحادي عشر الميلادي) وصارت عاصمة لامبراطورية الطوارق في القرن الثالث عشر (التاسع عشر الميلادي) وقد ارتادها الرحالة الأوروبيون منذ بدء ذلك القرن وأشهرهم مانجو بارك (١٨٠٥م) وبارت (١٨٥٠م). وكانت رحلات هؤلاء مقدمة الغزو الاستعماري الأوروبي. واصطرع على أرض النيجر البريطانيون والفرنسيون إلى أن احتلها الأخيرون قبيل الحرب العالمية الأولى وظلت النيجر خاضعة لهم حتى نالت استقلالها.

الملامح الطبيعية :

يمتاز سطح البلاد بالرتابة الصحراوية، فهي جزء من قارة جندوانا القديمة، تغطيها الطبقات الرملية والجيرية والأحواض الرملية، وهضاب اللاترين القديمة التي مزقتها عوامل التعرية، ومتوسط ارتفاعها بين ٢٠٠ و٥٠٠ متراً. وترتفع هضبة جادو في الشمال وكتلة آير في الوسط التي تعلوها قمم يصل ارتفاعها إلى ١٨٠٠ متر. وهاتان الهضبتان هما امتداد الهضبة تيبستي الصحراوية. ويدخل النيجر، الذي ينبع من جنوب شرق مالي، أرض النيجر مسافة ٣٠٠ كيلومتراً صانعاً وادياً عريضاً، يرفده عدد من الأودية الجافة التي تمتلىء بالماء في موسم المطر. كما أن حدود النيجر الجنوبية الشرقية ترتكز على سواحل بحيرة تشاد الشمالية والغربية.

وتمتد النيجر بين دائرتي العرض ١٢° و٢٧´٢٣° شمالاً. ومن ثم فهي تقع كلها داخل الإقليم المداري. إلا أنها تشتمل على ثلاثة نطاقات مناخية، هي النطاق السوداني أو حشائش السافانا في الجنوب، والإقليم الساحلي (ساحل الصحراء الكبرى الجنوبي) وهو إقليم انتقالي بين الصحراء والسافانا ويمتد بين دائرتي العرض ١٤° و١٦° شمالاً، ثم الإقليم الصحراوي. ولا

يستقبل ما يكفي الزراعة من المطر في البلاد سوى الإقليم الأول المتاخم لداهومي ونيجيريا، وهو إقليم صغير المساحة (١٢٠,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً فقط) وما أن يقل المطر عن ٣٠٠ ملليمتر، في اتجاه الشمال، حتى يندر العشب ويحل الجفاف وتنعدم الحياة تماماً، ويظهر ذلك في أكثر من نصف مساحة الدولة. ولا تجري في البلاد أنهار دائمة سوىٰ نهر النيجر.

الاقتصاد :

يعيش ٩٥٪ من سكان النيجر على الزراعة والرعي. والزراع يكونون ٧٧٪ من السكان وباقيهم بدو رعاة أو أنصاف رعاة. وتزرع محاصيل «القوت» من الذرة الرفيعة والبقول والبطاطا والمانيوق. كما أن واحات الصحراء تنتج التمر. وتجد النيجر في حاصلاتها الزراعية ما يكفيها من غذاء.

ولا تمثل المحاصيل النقدية سوىٰ ١٢٪ فقط من الإنتاج الزراعي. غير أن هذه المحاصيل بدأت في الزيادة في السنوات الأخيرة، وأهمها: الفول السوداني الذي تنتج منه النيجر حوالي ٢٠٠,٠٠٠ طن في السنة وهو يزرع في وادي النيجر. كما يزرع القطن الذي تعرفه البلاد من زمان طويل ولكنها لم تكن تصدر منه شيئاً. وتحاول تحسين أنواع القطن لتسويقه في الخارج.

وتربىٰ الماشية في إقليم الساحل. وتقدر ثروة البلاد الحيوانية بنحو ٤,٤٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية و٥,٦٠٠,٠٠٠ رأس من الماعز، و٢,٨٠٠,٠٠٠ رأس من الغنم و٣٦٠,٠٠٠ رأس من الإبل و١٥٠,٠٠٠ رأس من الخيل و٣٢٠,٠٠٠ رأس من الحمير. وتتفوق النيجر في تربية الخيول، ولا سيما خيول الركوب. وهي تعمل على تنمية ثروتها الحيوانية والإفادة منها في تصدير اللحوم والجلود.

كذلك تعمل النيجر على تنمية ثروتها المعدنية في هضبة آير حيث ركائز الكاسيتريت التي تحتوي على ٧٠٪ من القصدير. كما أن بها ركائز الولفرام التي تحتوي على ٦٥٪ من التنجستن. وقد بدىء في استغلال هذين المعدنين منذ عام ١٩٤٩م. ويبلغ جملة الإنتاج ١٠٦ طناً.

ويوجد بالهضبة أيضاً خام الحديد الذي يقدر احتياطيه بنحو ٢٠٠ مليون طن ، نصفها يحتوي على خام الحديد بنسبة ٥٠٪.

لكن أهم معادن النيجر هو اليورانيوم ، الذي كشف منذ عام ١٩٦٠م في هضبة آير وعثر على أكبر منجم لهذا المعدن في عام ١٩٦٦م ويقدر احتياطيه بنحو ٢٠,٠٠٠ طن. ويوجد هذا المعدن الثمين في وسط الصحراء ، حيث أقيمت مدينة أركيف وزودت بالماء من أعماق بعيدة في الأرض. وتستخرج اليورانيوم شركة مختلطة تشترك فيها الحكومة بمقدار ١٦,٧٥٪ في الأرباح.

ورغم تنوع الإنتاج فلا يزال الفول السوداني على رأس قائمة الصادرات.

السكان والمدن :

سكان النيجر كلهم مسلمون ، وأهم عناصرهم قبائل الهوسا وصنغاي جرما. ويكون الهوسا نحو نصف السكان ويعيشون في الجنوب الشرقي والوسط ، وهم خليط من البربر والفلاني الذين يعتبرون من أكبر الشعوب السودانية والهوسا على اتصال وثيق بسائر قبائلهم من سكان نيجيريا. أما الصنغاي جرما فهم مجموعة كبيرة ، ويوجدون في مالي وشمالي داهومي ويكونون ربع سكان النيجر ، ويتركزون في الغرب في وادي النيجر. وقد كان نهر النيجر محور أمبراطورية الصنغاي التي وصلت إلى أوجها خلال القرنين التاسع والعاشر (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين).

وفي الشمال تسكن الشعوب غير الزنجانية ، ولا سيما قبائل الطوارق والتوبو والبيل. وقد وصل الطوارق وبربر زناته من الشمال إلى هضبة آير ونهر النيجر حوالي القرن الأول (السابع الميلادي). أما التوبو فيعيشون في السهول التي تقع بين تيبستي وتشاد. ويتركز البيل في الإقليم الجنوبي ، سواء أكانوا رعاة أو فلاحين.

وتبلغ مساحة النيجر ١,٢٦٧,٠٠٠ كيلومتر مربع ، يسكنها ٤,١٣٠,٠٠٠ نسمة (حسب تقدير ١٩٧١م). فكثافة السكان ٣,٢٦ نسمة في الكيلومتر المربع. وهكذا تكون النيجر من أقل دول غرب أفريقية سكاناً. ولا يسكن المدن سوى ٥٪ من السكان. وهي تتركز في الجزء الجنوبي من البلاد. فعلى الشاطىء الأيسر لنهر النيجر تقع نيامي العاصمة (١٠٠,٠٠٠ نسمة) ، ومرادى (٣٠,٠٠٠ نسمة) وتاهوا (٢٥,٠٠٠ نسمة) وأجاديز وتيبرى وجور وأنجويمي (كل منها : ١٠,٠٠٠ نسمة).

(٢) تشاد

رسمت حدودها انجلترا وفرنسا عام ١٨٩٨م وجاءت دولة داخلية حبيسة في القارة الإفريقية بين الصحراء الكبرى وغرب إفريقية. تحدها شمالاً ليبيا وشرقاً السودان وغرباً النيجر ونيجيريا والكاميرون ومن الجنوب إفريقية الوسطى. تبعد عن البحر مسافة ١٥٠٠ كيلومتراً وتبلغ مساحتها ١,٢٨٤,٠٠٠ كيلومتر مربع. وتنحصر فيما بين دائرتي العرض الثامنة والرابعة والعشرين. وقد أعلن استقلال تشاد عن فرنسا في ١١ أغسطس ١٩٦٠م.

الإسلام في تشاد:

[أنظر ما سبق عن الإسلام في موريتانيا وغربي إفريقية والسنغال ومالي ونيجيريا والنيجر].

دخل الإسلام إلى تشاد كما دخل إقليم السودان الكبير مجتازاً الصحراء، بعد أن حملت قبائل العرب والمغاربة الإسلام إلى تلك الجهات. وكانت كانم من المدن الإسلامية الكبرى جنوبي الصحراء، وتقع إلى الشمال الشرقي من بحيرة تشاد، وقد وصلها نشاط مصر التجاري والسياسي. وبدت بوادر الإسلام في كانم منذ القرن الثالث (٩م) وتزايد في القرن الخامس (١١م)، وقد بسط حكام كانم سلطانهم على قبائل السودان الشرقي حتى حدود مصر وبلاد النوبة. وعن طريق فتوح الكانميين بلغ الإسلام واداى وبرنو، ثم أخذ في الانتشار بين القبائل الوثنية في الغرب والجنوب. ويبدو أن أول ملوك كانم المسلمين قد حكم قرب نهاية القرن الخامس أو في خلال النصف الأول من القرن السادس (نهاية القرن ١١ أو خلال النصف الأول من القرن ١٢م) وكانت حاضرتها نغمى. وذكر أبو عبيد الله البكري الجغرافي الأندلسي الذي عاش في القرن الخامس أن تلك المملكة في عصره كانت تمتد حتى نهر النيجر غرباً وأنها كانت تضم جزءاً من بلاد الهوسا. وقد استعان أهل كانم بملوك تونس من بني حفص واستطاعوا أن يفتحوا الصحراء من حولهم في نهاية القرن السادس، وزارت سفارة كانمية

تونس في عام ٦٣٤هـ (١٢٣٧م). وتزايدت قوة كانم خلال القرن التالي، لكن أخذ الوهن يدبّ فيها قبل نهاية القرن الثامن إثر غارة قبائل البلالا، لكن الكانميين ما لبثوا أن استطاعوا الاندماج في الغزاة واستعادوا قوتهم، وبلغ نفوذها بلاد الهوسا غرباً. ونقل ملك كانم عمر بن إدريس قاعدته إلى غربي بحيرة تشاد وأقام في بلاد برنو، وعرفت مملكة كانم بهذا الإسم منذ ذلك الحين. وكان الكانمية على مذهب مالك وصارت بلدهم من مراكز الثقافة الإسلامية. وروى القلقشندي عن ابن سليم الأسواني أن جندهم ملثمون، وأنهم لا يرون ملكهم إلا يوم العيد ولا يكلمه أحداً إلا من وراء حجاب[1].

وقد رحل بعض الكانمية إلى مصر حيث اشتغلوا بتصريف الحاصلات السودانية وتجارة البهار الوارد من اليمن والهند والصين، واتخذوا مدينة قوص مركزاً لهم فأصبحت سوقاً لمنتجات إفريقية الوسطى والمغرب واليمن والهند وألف أولئك التجار لأنفسهم نقابة هيمنت على تجارتهم وكان لهم رئيس يتعامل معه الحكام. وبلغ من ثرائهم أنهم كانوا يقرضون سلاطين مصر والبلاد المجاورة أحياناً. وقد رحل الكانميون إلى مصر لطلب العلم وأنشأوا في الفسطاط مدرسة للمالكية، كما اتصلوا بالمراكز الإسلامية الإفريقية في كانو وتمبكتو وجني وجاو إلى جانب اتصالهم بتونس. وأنشأوا المساجد وأوقفوا الأوقاف على طلبة العلم وأنواع البرّ، وأجلّوا الفقهاء وأغدقوا عليهم كما عملوا على نشر الإسلام والجهاد في سبيله، ورفعوا لواء الإسلام في منطقة بحيرة تشاد كلها، كما أسهموا في نشر الإسلام في بلاد الهوسا[2]. وكانت مدارس الثقافة الإسلامية في غرب إفريقية ذات طابع مغربي مثل مدارس فاس أو أودغشت أو مراكش أو القيروان، تستعمل نفس الأمثلة وسائر وسائل التعليم من مناهج وكتب حتى القلم المغربي. لكنها كانت ثقافة إسلامية مغربية في أرض سودانية، كما تأثرت بمدارس مصر المملوكية. وكانت مدينة تنبكت (تمبكتو) مركزاً للثقافة الإسلامية يداني القيروان وفاس وقرطبة والقاهرة، ورحل بعض علمائها إلى كانو وكاتسينا إذا امتد ازدهار الثقافة الإسلامية إلى شمالي نيجيريا، وتضاعفت الأهمية الثقافية

(١) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة ص ٨٥–٨٦، عبد الرحمن زكي: المسلمون في العالم اليوم، ٢: إفريقية الإسلامية، ص ١٣٤–١٣٥.

(٢) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقية– ج١ ص ٢٦٠–٢٦١.

للمدينتين بعد الأحداث التي أصابت تنبكت منذ القرن العاشر (١٦م) فصاعداً. ونفذت الثقافة الإسلامية إلى منطقة بحيرة تشاد وتوطدت في بلاد كانم وبرنو[١].

ومن أبرز ممالك تشاد الإسلامية التي شهدتها في وسطها وشمالها منذ القرن الثامن (١٤م): مملكة باجرمي في القرن العاشر (١٦م) وكانت تقع إلى الجنوب الشرقي من بحيرة تشاد ويرويها نهر شاري. وقد أنشئت المملكة حوالي عام ٩١٩هـ (١٥١٣م) وحكمها سلطان مسلم هو عبدالله بن مالو (١٥٦١-١٦٠٢م) وهو الذي أدخل الإسلام إلى البلاد وتتابعت حروب خلفائه خلال القرن الثاني عشر (١٨م) على الدويلات الزنجية المجاورة، ومع ملوك واداي وبرنو. وقد دخل ملوك باجرمي تحت نفوذ مملكة واداي أخيراً وإن حاولوا مراراً التملّص والتمرّد، وانتهى الأمر بآخرهم إلى قبول حماية الفرنسيين عام ١٨٩٧م بعد استيلائه على ماسينا عاصمة الباجرميين. وسكان واداي قبائل من أصل عربي يعيشون إلى جانب قبائل عديدة من الزنوج. وقد دخل الإسلام واداي حوالي عام ١٦١٥م واستطاع مسلم أن يصل إلى الحكم فيها مستعيناً بجيش من الأعراب والزنوج المسلمين وشيّد عاصمة لمملكته في وادای في مدينتي وارا ثم أبشة وحكم عشرين عاماً كان يدفع خلالها الجزية إلى ملوك دارفور. وأخذ الإسلام ينتشر في تلك المملكة، وقامت الحروب بينها وبين مملكة الباجرمي، وبينها وبين مملكة دارفور خلال القرن الثالث عشر (١٩م). وقد شهد ذلك القرن حرب مملكة وادای لمملكة برنو، ونقل العاصمة من وارا إلى أبشة، واستفاد الاستعمار الفرنسي من تمرد داخلي في جيش وادای فاحتل الفرنسيون إبشة عام ١٩٠٩م[٢]. وهكذا أودى التغلغل الاستعماري بتلك الممالك الإسلامية التي أخضعت الدويلات الزنجية في جنوبي تشاد ونشرت الإسلام في المنطقة وحرصت على نشاط التجارة بينها وبين نظائرها عبر الصحراء في مصر وبلاد المغرب وقد ذهبت تجارة الصحراء مع تلك الممالك. ووقعت تشاد في حوزة فرنسا منذ مطلع هذا القرن وبقيت على ذلك حتى الإستقلال.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦١-٢٧٥.

(٢) عبد الرحمن زكي: المسلمون في العالم اليوم، ٢: إفريقية الإسلامية، ص ١٢٤-١٢٧.

الملامح الطبيعية:

تتكون البلاد من حوض إرسابي ضخم، ترتفع حوافه الجنوبية والشمالية والشرقية. ويبلغ أقصى هبوطه في الغرب، حيث تقبع بحيرة تشاد. وتغطي الأرض كثبان رملية تثبت في كانم غرباً، وتتحرك في الشمال عند يورتو. ويحيط بالحوض كما ذكرنا مرتفعات: الشرقية منها هضاب بلتين وعنيدي، والشمالية منها هضبة تيبستي، والجنوبية منها هضبة أوبانجي واداماوا. وهذه المرتفعات من الصخور البللورية القديمة.

وتتمثل في تشاد كل تنوعات المناخ المداري من المناخ الإستوائي الذي يكون فصل المطر فيه طويلاً، إلى المناخ السوداني ذى الفصل الممطر القصير، حتى نجد أخيراً الصحراء الجافة. فإقليم سارتا في الجنوب يستقبل ما بين ٩٠٠ و١٢٠٠ ملليمتر من المطر موزعة على سبعة شهور في السنة (من مايو إلى نوفمبر) وإقليم الساحل الصحراوي في الوسط ويسقط عليه ما بين ٥٠٠ و٩٠٠ ملليمتر من المطر في السنة، ويكتنف بحيرة تشاد إقليم شبه صحراوي، إذ لا يسقط عليه سوى قدر يتراوح بين ٥٠٠ و٢٠٠ ملليمتر من المطر سنوياً. ثم نصل أخيراً إلى الصحراء.

وتتنوع الحياة النباتية بتنوع المناخ، فتنتقل من الغابات المفتوحة إلى الساڤانا التي تتخللها الأشجار في الجنوب، حتى تصل إلى الساڤانا الفقيرة فالصحراء في الشمال. ومن ثم فإن الحياة الزراعية تتركز في الجنوب، وفي الأودية التي تمتلىء بالماء في فصل المطر. أكا في المناطق الأكثر جفافاً فيحل الرعي محل الزراعة.

الاقتصاد:

لا تصلح سوىٰ ٢٠٪ من مساحة أراضي تشاد للزراعة. أما باقيها فيستخدم لدرجات متفاوتة من الرعي. ومع هذا فنحو ٦٠٪ من السكان زراع. وتزرع الذرة في أراضي الساڤانا الرملية التي تتلقى كمية من المطر تزيد على ٧٥٠ ملليمتر في السنة. أما القطن فيزرع في أودية الأنهار الطمية. وهناك عدة مشاريع للتوسع في زراعة الأرز، وإدخال زراعة القمح وتنمية إنتاج تمور الواحات. فالبلاد تكفي حاجاتها من المواد الغذائية.

والفول السوداني محصول نقدي تشجعه الدولة. كما أن القطن التشادي جيد، وقد كان حتي وقت قريب هو المحصول النقدي الوحيد في البلاد، ويخضع إنتاج القطن منذ عام ١٩٢٥م لاتفاقية تربط الفلاح بالحكومة وبالشركات المختصة بإنتاجه وتسويقه. وفي عام ١٩٧١م تولت شركة واحدة (فرنسية تشادية) هذا الأمر على صورة تقارب ما كان عليه مشروع الجزيرة في السودان وهي تحتكر زراعة القطن وتسويقه لمدة عشر سنوات. وتبلغ مساحة الأرض المزروعة قطناً حالياً ٣٠٠,٠٠٠ هكتار في حوضي لاجون وشارى وتمتد حقول القطن حتي سلامات وبجرمي وداداى ويعمل فيها ٥٠٠,٠٠٠ فلاح ويتعلمون الأساليب الحديثة.

وتمثل الماشية والأغنام والإبل المصدر الثاني لثروة تشاد. التي تعتبر أكبر دولة رعوية في أفريقية الاستوائية. وتغطي المراعي ثلاثة أرباع مساحتها وأهم المناطق الرعوية تقع في شاري وبجرمي وكانم وياثا وواواي، إذ يتركز بها ٨٤٪ من الماشية، و٧٥٪ من الأغنام والماعز. وتقدر رؤوس الماشية في البلاد بنحو ٤,٥٠٠,٠٠٠ رأس وأهمها الزيبو العربية (٣,٥٠٠,٠٠٠ رأس) وهي ماشية صغيرة الحجم طيبة اللحم، والزيبو البورور وتمتاز بألبانها الوافرة. كذلك ترعىٰ بالبلاد ٣٥٠,٠٠٠ رأس من الإبل. وتغذي تشاد جيرانها جميعاً باللحوم التي تبيعها حية في معظم الأحيان. وتجارة الماشية تمتد من نيجيريا وجمهورية أفريقية الوسطى حتي الكونغو وزائير.

السكان والمدن:

قدر عدد سكان تشاد في عام ١٩٧١م بنحو ٣,٨٠٠,٠٠٠ نسمة، أي بكثافة قدرها ٣ أشخاص في الكيلومتر المربع الواحد. وتتلاقي في تشاد – مثلما تتلاقىٰ في الإقليم السوداني كله، العناصر العربية والمغربية من الشمال، مع العناصر الزنجانية من الجنوب. وهكذا حدث التزاوج والإختلاط بين هذه العناصر، وأعان على ذلك دخولها جميعاً في الإسلام. ولم يبق على الوثنية إلا بعض القبائل الزنجية القليلة مثل السارا في وادي نهري شارى ولاجون، وهم زراع تقليديون، والهاكا والماسا في وادي لاجون أيضاً، وفي مايو وكبي وبونجور. ومنهم أيضاً المونداني، والكوتوكو والزغاو والثاما. وجميع أولئك زراع وصيادو أسماك.

وأكبر عناصر تشاد هم العرب، الذين يكونون وحدهم ٢٠٪ من السكان، ويعملون بصفة أساسية في الرعي. وهم يتركزون في الشمال في أقاليم واواي وباثا، وبجرمي وكانم وسلامات. أما البيل المغاربة فهم بدو رعاة يتناثرون في أقاليم عديدة. ومن أشهرهم قبائل البوروررو الذين يرعون الأغنام والماشية. أما الهوسا فهم تجار أو فلاحون، والواداي والبجرمي كلاهما يشتغل بالزراعة بصفة أساسية. بينما يعمل الكانمبو أهل إقليم كانم في الزراعة والتجارة ويسكن التوبو أقاليم تيبستي وبورقو وعنيدي.

والمسلمون يتحدثون العربية، أما القبائل الزنجانية الأخرى فتتحدث عديداً من اللهجات.

ومعظم السكان ريفيون وبدو. ولا يسكن المدن سوى ٥٪ من السكان. وفي مقدمة مدن تشاد اندجامينا (فورت لامي) العاصمة (١٥٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٧١م) وسارت (٣٦,٠٠٠ نسمة) ومونڈو (٣٠,٠٠٠ نسمة) وأبشر (٢٥,٠٠٠ نسمة). إلى جانب بضع مدن أخرى يبلغ عدد سكان كل منها ١٠,٠٠٠ نسمة.

(٣) امبراطورية افريقية الوسطى

وحدة سياسية أعلن استقلالها في ٣١ ديسمبر عام ١٩٦٥م، وتقع في قلب إفريقية في منتصف المسافة تقريباً بين رأس الرجاء الصالح والبحر المتوسط، وبين المحيط الأطلسي وخليج عدن وتبعد عن أقرب ساحل بأكثر من ١٠٠٠ كيلومتر. وكانت جمهورية ثم أعلنها رئيسها امبراطورية مؤخراً وتبلغ مساحتها ٦٢٢,٩٨٤ كيلومتراً مربعاً ويحدها من الشمال تشاد، ومن الشرق السودان ومن الجنوب زائير والكونغو ومن الغرب الكاميرون.

الإسلام في أفريقيا الوسطى :

[أنظر ما سبق من الإسلام في بلدان غربي أفريقية وبخاصة تشاد].

كانت أفريقية الوسطى بحكم موقعها بين تشاد والنيل تتبع الممالك الإسلامية في السودان الغربي : كانم وبرنو، ثم واداي والبجرمي ودارفور وقد تنازعت تلك البلاد – كما تنازعت مملكة برنو – الجيوش المصرية والجيوش السودانية المهدية في أوائل القرن ١٤ هـ (أواخر القرن ١٩م) وما كادت الجيوش المصرية تعاود دخول تلك الجهات حتي واجهت الزحف الاستعماري الفرنسي الذي تغلب في النهاية عام ١٩٠٠م ومنذ ذلك الوقت دخلت إفريقية الوسطى نطاق السودان الفرنسي، وقد توالت مقاومة أهل البلاد للإستعمار وقويت حركات التحرر منذ عام ١٩٤٥م حتي إعلان الإستقلال.

الملامح الطبيعية :

تتكون البلاد من هضبة يبلغ متوسط ارتفاعها ٦٠٠ متر. وتمتد بين حوضي الكونغو وتشاد، وتعتبر مقسم المياه بينهما. وهذه الهضبة بقايا لهضبة قديمة سوّتها عوامل التحات والتعرية، ويتموج المنظر العام للبلاد إذ تصل أودية عريضة بين تلال قليلة الإرتفاع.

وتقع هذه البلاد بين دائرتي العرض ٨° و١١° شمالاً. ولذلك يسودها المناخ المداري، ذى الفصلين المطير والجاف. ويمتد الفصل المطير بين مايو أو يونية إلى أكتوبر أو نوفمبر، بينما يمتد فصل الجفاف من نوفمبر إلى مايو، وفيه تتعرض البلاد لرياح الهارمتان الجافة.

وتغطي معظم البلاد غابات مدارية وحشائش الساڤانا الغنية، كما تحف غابات الأروقة بجميع المجاري النهرية بها.

الاقتصاد :

تعتمد البلاد في مواصلاتها الخارجية على أودية الأنهار. فنهرا أوبانجي وشانجا رافدا نهر الكونغو يصلانها بالبحر وبمدينة برازافيل. والعاصمة بانجي نفسها هي ميناء نهري.

واقتصاد البلاد زراعي بسيط، يوفر الغذاء للسكان. ولا يفضل من الإنتاج الزراعي للتصدير إلا ١٠٪ منه، وتشمل الصادرات الزراعية على القطن والبن والكاكاو. غير أن البلاد غنية بثروتها الخشبية، وهي تعمل على تنمية ثروتها الحيوانية.

وأهم صادراتها المعدنية الماس. وتوجد أهم مناجمه في الشمال الشرقي بالقرب من بريا وفي الجنوب الغربي بالقري من بربراتي.

السكان والمدن :

كانت أفريقية الوسطى – بحكم موقعها – ملتقي طرق الهجرات التي كانت تقطع القارة شرقاً وغرباً أو شمالاً وجنوباً. ولا يزال يعيش في غاباتها بعض قبائل الأقزام القديمة. ولغة الأوبانجي القدماء هي السائدة في التجارة حتي الآن.

وينتمي معظم السكان إلى شعب البانتو، وقد كانت أفريقية الوسطى ملتجأ كثير من القبائل الزنجية في أعالي النيل وتشاد. وأهم قبائل البانتو في البلاد الباندا الذين يكونون ثلث السكان، واليايا في الغرب، والمانجا في الوسط الشمالي واللندا في الشرق والزاندي في الجنوب الشرقي. أما

القبائل السودانية والمستعربة فتعيش في الشمال الشرقي. كما تعيش القبائل المغربية مثل البيل البورورو في المرتفعات الغربية. وكل هذه القبائل تدين بالإسلام. ومن العسير تقدير عدد المسلمين في البلاد، وإن كان المسيحيون أقلية واضحة.

وعاصمة البلاد بانجي، وهي ميناء على نهر الأوبانجي الذي يصل البلاد بالبحر.

رابعاً: البلاد الإسلامية في شرقي أفريقية:

(١) اثيوبيا «الحبشة» وإرتريا

تشمل أثيوبيا بوضعها السياسي الحالي أثيوبيا القديمة وأرتيريا المستعمرة الإيطالية السابقة التي ضمتها إلى أرضها. وكانت أرتيريا قد وضعت تحت الوصاية عقب الحربي العالمية الأخيرة ثم ضمت إلى أثيوبيا لتشكلا دولة اتحادية في عام ١٩٥٢م غير أن هيلاسيلاسي أمبراطور أثيوبيا السابق ضم ارتيريا نهائياً بقرار منه في عام ١٩٦٢م. وتشتعل الآن نيران ثورة تحريرية في اريترا للإنفصال عن أثيوبيا ويحاول النظام الشيوعي الذي قام في أثيوبيا إخماد الثورة الاريترية بكل عنف ووحشية مستعيناً بحلفائه.

وتشغل أثيوبيا الآن مساحة ١,٢٢١,٩٠٠ كيلومتر مربع، وهي تشترك مع السودان في حدود طويلة، كما تحدها كينيا من الجنوب والصومال من الشرق والجنوب الشرقي وأرض العفار والعيسي أو جيبوتي من الشرق. أما الساحل الاريتري فيمتد من حدود السودان حتي جيبوتي وهو جبهة طويلة تطل على البحر الأحمر، وتشترك مع اليمن في السيطرة على باب المندب المدخل الجنوبي لهذا البحر.

الإسلام في الحبشة:

[أنظر ما سبق عن الإسلام في الصومال].

تأثرت الحبشة في تاريخها الطويل بموقعها الجغرافي في مقابل اليمن وعند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، كما أكسبها سطحها المتضرس الوعر صفة خاصة. ولقد ارتبطت الحبشة واليمن في تاريخها ارتباطاً كبيراً، وكانت اليمن مصدر هجرات إلى الحبشة، وصار للحبشة لسانها السامي

الحالي. وتشير الأساطير الأمهرية إلى أن أمهرة (أمحرا كما يكتبها العرب) أقوى شعوب الحبشة هو من نسل سليمان عليه السلام وملكة سبأ. ولا تزال الحبشة واريريا وشرقي السودان مراكز جذب لهجرات اليمنيين.

ومن أقدم الممالك الحبشية مملكة «أكسوم» في القرن الأول للميلاد. وتسجل أقدم لوحة مكتوبة في الحبشة أسم (عيزانا) ويرجح أنه الأسم العربي «أذينة» وقد اتخذ صاحبه لقب نجاشي أي ملك الملوك واعتنق المسيحية على مذهب كنيسة اليعاقبة في مصر. وقد استولت الحبشة على بلاد اليمن قبيل مولد الرسول ﷺ، وفكر أبرهة القائد الحبشي في بناء كنيسة بصنعاء يصرف حجاج العرب عن الكعبة إليها ويحول تجارة قريش إلى صنعاء. وكتب إلى قيصر الروم يسأله العون على بناء تلك الكنيسة فأمده بالصناع وما يحتاجون إليه من فسيفساء ورخام. ولما سار أبرهة بجيشه لغزو مكة جعل الله كيدهم في تضليل «وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول–سورة الفيل». وبالعام الذي شهد ذلك الحدث التاريخي البارز أرّخ العرب. ويذكر أن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام قد ولد في عام الفيل وهو سنة ٥٧١م.

وبعد بعثة رسول الإسلام ﷺ واشتداد أذى قومه له إثر جهره بدعوته نصح الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين بالخروج إلى أرض الحبشة «فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتي يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه». وقد هاجر إلى الحبشة عشرة رجال وأربع نسوة، ثم زاد عددهم حتي بلغ ثلاثة وثمانين رجلاً وسبع عشرة امرأة سوى الصبيان. وأجمعت روايات المؤرخين المسلمين على أن النجاشي أكرم وفادة أولئك المهاجرين، وخيب مسعى كفار قريش لاسترادادهم حين أوفدوا أليه بعثة بالهدايا وتحدث إليه لسان القوم عمرو بن العاص في رد المسلمين ولم يكن قد أسلم بعد. وقد استقر بعض مهاجري المسلمين في الحبشة وعاد بعضهم إلى مكة قبل هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب عام ٦٢٢م[1] كما رجع بعضهم

(١) سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفي السقا والإبياري وشلبي، القسم الأول ص ٣٢١–٣٣٨، ٣٦٤–٣٦٩.

والرسول ﷺ يقسم مغانم خيبر في السنة السابعة للهجرة. روى عن ابن عباس قوله «قسمت خيبر على ألف وخمسمائة وثمانين سهماً، وكانوا ألفاً وخمسمائة وثمانين رجلاً، الذين شهدوا الحديبية منهم ألف وخمسمائة وأربعون والذين كانوا مع جعفر بن أبي طالب بأرض الحبشة أربعون رجلاً[1]». وفي السنة السادسة للهجرة (٦٢٨م) أرسل الرسول ﷺ كتباً للملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام وكان منها كتاب لنجاشي الحبشة. وقد روي حديث عن إسلامه كما وردت روايات عن فتنة داخلية واجهها النجاشي في قومه أثر إسلامه[2].

وقد سلك الإسلام إلى الحبشة **طريقين**: ، طريقاً من مصر تخترق البحر الأحمر في السفن أو تحاذي ساحله في البر مخترقة ديار البجة متجهة إلى ساحل إرتريا، ثم طريقاً من شبه جزيرة العرب مهد الإسلام بحراً عبر مضيق عدن. **فأما بالنسبة للطريق من مصر** فإن الفتح الإسلامي لمصر لم يقطع صلاتها التجارية القديمة بحراً أو براً مع الحبشة عبر الساحل الشرقي الأفريقي ولم يقطع الصلات الدينية بين كنيستي اليعاقبة في الحبشة ومصر. وقد قام البجة الذين امتدت ديارهم من شمالي الحبشة حتي حدود مصر بدور الوساطة في المبادلات التجارية بين مصر الإسلامية والحبشة وكانوا قد اتصلوا بالعرب في مصر منذ بواكير الفتح وقد عقد معهم عبدالله بن الحبحاب الذي كان على خراج مصر – منذ ولي هشام الخلافة عام ١٠٥هـ حتي خرج عبيدالله إلى ولاية أفريقية عام ١١٤هـ أو عام ١١٦هـ–صلحا يقر نشاطهم التجاري ويتيح لهم أن «ينزلوا الريف مجتازين تجاراً غير مقيمين على ألا يقتلوا مسلماً ولا ذمياً»[3]. كما اهتم المسلمون العرب بأرض البجة بحثاً عن المعادن أو اشتغالاً بالتجارة بين مصر وشرقي إفريقية. فكان فريق من ربيعة وجهينة يختلفون إلى ديار البجة للتجارة ويعودون، ثم خرجت جماعات من بلي وقيس عيلان وأقامت في ديار البجة واختلطت بأهلها وأصهرت إليهم. وبدأ الإسلام ينتشر بين البجة، وتشير رواية لابن حوقل أن أفراداً من البجة شرعوا يدخلون في دين الله منذ

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٢، أنظر أيضاً يحى من آدم القرشي كتاب الخراج بتحقيق أحمد محمد شاكر – ط٢، القاهرة– ١٣٨٤هـ ص٣–٤٠، النصان رقم ١٠٠، ١٠٢.

(٣) أنظر مثلاً سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفي السقا الإنباري وشلبي، القسم الأول ص ٣٣٨–٣٤١.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، ص ٢٥٥.

أواخر القرن الأول (٧م). وتزايدت هجرات المسلمين العرب إلى أرض البجة في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي، وأوت جماعات من الأمويين إلى أرض البجة وأقامت فيها. ويبدو أن بعض العرب المسلمين أوغلوا نحو الجنوب، فقد وجدت آثار مسجد في سنكات يرجع إلى عام ٢١٦هـ (٨٣١م)، ووصلت هجرات العرب المسلمين إلى هجر عاصمة مملكة البجاوية. وتزايد تغلغل المسلمين العرب نحو أقصي الجنوب في القرن الثالث الهجري حتي اقترب من حدود الحبشة، كما تزايد إندماج البجة في الإسلام واصطباغهم بالصبغة العربية، فثمة عقد بين أمير البجة وأمير مصر أورده المقريزي في «الخطط» يدل على أن أمير البجة قد اتخذ أسماً عربياً هو كنون بن عبد العزيز، وقد نص العقد على أن تكون بلاد البجة من أسوان إلى دهلك وباضع ملكاً للخليفة على أن يبقي كنون ملكاً على البجة ويؤدي الخراج كل عام «وإذا دخل أحد المسلمين في بلادهم للتجارة مجتازاً أو مقيماً فهو آمن لآخر حدهم»، وكذلك هم آمنون إذا دخلوا مصر. وينص العهد على تأمين المساجد في صنجه (لعلها هي نفسها سنكات) وهجر. وقد أباح العهد لعمال الخليفة العباسي دخول البلاد لقبض صدقات من أسلم من البجة وأكد عقد تال حق المسلمين العرب في الإقامة بأرض ملك البجة واستغلال مناجم الذهب والزمرد بل عين عامل من قبل أمير مصر يكون حفيظاً على المعدن. وقد تحدث المسعودي الذي زار مصر عام ٣٣٢هـ عن اختلاط البجة بربيعة وازدياد صبغتهم العربية وذكر أن جيش الأمير ربيعة أبي مروان بشر بن إسحاق كان جيشه يضم ثلاثة آلاف فارس من ربيعة وأحلافها وثلاثين ألفاً على الإبل من «الحدارب» وهم من مسلمي البجة. **ويبدو أن إمارة الحدارب البجاوية العربية المسلمة قد اتخذت مدينة سواكن قاعدة لها في النصف الأول من القرن السابع** (١٣م) وهكذا أدى الطريق البري من مصر إلى الجنوب دوره في نشر الإسلام الذي وصل في مسالكه الجنوبية المتعددة إلى الحبشة وقد اعترض طريق الإسلام إلى الحبشة «البيل» الذين كانوا قد انتشروا في ساحل اريتريا وشمالي الحبشة واعتنقوا المسيحية.

أما بالنسبة للطريق بين بلاد العرب والحبشة عبر البحر فقد استمر نشاطه بعد انتصار الإسلام وقيام دولته في شبه جزيرة العرب والفتح الإسلامي لمصر. ويروى أن الخليفة عمر بن الخطاب أرسل سرية بحرية عام ٢٠هـ بقيادة علقمة بن مجزز المدلجي لعلها كانت حملة لتأديب

بعض قراصنة البحر إذ أن الحبشة كما روى الطبري «كانت قد تطرّفت طرفاً من أطراف الإسلام في عهد عمر بن الخطاب فبعث إليهم علقمة بن مجزز في البحر في نفر من المسلمين فأصيبوا، فجعل عمر على نفسه ألا يحمل في البحر أحداً -يعني للغزو». وما لبث المسلمون أن نزلوا «أرخبيل دهلك» ليكون قاعدة لهم قرب الشاطىء الأفريقي. واتصلت العلاقات التجارية بين الحبشة من جهة ومصر واليمن من جهة أخرى بعد أن تخلصت الحبشة من بعض متاعبها الداخلية. ويتفق هذا مع ما شهده القرن الثالث من اتفاق بين البجة والمسلمين. وظهرت جماعات أسلامية قوية في دهلك وسواكن وباضع وزيلع وبربرة. وكتّاب القرن الرابع (١٠م) يبرزون ازدهار ملامح الحياة الإسلامية في تلك المدن. وكانت دهلك على صلة باليمن وبالحبشة شأن سائر المدن الإسلامية على الساحل الإفريقي وقد أشار اليعقوبي إلى زيلع وتتعدد الإشارات عن تلك المدن من جانب الإصطخري وابن حوقل والمقدسي. ويذكر ابن سعيد في زمن لاحق أن ملك دهلك حبشي مسلم وقد أراد الإستقلال عن ملك اليمن. وكان اختلاف أبناء البلاد الأصليين من الصوماليين أو الدناقل أو البجة على تلك المدن الإسلامية بالساحل الإفريقي تتيح لهم الإتصال القريب بالمسلمين والتعرف على دينهم كما أخذ التجار المسلمون يترددون على الداخل لأجل التجارة وهم ينشرون معهم عقيدتهم التي يحملونها أينما رحلوا وحيثما تاجروا.

وقد ذكر القلقشندي في «صبح الأعشي» أن الحبشة كانت تنقسم إلى سبعة أقسام يحكم كل منها ملك هي: وفات، أو أوفات وهي أوسع الممالك وأهم مدنها زيلع فرضة على البحر إزاء عدن أهلها مسلمون ويتردد عليها التجار، دوارو التي تلي وفات، ثم تلي المملكة السابقة مملكة أرابيني، وفي جنوبي وفات كانت هديه وعليها أقوى ملوك الحبشة بأساً رغم ضيق بلاده، وتليها مملكة شرحا، ثم تأتي بالي وهي أكثر خصباً وأطيب هواء، وتليها أخيراً داره وهي أفقر الممالك وأقلها خيلاً ورجالاً. ويتوارث الملوك هذه الممالك ولكن لا بد أن ينصبهم أمهره (أو أمحرا) فهم نواب عن السلطان في حكم ممالكهم.

وكان المسلمون يستفيدون مما يحدث من تناقض وتصادم داخل بلاد الحبشة. ويذكر أنه في نهاية القرن السابع (١٣م) استطاع أحد دعاة الإسلام أن يهدي مائتي ألف من المسلمين هاجم

بهم ملك أمهر منتهزاً فرصة انشغال الحبشة بحروب داخلية. وهكذا تمهد السبيل أمام المسلمين العرب لتدعيم مراكزهم على الساحل والضغط على الأحباش نحو الداخل كما يقول توماس أرنولد. على أن إمارات المسلمين التي بلغت سبعاً كانت تشكو هي الأخرى من الضعف والفرقة. وينقل ابن فضل‌الله العمري عن الشيخ أبي عبدالله الزيلعي أحوال تلك الإمارات بين سنتي ٧٤٤هـ و٧٤٩هـ (١٣٤٣-١٣٤٨م) فيقول «وجميع ملوك هذه الممالك وإن توارثوها لا يستقل منهم بملك إلا من إقامه سلطان أمحرا وتقربوا إليه جهد الطاقة فيختار منهم رجلاً يوليه، فإذا ولاه سمع البقية وأطاعوا فهم له كالنواب... ثم هذه الممالك السبعة ضعيفة البناء قليلة الغناء لضعف تركيب أهلها وقلة محصول بلادهم وتسلط الحطى (أي نجاشي الأحباش) عليهم مع ما بينهم من عداوة الدين ومباينة ما بين النصارى والمسلمين وهم على ما هم عليه من الذلة والمسكنة للحطى سلطان امحرا، عليهم قطائع مقررة تحمل إليه في كل سنة من القماش والحرير والكتان». وهكذا كانت أقاليم المسلمين ترغم على دفع الجزية لملك الحبشة رغم اتساعها وامتدادها بين البحر الأحمر وسنار غرباً وفي الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية. وخضع مسلمو مصوع وغيرها لملك الحبشة خضوعاً مباشراً، وعمل بعضهم بين موظفيه.

وشهدت أواخر سني القرن السابع منذ ٦٨٤هـ (القرن ١٣م منذ سنة ١٢٨٥م) تزايد نفوذ إمارة إسلامية في «أوفات» وتزعمها حلفاً ضخماً من الأقاليم الإسلامية، وكان أمراؤها من بني ولشمع ثمرة تزاوج عربي حبشي فيما يبدو. وقد استطاعت مملكة أوفات بسط نفوذها على الإمارات الصغرى المجاورة حتى منطقة زيلع على البحر الأحمر وامتد نفوذها إلى أسهل أوسا ودان لها العفار بالطاعة وتحكمت في رقعة فسيحة من الأرض شملت جزءاً كبيراً من جنوب شرقي الحبشة وساحل البحر الأحمر وأوغلت في بلاد الصومال. وقد أكد ترمنجهام أن مساحة الأراضي التي كانت تحت نفوذ أوفات تفوق مساحة أراضي مملكة الحبشة نفسها. وإن كانت تربطها بالحبشة تبعية أسمية، وما لبث أن وقع الصدام المحتوم بين الفريقين. وكانت الحبشة في عهد الأسرة السليمانية قد دعمت وحدتها وأخذت تتململ من الإمارات الإسلامية التي حفّت بها من الشمال والشرق والجنوب، وضاقت بسيطرة المدن الإسلامية الممتدة على الساحل من سواكن شمالاً حتى موزمبيق جنوباً على تجارة الحبشة الداخلية والخارجية حتى تراجعت مدن

تجارية حبشية مثل أكسوم. كذلك كان الأحباش على اتصال بالغزو الصليبي للشام وقد كان لهم دير في بيت المقدس لم يتعرض له صلاح الدين أثر انتصاراته بسوء. وذكر أن الحبشة قد همت بمؤازرة حملة بطرس لوزيجنان ملك قبرص على الإسكندرية عام ٧٦٧هـ (١٣٦٥م) لولا ارتدادها بعد أعمالها التخريبية إثر تحرك الجيوش المملوكية من العاصمة.

وعند وفاة ملك الحبشة عام ٦٩٨هـ (١٢٩٩م) انتهز بعض المجاهدين المسلمين الفرصة وهاجموا أطراف الحبشة كما توالت هجمات سلاطين أوفات. ودارت الحرب سجالاً لكن تفوق الأحباش آخر الأمر، وأخضعوا الإمارات الإسلامية المتحالفة واحدة بعد الأخرى. وقد استنجد أبناء سلطان أوفات بحاكم بلاد اليمن الملك الناصر بن الأشرف اسماعيل، ثم أرسل أهل أوفات فقيههم أبا عبدالله الزيلعي لطلب تدخل سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون فأمر بطريرك الكنيسة اليعقوبية أو القبطية بمصر أن يكتب رسالة إلى ملك الحبشة يطلب كف أذاه عن المسلمين. وقد هبت إمارتا موره وعدل لنجدة إخوانهم، ولكن لم تتوقف هجمات الأحباش الذين احتلوا زيلع في عام ٨١٧هـ (١٣١٥م) حيث قتلوا آخر سلاطين أوفات سعد الدين الثاني.

وثمة روايات تاريخية عن اتصال الحبشة بملوك أوروبا إثر استيلاء المماليك على قبرص في عام ٨٣٠هـ (١٤٢٧م)، واستجابة ملكا أرغونة وفرنسا وتهديد ملك الحبشة سلطان مصر بمهاجمة بلاد العرب والأماكن المقدسة وتحويل مجرى النيل، وتضمنت المشروعات الصليبية إغلاق البحر الأحمر الذي دأب سلاطين المماليك على مراقبته وعدم السماح للأوروبيين باجتيازه إلا بإذن خاص. ثم جاء هجوم البرتغاليين على مدن شرقي أفريقية منذ عام ١٤٩٩م تحدوه الروح الصليبية فضربوا مقدشو واستولوا على جزيرة سوقطرة في مدخل البحر الأحمر. وقد اتجه ملك الحبشة إلى الإتصال بملك البرتغال للتفاوض في شأن الإطباق على مصر من الشمال والجنوب.

وحملت راية الجهاد الإسلامي بعد أوفات «إمارة عدل» القريبة من حدود الحبشة، وكانت ضمن الأقاليم التي خضعت لنفوذ سلاطين أوفات.. وقد امتدت مملكة عدل بين سنتي

عام ١٥١٧ و١٥٢٠م إلى حافة الهضبة وبلغ نفوذها جنوباً رأس غور دافوي ، وتوالت حروبها مع الأحباش وقد استطاع الأحباش التغلب عليها وإلزام المسلمين بالجزية وانتهى سلاطين عدل المتأخرون إلى إيثار السلام مع الأحباش.

ثم حملت راية الجهاد في سبيل الإسلام ضد مملكة الحبشة «إمارة هرر» حيث ظهر أمراء متحمسون اتخذوا لقب «الإمام». وكان الإسلام قد اتسع انتشاره ودخلت الشعوب البدوية ميدان الجهاد في سبيله بعد أن استوعبها الإسلام في النصف الأول من القرن ١٦م بإسلام الدناقل والصوماليين. وتولى الفقهاء والدعاة توجيه حياة المسلمين. وعقد أئمة هرر العزم على ألا يسالموا الأحباش. وقد امتد حكمهم بين هرر وساحل البحر وكان أبرزهم الغازي المجاهد أحمد بن إبراهيم الملقب بالقرين أو الأشول. وأدى ظهور العثمانيين إلى نفث روح القوة في المسلمين حيثما كانوا ، والتطلع إلى موازنة القوة البرتغالية الصليبية الإستعمارية التي كانت صاعدة. وصار للعثمانيين أسطول قوي في البحر الأحمر وأتاح لهم الإستيلاء على زيلع قاعدة هامة لأسطولهم ونشاطهم التجاري وقد اتجهوا إلى مواجهة الحلف البرتغالي الحبشي ، فآزروا الأمير المجاهد أحمد بن إبراهيم القرين وكانت إمارته قرب الحدود الحبشية وأمدوه بالإسلحة النارية وانضم لجيشه كثيرمن المجاهدين المسلمين من الحبشة والعرب وزحف هذا الجيش على بلاد الحبشة وغزوا شعب الجلا ومدينتي هرر وأكسوم ، واستمرت غزوة أحمد القرين ١٥ عاماً (١٥١٨-١٥٤٣م) وأخذ الذين كان ملك الحبشة قد أجبرهم على التنصر وعلى خدمته يعودون إلى الإسلام ويخلعوا طاعة ملك الحبشة كما يقول «عرب فقيه». ودخل كثير من قبائل الجلا الإسلام وأكثر المسلمين يقيمون في جنوبي الحبشة وتحولت قبائل أخرى إلى الإسلام حوالي عام ١٥٠٠م ، واجتاز الإسلام طريقه بسرعة بين أهالي السهول وانتشر على أيدي التجار واستمر ذلك حتي استطاع ملوك الحبشة النصارى أن يستردوا نفوذهم منذ عام ١٥٨٩م ولم يكن التحالف الحبشي البرتغالي دائماً موفقاً ، فقد أثار التبشير الكاثوليكي والتدخل البرتغالي السياسي والإداري ثائرة الأحباش على البرتغاليين فطردهم النصارى في عام ١٦٣٢م. وانتهزت بعض قبائل الجلا هذه التناقضات فشقوا طريقهم إلى قلب البلاد ، وذكر رحالة عاش في القرن ١٧م أن عدد المسلمين قد ازداد في القرن التالي (١٨م).

ودخل التجار الكارمية أو الكانمية بلاد الحبشة فأسلم على أيديهم كثيرون بعد أن عاشر الكارمية الأحباش وأقاموا بين ظهرانيهم واتجه المظلومون المحرومون من الأحباش إلى عدالة الإسلام. وكان المسلمون في الحبشة ذوي مكانة اجتماعية وثقافية وخلقية ، معروفين بالجد في العمل والأمانة في المعاملة ، ويعرف لهم أولو الأمر أنفسهم ذلك ولو كانوا على غير دينهم. وقد لاحظ ذلك الرحالة ربل Ruppell في زيارته للحبشة لكن تعصب بعض ملوك الحبشة كان يجعلهم يصرون على إقصاء المسلمين عن الوظائف الرئيسية. ومع ذلك لم يتوقف انتشار الإسلام في أراضي الحبشة ، بل إنه تغلغل بين زعمائها وكان أحد «الرؤوس» من نواب الملك في القرن ١٩م واسمه «الرأس علي» مسلماً ، وفي عهده تحول نصف أهالي الولايات الوسطى من البلاد إلى الإسلام. واهتمت الحركة المهدية بالدعوة الإسلامية في الحبشة واتخذت مدينة القلابات في شرقي السودان مركزاً لذلك. ورغم التدابير الصارمة التي اتخذها ملوك الأحباش ضد الإسلام والمسلمين في القرن التاسع عشر الميلادي فقد استمر انتشار الإسلام خلاله «وأسلمت قبائل بأجمعها كانت يوماً تدين بالمسيحية» كما يقول توماس أرنولد. وحين تولى «ليج إياسو» حفيد «منليك» الحكم أنكر المسيحية وادعى أنه من سلالة الرسول ﷺ ولبس ثياب المسلمين ونقش على العلم الحبشي «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وقرر عام ١٩١٦م تبعية بلاده للخلافة العثمانية في الشئون الدينية. وهنا تدخلت الدول الأوروبية وأرغمته على النزول عن العرش وعمل خلفاؤه على حد من انتشار الإسلام ونفوذه[1]. وقد وصل أمبراطور أثيوبيا السابق هيلاسلاسي إلى العرش في تلك الظروف.

وأرسلت بريطانيا حملات على الحبشة في عامي ١٨٦٧ و١٨٦٨م وكان ذلك بوادر التكالب الاستعماري على القرن الإفريقي ، فادعت إيطاليا شراء ميناء عصب عام ١٨٧٠م في جنوب مدخل البحر الأحمر ثم استولت على ميناء بيلول ، كما استولت على مصوع عام ١٨٨٥م. فأثار ذلك سخط الأحباش فحاربوا الإيطاليين الذين انتصروا أول الأمر ثم انهزموا

(١) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة ، ص ١١٨-١٢٥ ، حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ، ج١ ، ص ٤١٩-٤٣٤ ، ص٤٣٩-٤٦٩ ، وانظر للفيصل : فتحي غيث : الإسلام في الحبشة ، ص٤٦ وما بعدها.

عام ١٨٩٦م فاعترف باستقلال الحبشة. وبعد الحرب العالمية الأولى وقيام عصبة الأمم انضمت الحبشة إلى عضويتها عام ١٩٢٣م. وعلى أثر قيام النظام الفاشي في إيطاليا عاودت هذه مهاجمة الحبشة عام ١٩٣٥هـ واستطاعت أن تحتل أديس أبابا في العام التالي وفر هيلاسلاسي إلى بريطانيا وأعلن ملك إيطاليا نفسه أمبراطور على الحبشة. على أن هيلاسلاسي قد عاد إلى البلاد مع القوات البريطانية الزاحفة على البلاد في مستهل عام ١٩٤١م لتنظيم مقاومة حبشية تؤازر البريطانيين في مهاجمتهم للإيطاليين. وقد انهزم هؤلاء وعاد هيلاسلاسي إلى العرش، وظل ملكاً للبلاد حتي كان الإنقلاب العسكري الشيوعي الذي أطاح به مؤخراً.

على أن الإسلام ظل في إثيوبيا وإرتريا دين أكثر من نصف السكان، تعتنقه قبائل الدناقل في ارتريا وشرقي الحبشة إلى جانب أهالي هرر وقبائل الجالا وكلها شعوب قوية المراس في شرقي البلاد.

الملامح الطبيعية :

تبدو الحبشة من الناحية الطبيعية كالقلعة الحصينة فهي إقليم متميز في شرق إفريقية وفي حوض النيل، إذ أن هضبة الحبشة التي تشغل معظم أثيوبيا مرتفعة ذات حائط شاهق الارتفاع يمتد من الشمال إلى الجنوب يفصلها عن سهول الدناقل وإرتريا في الشرق، وهذا الحائط هو حافة الأخدود الشرقي الكبير الذي يمتد من بحيرة نياسا جنوباً حتي جبال طوروس في آسيا الصغرى شمالاً ويشمل البحيرات الإستوائية وبحيرة رودولف والبحر الأحمر ووادي الأردن وسهل البقاع. ويستمر هذا الحائط الذي يصل في ارتفاعه إلى ٣٠٠٠ متر نحو الجنوب، بانحراف قليل نحو الغرب حيث توازيه الحافة الشرقية للأخدود قبل أن تنفرج شرقاً في سلسلة جبال تفصل سهل الدناقل عند إقليم هرر. ويمتلىء الأخدود بكثير من البحيرات الصغرى وينابيع المياه الحارة وتبدو عليه مظاهر التصدع واضطراب القشرة الأرضية بما يتفجر فيها من براكين.

وإلى الشرق والغرب من حائطي الأخدود الكبير ترتفع كتل هضبة الحبشة وهي كتل صخرية منقطعة قفزت إلى أعلى نتيجة حركة التصدع الكبيرة التي انتابت قشرة القارة الإفريقية

في الزمن الجيولوجي الثالث. وترتفع فوق تلك الكتل أيضاً صخور اللابة (اللافا) التي طفحت من باطن الأرض خلال هذا الزمن نتيجة لتلك الحركة الأرضية الكبيرة والتصدع الهائل.

وتقطع الهضبة أودية أنهار تشق طرقها في خوانق عميقة وهي تتجه في شمالي الهضبة نحو الشمال والغرب وتكون منابع نهر النيل الحبشية: العطبرة، والنيل الأزرق، والسوباط، وروافدها. ويتجه الصرف النهري في جنوبي الحبشة إلى قاع الأخدود نحو بحيرة ردولف.

وتبدو هضبة الحبشة مكونة من أقاليم صغيرة يفصل كل منها عن الآخر أودية وخوانق عميقة، وأشهر هذه الأقاليم جوجام وشوا ووليجا وأمهره في الشمال والغرب، وهرر وجالا وسيدامو في الجنوب الشرق. وتحيط بهذه الأقاليم الجبلية سهول أرتريا والدناقل في الشرق وأوجادين وبالي في الشرق والجنوب

وعلى الرغم من أن إثيوبيا تمتد بين دائرتي العرض ٥° و١٨° شمالي خط الاستواء أي داخل النطاق المداري، إلا أن الإرتفاع عن سطح البحر عدل بعض الحرارة كثيراً فأصبحت تتراوح بين ١٥° و٢٠° مئوية ويبدو أثر الإرتفاع ظاهراً في درجة حرارة أديس أبابا التي تقع على ارتفاع ٢٤٥٠ متراً وعلى دائرة العرض ٩° ١٠ شمالاً إذ تبلغ ١٥و٩م ودرجة حرارة اسمره عاصمة ارتريا التي تقع على ارتفاع ٢٣٧٠ متراً وعلى دائرة العرض ١٥° ٢٠ شمالاً فهي تبلغ ١٧,٨٠م. أما على ساحل البحر الأحمر فتصل درجة الحرارة في مصوع إلى ٣٠م. ويقل المطر كلما اتجهنا شمالاً ولكن الأراضي الواقعة إلى الشرق من حائط الأخدود جافة تماماً ويبدو الجفاف في سهول الدناقل وأوجادين.

وتنقسم السفوح حسب الارتفاع إلى ثلاثة أقاليم يختلف كل منها عن الآخر في المناخ والنبات. فالسفوح حتي ١٨٠٠ متر تسمى بإقليم الجلا ويتميز بحرارته المرتفعة ونباتاته المدارية، والسفوح من ١٨٠٠ إلى ٢٥٠٠ متراً تسمى بإقليم ويناديجا أو الإقليم المعتدل حيث تسود نباتات تشبه نباتات البحر المتوسط ويزرع الزيتون والكروم والقطن والبن ويتميز هذا الإقليم على سائر

الأقاليم في إثيوبيا بحرارته المعتدلة وما يشتمل عليه من أحسن الحقول على السهول المرتفعةالممتدة ، أما ما يرتفع فوق ٢٥٠٠ متر ويسمى بإقليم الديجا فهو بارد تنتشر فوقه المروج الألبية ومراعي الماشية .

الاقتصاد :

تمثل الزراعة والرعي ٧٥٪ من الدخل القومي في إثيوبيا ، ويسكن ٩٠٪ من سكانها في الريف . وتعتمد الزراعة والرعي على الأمطار ، وهذه تتسم بالذبذبة من عام إلى آخر وتتعرض أيضاً للدورات المناخية فتتعاقب بضع سنوات من المطر وأخرى من الجفاف النسبي ويؤثر هذا على كمية فيضان نهر النيل [انظر مصر] . وقد تعرضت إثيوبيا والحزام السوداني جنوبي الصحراء الكبرى لدورة جافة منذ عامين وكان لذلك أثره في انتشار المجاعة في أثيوبيا .

وإثيوبيا – بعامة – تستطيع أن تكفي نفسها بالغذاء . وتتنوع الزراعة في أثيوبيا بتنوع المناخ الذي يتأثر بدوره بالارتفاع واتجاه التضاريس .

ويسود الإقتصاد المعيشي الزراعة في إثيوبيا فتزرع الحبوب وأهمها التيف وهو نوع من الذرة الرفيعة ويعتبر الغذاء الرئيسي للسكان كما تزرع بعض بقول إقليم البحر المتوسط .

وينمو البن برياً فوق الهضبة لا سيما في الأجزاء الغربية والوسطى منها على ارتفاع بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ متراً . وهذا البن البري يمثل ٩٠٪ من محصول البن الحبشي . وإلى جانبه توجد مزارع واسعة للبن ، فلا غرو أن يمثل البن ٦٠٪ من قيمة الصادرات في أثيوبيا ، وأن تشغل هذه البلاد المركز العاشر بين منتجيه في العام .

وهناك مراعي واسعة في أثيوبيا ترعى فيها ٢٦,٣٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية و١٢٠,٨٠٠,٠٠٠ رأس من الغنم و١٧,٠٠٠,٠٠٠ رأس من الماعز و١٧,٠٠٠ رأس من الخنزير ، و١,٤٤٠,٠٠٠ رأس من البغال ونحو مليون رأس من الإبل .

ونظراً للارتفاعات الشاهقة لجبال الحبشة والخوانق العميقة التي تقطعها وتجري منها الأنهار ، فإمكانات توليد الطاقة الكهربائية في البلاد عظيمة ، وهي لم تستغل بعد . وهناك نحو مائة موقع أمكن تحديدها لتوليد هذه الطاقة وتولد حالياً نحو ٣٠٠ مليون كيلووات/ساعة من الطاقة الكهربائية .

وأهم أوجه النشاط الإقتصادي هو حفظ المواد الغذائية . وتوجد المصانع في إرتريا التي تتمتع ببنية اقتصادية أساسية جيدة من خطوط حديدية وطرق وموانىء . وكانت أيطاليا قد أنشأت ٥٠٠ شركة تجارية وصناعية في مدن أرتيريا .

السكان وأهم المدن :

التنوع في اللغات والأديان هو سمة سكان إثيوبيا الذين يبلغ عددهم نحو ٢٥,٢٥٠,٠٠٠ نسمة حسب إحصاء عام ١٩٧١م . فالأحباش الذين يشملون : التيجرة ، الأمهرة ، والشوا يسكنون الهضاب المرتفعة ، ولغاتهم سامية وأشهرها التيجرة والأمهرية ، ومعظمهم مسيحيون . أما الجالا والصومال والدناقل فلغاتهم حامية ، وهم يكونون أكثر من نصف السكان ويعتنقون جميعهم الإسلام . وهناك أقلية يهودية حبشية إسمها الفلاشا (أي الأغراب) تسكن إقليم سيدامو في جنوب إثيوبيا .

وأسمرة هي أهم مدينة صناعية في إرتريا وإثيوبيا كلها وتقوم فيها صناعات غذائية ونسيجية كما أن بها مصانع للب الورق وتوجد صناعة تكرير البترول في عصب كما أن بها مصانع لتجميع السيارات .

وتتصل العاصمة أديس أبابا بالبحر الأحمر بخط حديدي وحيد يربطها بمدينة جيبوتي . وإذا انسلخت إرتريا – ذات الشخصية المتميزة عن الحبشة – فستعود أثيوبيا دولة داخلية مرة أخرى ولا يكون أمامها إلا الإعتماد على الخطوط الجوية التي تربط أديس أبابا بنيروبي والخرطوم والقاهرة وعدن وكراتشي ولندن وغيرها .

(٢) تانزانيا*

تقوم تانزانيا على اتحاد تانجانيقا وزنجبار الذي تألف في عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م). وتقع تانزانيا في شرقي إفريقية، وتبلغ مساحتها حوالي مليون كيلومتر مربع. وهي تطل على المحيط الهندي وتجاور كلا من كينيا وأوغندا ورواندا ويوروندي وزائير وزامبيا وملاوي وموزمبيق. ويدخل في نطاق تانزانيا ثلاث جزر كبيرة نسبياً في المحيط الهندي هي: بمبا وزنجبار ومافيا بالإضافة إى عدد من الجزر الصغيرة.

الإسلام في تنزانيا:

قامت صلات تجارية بين العرب وشرقي إفريقية من قديم، فلما انتشر الإسلام في بلاد العرب انتقل إلى شرقي أفريقية، مع أفراد وأسر قليلة، وتزايد انتقال العرب إلى شرقي إفريقية نتيجة الأحداث والظروف السياسية واجتذبتهم إليها الصلات القديمة ويسر الوصول إلى سواحلها.

فقد خرجت جماعة من الخوارج أيام عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) بعد أن هزمهم المهلب بن أبي صفرة، واتجهوا نحو شرقي إفريقية، واستولوا في طريقهم على جزيرة سقطرة.

كما انتقلت جماعات من العلويين أيام الأمويين أيضاً، واستقرت في شرقي إفريقية، وهناك بدأت تعمل للإسلام.

ثم فرت جماعات من الأمويين عندما دالت دولتهم على أيدي العباسيين، وكانت نهاية مطافهم في شرقي إفريقية كذلك.

وذهبت جماعة من شيراز في بلاد فارس، إلى سواحل شرقي إفريقية حيث تفرقوا في أنحائها. وإليها هاجرت مجموعة من الإحساء في شرقي جزيرة العرب، واتخذت مقامها هناك.

(*) كتب هذا الموضوع الأستاذ محمود شاكر استثناء من سائر موضوعات هذا القسم من الكتاب التي اختص بكتابتها الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب.

وقد استقر هؤلاء المسلمون على طول الساحل الشرقي لإفريقية من القرن الأفريقي في شمال بلاد الصومال، وحتي مدينة (سفالة) في موزمبيق على خط عرض ٢٠ جنوباً. ولم يتوغلوا إلى الداخل كثيراً، وكانت مهمتهم تجارية في غالب أمرها، وإن كانت التجارة قد يسرت في كثير من الأحيان سبل الإتصال بالسكان ودعوتهم إلى الإسلام.

واستطاع هؤلاء المسلمون أن يؤسسوا مراكز تجارية كبيرة من أشهرها «كلوه» و«دار السلام» في تانزانيا، و«سفالة» في موزمبيق، وقد زارها الرحالة المسلم ابن بطوطة ووصفها وصفاً جميلاً، كما أعجب بهذه المدن البرتغاليون نظراً لنظامها ونظافتها.

كذلك أسس هؤلاء المسلمون في هذه المناطق إمارات وممالك متعددة لم تكن -مع الأسف- متحدة فيما بينها مما جعلها ضعيفة لا تثبت طويلاً أمام قوة البرتغاليين الذين كانوا طلائع المستعمرين في تلك الجهات. ومن أشهر هذه الممالك مملكة الزنج التي تأسست في القرن الرابع الهجري، وكانت عاصمتها مدينة (كلوه) في جنوبي تانزانيا وقد استطاعت هذه المملكة أن تنشر الإسلام في كل مما يسمى اليوم زامبيا وموزمبيق وملاوي بل وبلغت جهودها في هذا السبيل روديسيا وجنوبي تانزانيا.

ولما جاء البرتغاليون مستعمرين في بداية القرن العاشر الهجري استولوا على زنجبار عام ٩٠٩هـ (١٥٠٣م) واحتلوا مدينة كلوه عام ٩١١هـ (١٥٠٥م)، وأظهروا حقدهم الدفين فقتلوا السكان، وأحرقوا الأبنية وخربوا المدن ولقد كان في مدينة كلوه ثلاثمائة مسجد دمر معظمها بأيديهم بمجرد دخولهم المدينة.

ثم انسحب البرتغاليون من أكثر مناطق شرقي أفريقية إثر هزيمتهم، وكان من القوى التي هزمتهم دولة عمان التي خلفت أثراً كبيراً في تلك الجهات وبخاصة أيام السلطان سيف بن سلطان الذي قضي على ما بقي للبرتغاليين من نفوذ شمالي موزمبيق. وفي هذه المدة دخل المذهب الأباضي إلى المنطقة، وأصبح مذهل الأسرة المالكة في زنجبار. وأصبحت السلطة في شرقي إفريقية مرتبطة بالسلطة في عمان لكن أخذت هذا الإرتباط في الضعف تدريجياً حتي عام

١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) عندما نقل السلطان سعيد بن سلطان عاصمته من مسقط في عمان إلى زنجبار في شرقي إفريقية.

وعندما توفي سعيد بن سلطان عام ١٢٧٣هـ (١٨٥٦م) قسمت مملكة بين ولدين، وكان القطاع الأفريقي من نصيب ابنه ماجد الذي استمر حكمه حتى عام ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م).

وكان المسلمون قبل الإحتلال البرتغالي يلزمون الساحل ولا يتعدونه إلى الداخل إلا للتجارة أو للدعوة ثم لا يلبثون أن يعودوا إلى مراكزهم الساحلية، وقد أدركوا بعد الإحتلال البرتغالي خطأهم في عدم توفير عمق استراتيجي لهم يمكنهم من مقاومة الهجوم عليهم. وقد شرع المسلمون يغيرون طريقهم بعد خروج البرتغاليين، فنقل السلطان ماجد بن سعيد عاصمته من زنجبار إلى دار السلام في البر الإفريقي، وبدأ المسلمون يتوغلون إلى الداخل، حيث يقيمون مراكز دائمة للإدارة والتجارة والدعوة، واشتهر من تلك المراكز (طابوره) في وسط تانزانيا و(أوجيجي) على ضفة بحيرة تنجانيقا وكان في كل منهما والٍ من قبل سلطان زنجبار. وكان رؤساء القبائل الإفريقية في تلك البقاع يدفعون لهم الجزية أو يدخلون في عهدهم. ومن ثمّ انتقل المسلمون إلى زائير ونشروا دينهم ولغتهم. ومع اتساع نفوذ الإسلام السياسي في الدخل تزايد انتشار دعوته هناك.

وقد تعرض الحكم العربي الإسلامي في المنطقة للضعف إثر وفاة ماجد بن سعيد عام ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) وقد خلفه أخوه الصغير (برغش بن سعيد). وأخذت السياسة الإستعمارية تنفذ إلى المنطقة وتعمل على تقسيمها بين الدول الإستعمارية الكبرى فأخذت ألمانيا تنجانيقا بينما كان الإنجليز أصحاب النفوذ الأكبر في زنجبار، وكانت سلطتها قد ضعفت إثر وفاة برغش بن سعيد عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) الذي شهد تقسيم بلاده في حياته، وخلفه سيد خليفة. ولما هزمت ألمانيا في الحرب العالمية الأولى وقسمت مستعمراتها على الحلفاء المنتصرين كانت تنجانيقا من نصيب انجلترا بعد أن وضعت تحت وصاية عصبة الأمم.

ثم استقلت تنجانيقا عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م)، وأصبحت ضمن رابطة الشعوب

البريطانية، أما سلطنة زنجبار فقد استقلت عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م). وكان سلطانها سيد خليفة قد توفي عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) وخلفه ابنه جمشيد بن عبدالله خليفة. وما أن تم الإستقلال حتى حدث انقلاب عسكري برئاسة (عبيد كرومي) الذي نصب رئيساً لجمهورية زنجبار وخلع سيد جمشيد، ونكبت الأسرة العربية التي كانت تحكم زنجبار وقتل أكثر من ست عشر ألفاً من العرب لأن الإنقلابيين عدوا الأسرة الحاكمة أسرة دخيلة مستعمرة، وقتل معهم أربعة وخمسون ألفاً من المسلمين الآخرين.

وفي عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) انضمت زنجبار إلى تنجانيقا لتكون اتحاداً عرفت باسم (تانزانيا) وأصبح يوليوس نيريري رئيساً للجمهورية الإتحادية وعين عبيد كرومي نائباً للرئيس.

وفي عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) أعلنت الحكومة أنها كشفت محاولة لفصل زنجبار عن تنجانيقا، وادعت أن بعض المتآمرين كانوا من زنجبار وبعضهم الآخر من عرب كينيا ونفذت أحكام الإعدام فيمن أرادت التخلص منهم ممن وقعوا في قبضتها.

ثم اغتيل عبيد كرومي نفسه بعد ذلك.

والحزب الحاكم في تنجانيقا هو الاتحاد الوطني الإفريقي الذي يرأسه يوليوس نيريري رئيس الجمهورية الإتحادية. أما الحزب الحاكم في زنجبار فهو الحزب الأفروشيرازي الذي كان يرأسه عبيد كرومي.

السطح :

تضم تانزانيا إلى جانب أرضها في البر الإفريقي عدداً من الجزر كبراها ثلاث :

١ – بمبا : وهي إحدى جزيرتي مملكة زنجبار قديماً، وتقع في الشمال قرب الحدود مع كينيا. يبلغ طولها ٧٨كم وعرضها ٢٣كم، وتبلغ مساحتها ١٥٦٤ كيلومتراً مربعاً، وتجتازها دائرة العرض ٥ جنوباً.

٢ – **زنجبار** : وهي مركز مملكة زنجبار قديماً ، تقع جنوبي الجزيرة الأولى داخل خليج يعرف باسمها ، ويبلغ طولها ٨٥كم وعرضها ٤٠كم ، وتبلغ مساحتها ٣٤٠٠ كيلومتر مربع ، وتجتازها دائرة العرض ٦ جنوباً ، وعاصمتها مدينة زنجبار.

٣ – **مافيا** : وتتبع البر الأفريقي من قديم ، وهي أصغر من الجزيرتين السابقتين ، وتقع مقابل مصب نهر (رواحة) بين (دار السلام) و (كلوه) ، ويجتازها دائرة العرض ٨ جنوباً.

وتتألف أراضي تانزانيا في البر الإفريقي من ثلاث مناطق طبيعية هي :

أ) **السهل الساحلي** : ويمتد على طول الساحل ويتراوح عرضه بين ١٥ و٨٥ كيلومتراً وهو يبلغ أقصى عرض له في المنطقة الوسطى ، بينما يضيق في الشمال والجنوب. وتحاذي الساحل تشكيلات مرجانية بصورة متقطعة ، وتنتشر عليه دالات رملية مستنقعية ، وتكثر النباتات المائية في المستنقعات في المناطق الجنوبية. وتعمل التشكيلات المرجانية على تهدئة الموج ضمن الخلجان والشروم[1] . ولكن هذا المرجان يجعل الوصول إلى الساحل صعباً بسبب الأرصفة التي تلتصق بالساحل أحياناً ، كما تنتشر على الساحل النباتات المستنقعية المعروفة باسم «مانجروف».

ب) **الهضبة الوسطى الكبرى** : وترتفع مباشرة بعد السهل ، ويصل ارتفاعها إلى ١٤٠٠م ، كما تقبع عليها الجبال البركانية التي أهمها جبل (كليمنجارو) المشهور أعلى جبال أفريقية الذي يبلغ ارتفاع قمته ٦٠٠٠ م ، وتتألف ذروته من بركان خامد ، وتكسو سفوحه الغابات ، وتتوج الثلوج الدائمة أعلاه. وهناك جبل (مرو) أيضاً ويقع إلى الجنوب الغربي من (كليمنجارو) ، ويبلغ أعلى ارتفاع له ٤٤٦٢م ، وهو يشرف على مدينة (عروشه) ، وفي شمال شرقي بحيرة ملاوي يوجد جبل رونجوي الذي يصل ارتفاعه إلى ٣٠٠٠م.

حـ) **نجد مرتفع** هو جزء من مرتفعات إفريقية الشرقية ، وتنتشر البحيرات فيها وأهمها :

(١) الشروم : جمع شرم ، وهو الخليج الصغير.

١ – **بحيرة فكتوريا** : وتبلغ مساحتها ٦٨ ألف كيلومتراً مربعاً أي ما يقرب من سبعة أمثال مساحة لبنان ، وتعد مصدراً لمياه نهر النيل ، وتشترك في سواحلها ومياهها كل من تانزانيا وكينيا وأوغندا.

٢ – **بحيرة تنجانيقا** : وتمتد بشكل متطاول إذ يبلغ طولها ٦٤٠ كيلومتراً ، وعرضها ٥٠ كيلومتراً ، وتمتد سواحلها في تانزانيا وزائير وبورندي.

٣ – **بحيرة مالاوي** : ويبلغ طولها ٥٨٠ كيلومتراً من الشمال إلى الجنوب ، وعرضها ٢٥–٨٠ كيلومتراً ، وتمتد سواحلها في تانزانيا ومالاوي وموزامبيق.

وفي تانزانيا بحيرات كثيرة داخلية مثل (ناترون) في الشمال على حدود كينيا ، و(أياس) في الوسط ، و(روكوه) في الجنوب بين بحيرتي تنجانيقا ومالاوي.

المياه :

تجري الأنهار في القسم الشرقي من تانزانيا متوازية تقريباً ، وأكثرها غير صالح للملاحة وأهمها :

نهر (بانجاني) الذي ينحدر من جبال كليمنجارو ، نهر (وامي) الذي يصب في خليج زنجبار ، نهر (رواحة الكبير) الذي يمتد نحو الداخل كثيراً ويقترب رأسه من بحيرة (مالاوي) ويصب مقابل جزيرة (مافيا) ، نهر (ماتنو) الذي يصب شمالي مدينة (كلوه) ، نهر (مبكورو) ويصب بين مدينتي (كلوه) و(ليندي) ، نهر (روفوما) الذي يشكل الحدود بين تانزانيا وموزمبيق.

ونصف مساحة البلاد تنصرف مياهها إلى المحيط الهندي ، أما النصف الآخر فتنصرف مياه القسم الجنوبي منه إلى حوض تنجانيقا أي إلى شبكة نهر الكونغو وإلى المحيط الأطلسي ، ومن أهم أنهار هذا القسم نهر (مالجاراسي) الذي يصب في بحيرة تنجانيقا جنوبي ميناء

(أوجيجي)، ويتلقى مياهه من جنوبي بحيرة (فيكتوريا) وغربي مدينة (طابوره). أما القسم الشمالي فتنصرف مياهه إلى البحر الأبيض المتوسط عن طريق بحيرة (فيكتوريا) التي تؤول مياهها إلى نهر النيل، وأهم أنهار هذا القسم نهر (كاجيرا) الذي يعد أصل نهر النيل وتأتيه مياه (رواندا) و (بورندي)، ونهر (مارا) الذي يأتي من كينيا، ونهر (رونجوي) الذي يصب في بحيرة (روكوه). وهناك أودية تتجمع في وسط البلاد فتؤلف مستنقعات واسعة وبخاصة في شرقي مدينة (طابوره)، وأشهرها (ويمدر).

المناخ :

تمتد تانزانيا بين دائرتي العرض ١,٤٢° و١٢,٣٥° جنوباً، فغالب أراضيها تقع ضمن المنطقة الإستوائية ويقع الجزء الجنوبي منها ضمن المنطقة السودانية.

ولكن الارتفاع يجعل المناخ في تانزانيا يختلف عنه في بقية المناطق. وتعد المناطق الساحلية والمنخفضة ذات مناخ استوائي، أما المرتفعات فتكون معتدلة الحرارة تصلح لسكني الإنسان، وتنتشر عليها نباتات السفانا.

الحرارة : تكون المناطق الساحلية ذات معدل وسطي ٢٦°، وتتناقص درجة الحرارة كلما ارتقينا في المرتفعات حتي نصل إلى منطقة الثلج الدائم في جبال (كليمنجارو).

الرياح والأمطار : تهب على المنطقة الرياح الموسمية التي تختلف بين الصيف والشتاء. ففي فصل الصيف (صيف نصف الكرة الشمالي) تهب الرياح التجارية الجنوبية، ويكون اتجاهها من الجنوب الشرقي، وهي بهذا تساير الساحل ولا تسبب أمطاراً. وحين تجتاز هذه الرياح خط الاستواء يتغير اتجاهها فيصبح من الجنوب الغربي نحو الشكال الشرقي، وتستمر حتي تصل إلى جنوب آسيا وتسبب الأمطار الموسمية هناك وبخاصة في بلاد الهند.

أما في الشتاء فتهب الرياح الشمالية الشرقية القادمة من آسيا، وتكون هذه الرياح مسايرة للساحل الشمالي أيضاً فلا تثعامد عليه. وقد أعانت هذه الرياح على تيسير الملاحة من قديم بين

هاتين المنطقتين، وهي تذهب دائماً من نصف الكرة الداخل في الشتاء إلى نصف الكرة الداخل في الصيف أو بتعبير آخر تنتقل من المنطقة الباردة إلى المنطقة الحارة. ومن ثم لا يمكن أن تسقط هذه الرياح مطراً إلا إذا اعترضتها التضاريس بشكل مباشر وبذا لا يتحقق هنا. ومن هنا نرى الصيف والشتاء في شمال تنجانيقا اللذين تهب فيهما الرياح الموسمية (الشتوية والصيفية) هما فصلا جفاف من حزيران (يونيو) إلى أيلول (سبتمبر) ومن كانون الأول (ديسمبر) إلى شباط (فبراير)، أما الربيع والخريف فهما على العكس إذ تكون الرياح الموسمية آخذة في الإنقلاب أي في تغيير اتجاهها، وتكون الشمس عمودية على المنطقة ومن ثم تنهمر الأمطار في هذين الفصلين من آذار (مارس) إلى أيار (مايو) ومن تشرين الأول (أكتوبر) إلى كانون الأول (ديسمبر).

أما في المنطقة الوسطى والجنوبية فالمناخ تابع للمناطق السودانية ذات الفصل الشتوي الجاف والصيف الماطر فيدوم الجفاف من أوائل نيسان (أبريل) إلى أواخر تشرين الثاني (نوفمبر)—وهذا شتاء نصف الكرة الجنوبي. أما في الصيف (صيف نصف الكرة الجنوبي) فتسقط الأمطار من كانون أول (ديسمبر) إلى نيسان (أبريل). ويبلغ المتوسط السنوي للمطر ١٠٠٠ مم وكثيراً ما ينخفض إلى ٥٠٠ مم، وتزداد الأمطار من الساحل نحو الداخل إذ يتزايد الإرتفاع، وتصل كمية الأمطار إلى ذروتها في المنطقة الجبلية ثم تأخذ بعدها في التناقص ثانية إذ تحجب الجبال الأمطار عن المناطق الواقعة في ظلها.

النبات :

على الرغم من أن غالب تانزانيا يقع في المنطقة الإستوائية إلا أننا لا نجد انتشاراً واسعاً للغابات الإستوائية وإنما نجد الأدغال والسفانا، وإنما توجد النباتات الإستوائية على شكل أشرطة ضيقة أو كتل منفردة. وعلى طول الساحل تنتشر النباتات المستنقعية المعروفة باسم «مانجروف» نتيجة الرطوبة التي توفرها مياه المحيط في جو الساحل ومن ثم تنمو أشجار جوز الهند. أما في الداخل فتوجد الغابات حيث تصل المؤثرات البحرية أما إذا انقطعت هذه المؤثرات فإن الغابات لا تظهر إلا على شكل أشرطة تساير الأنهار، أو على أطراف الكتل الجبلية

في منطقة التهطال الغزير التي ترتفع بين ١٥٠٠ و٣٠٠٠م عن سطح البحر. ويمكن تقسيم الغابات إلى زمرتين يتميز بعضها عن بعض : أولاهما الغابات المدارية والساحلية ومنها أشجار الصندل والفصيلة النخيلية وقليل من أشجار المطاط ونبات المانجروف ، الغابات الجبلية وتكثر فيها أشجار الكافور والأرز والأكاجو والخيزران.

الحيوان :

تنتشر نباتات السڤانا والأدغال على نطاق واسع في البلاد ولذا فهي تغص بالحيوانات العشبية مثل الغزال وحمار الوحش والجاموس البري والفيل والزرافة ووحيد القرن والوعل ، كما تكثر الحيوانات أكلة اللحوم مثل الأسد والفهد والذئب والضبع وتعيش على الحيوان آكل العشب.

الاقتصاد :

تانزانيا بلاد زراعية بصفة رئيسية إذ تنتشر الزراعة في كل مكان من السهول والسفوح الجبلية. ولا تزال الأرض بكراً ، والتربة خصبة كما أن الأمطار كافية والمياه وفيرة ، والحرارة دائمة. وفي تانزانيا ثلاث مناطق زراعية : السهل الساحلي مع سفوح الهضبة الشرقية ، والمرتفعات ، والنجد الغربي وسواحل البحيرات.

وأهم الزراعات البطاطا الحلوة والأرز وهما عماد غذاء السكان ثم النخيل الزيتي والسيزال[1] وجوز الهند والكاكاو وقصب السكر والقرنفل والموز وكلها تجود في المنطقة الأولى وبخاصة في السهل الساحلي.

ويُزرع في السفوح الشوفان والذرة والشعير والحمص والشاي والبن والقطن والتبغ والموز. ويجود القطن حول (طابوره) وغربي (دار السلام) وبالقرب من (كيجوما) على بحيرة تنجانيقا.

(١) السيزال : نبات يشبه القنب وتصلح أليافه لصنع الحبال والنسيج ، وأصله من أمريكا.

ويجود البن في المرتفعات ، والشاي على سفوح جبال (رونجوي) والقرنفل في جزيرة زنجبار التي تعد أكبر منتج للقرنفل ومصدر له في العالم. وقد دخلت هذه الزراعة إليها عام ١٢٣٤هـ. (١٨١٨م) وكان العرب يملكون معظم مزارع القرنفل ، بينما يعمل الهنود في تجارته.

وتربي الحيوانات في كل مكان تقريباً إذ لا توجد في البلاد « ذبابة تسيتسي » التي تؤذي هذه الحيوانات ، وتحول دون تربيتها.

الثروة المعدنية :

أهم ثروات تانزانيا الماس ويستخرج بجوار شنيانيجا Shinianyga والذهب. ومن مناطق التعدين الهامة : شمال شرقي مدينة (كيجوما) بالقرب من بحيرة (تنجانيقا) ، وسفوح جبال (رونجوي) في شمال بحيرة (مالاوي) ، وشرقي (موانزا) في جنوب شرقي بحيرة (فيكتوريا).

كذلك يوجد القصدير والفضة والتنجستن والملح. كما توجد معادن أخرى أقل أهمية.

الصناعة :

لا تزال الصناعة في بدايتها وهي الآن مقصورة على حلج القطن وعصر الزيت وصناعة علب القصدير والدهانات ومبيدات الحشرات ثم النسيج الذي لا يزال جزء منه يدوياً.

التجارة :

أهم صادرات تانزانيا : الماس ، القرنفل ، السيزال ، البن ، القطن ، وهي تستورد أكثر المصنوعات ومنها الأدوية. ويعد الميزان التجاري لتانزانيا في صالحها.

والوحدة النقدية في البلاد هي شلن أفريقيا الشرقية.

السكان :

يسكن تانزانيا حوالي ثلاثة عشر مليوناً من البشر وقد كان أكثر السكان الأصليين من الزنوج والأقزام ، ثم اكتسحت البلاد موجة كبيرة من شعوب البانتو جاءت من الشمال ، وقد غدوا يؤلفون القسم الأعظم من السكان ومن أهم قبائلهم الماساي والناندي .

وجاءت موجة عربية من الشمال والشرق وتوغلت في قلب إفريقية ، وأقامت لها مراكز تجارية في هذه المنطقة وعلى سواحلها . كما جاءت إلى المنطقة أعداد من الهنود .

ونتناول فيما يلي الجماعات المتباينة من السكان في تانزانيا :

١ – **الزنوج** : كانوا أكثر انتشاراً من قبل ، وموطنهم المناطق المفتوحة المغطاة بأعشاب السفانا ، ويتصفون بالشعر الصوفي والبشرة الداكنة السوداء ، والقامة والرأس الطويلتين والشفاه الغليظة والأنوف العريضة (الفطساء) .

٢ – **الأقزام** : ومن أهمهم الهوتانتو ، ويؤلفون مجموعة قليلة وهم يعيشون في المناطق المرتفعة ، ويمتهنون رعي الأبقار ويفضلونها على العمل في الزراعة ، وهم قبائل محاربة تظهر في أفرادها الفطنة .

٣ – **البانتو** : وهؤلاء يتكلمون عدة لغات يجمعها هذا الإسم ، وأصولها حامية ، ويتصف البنتو بالشعر الصوفي واللون الأسود ، وشفاههم أقل سمكاً من شفاه الزنوج وأنوفهم أقل عرضاً .

٤ – **العرب** : وقد جاءوا إلى المنطقة تجاراً في أول الأمر ، كما جاءوا حكاماً في العصر الحديث . وهم يتصفون بالسمرة الفاتحة والشعر الأسود والرأس الطويل والأنف البارز الأقني ، ويقدر عددهم في تانزانيا بحوالي ١٤٠ ألفاً .

٥ – **الهنود** : وهم يعملون في التجارة وقد سيطروا على الأسواق ، ويطلق عليهم العرب

(بانياني) وهي كلمة مشتقة من (بانيا) الهندية ومعناها تاجر . ويقدر عددهم في تانزانيا بحوالي مائة ألف .

٦ – **الإيرانيون** : ويعيشون في زنجبار ، ويعرفون باسم (الشيرازيون) ، ويقدر عددهم بحوالي مائتي ألف .

ولما كان هناك بعض الاختلافات في تركيب السكان عرقياً ودينياً بين زنجبار وتنجانيقا فسنفصّل إحصاءات هذا التركيب في كل منهما على حدة .

أولاً : سكان زنجبار :

يقدر عدد سكان زنجبار بحوالي أربعمائة ألف نسمة ، ويمكن توزيعهم كما يلي :

أ) حسب المجموعات العرقية :

شيرازيون ويؤلفون	٥٦ ٪	من مجموع السكان	وعددهؤلاء	٢٢٤ ٠٠٠
عرب ويؤلفون	٢٠ ٪	من مجموع السكان	وعددهم	٨٠ ٠٠٠
افريقيون ويؤلفون	١٨ ٪	من مجموع السكان	وعددهم	٧٢ ٠٠٠
هنود ويؤلفون	٦ ٪	من مجموع السكان	وعددهم	٢٤ ٠٠٠
أوربيون			وعددهم	٥٠٠
	١٠٠ ٪			٤٠٠,٠٠٠

وكل الأوروبيين في زنجبار يعملون موظفين في الحكومة .

ب) حسب الأديان :

مسلمون ويؤلفون	٩٠ ٪	وعددهم	٣٦٠,٠٠٠
نصارى ويؤلفون	٤ ٪	وعددهم	١٦,٠٠٠
وثنيون ويؤلفون	٤ ٪	وعددهم	١٦,٠٠٠
هندوس ويؤلفون	٢ ٪	وعددهم	٨,٠٠٠
	١٠٠ ٪		٤٠٠,٠٠٠

ويضم **المسلمون** جميع العرب والشيرازيين كافة بالإضافة إلى ٦٢٪ من الهنود و٤٢٪ من الإفريقيين. ويؤلف أهل السنة ٨٩٪ من مجموع الذين يدينون بالإسلام في تانزانيا والإباضيون ١٠٪ والشيعة ١٪.

ويؤلف **النصارى** ٣٠٪ من الإفريقيين وجميع الأوروبيين.

ويؤلف **الوثنيون** ٢٨٪ من الإفريقيين.

أما **الهندوس** فيمثلون ٣٨٪ من الهنود.

ثانياً : سكان تنجانيقا :

يقدر عدد السكان بحوالي ١٢,٦٠٠,٠٠٠ نسمة، ويمكن توزيعهم كما يلي :

أ) **حسب المجموعات العرقية :**

افريقيون	ويؤلفون	٩٧,٦ ٪	وعددهم	١٢,٣٣٥,٠٠٠
هنود	ويؤلفون	١,٢ ٪	وعددهم	١٣٥,٠٠٠
عرب	ويؤلفون	,٨ ٪	وعددهم	٩٠,٠٠٠
أوربيون	ويشكلون	٠,٤ ٪	وعددهم	٤٠,٠٠٠
		١٠٠ ٪		

ب) **حسب الأديان :**

مسلمون	٦٠	٪	وعددهم	٧,٥٦٠,٠٠٠
نصارى	٢٧	٪	وعددهم	٣,٤٠٢,٠٠٠
وثنيون	١٣	٪	وعددهم	١,٦٣٨,٠٠٠
	١٠٠	٪		١٢,٦٠٠,٠٠٠

والهنود الموجودون في تانزانيا منهم ٤٠٪ من المسلمين و٦٠٪ من الهندوس، والمسلمون منهم أكثرهم من الشيعة والإسماعيلية والبهرة كما أن عدداً منهم ينتمي إلى القاديانية بفرعيها القادياني واللاهوري.

اللغة :

اللغة الرسمية في تانزانيا هي الإنجليزية، وتعد السواحيلية اللغة الشعبية في البلاد ثم تأتي بعدها اللغة العربية والتي أثرت على السواحيلية حتى أن ثلثي مفردات الأخيرة من أصل عربي. ولا تكاد تمر على سطر واحد باللغة السواحيلية إلا وتجد فيه كلمات عربية، فألفاظ العقود كلها عربية. والألفاظ الواردة لأعداد الستة والسبعة والتسعة والمائة والألف عربية. وتشيع اللغة العربية في المناطق التي يكثر فيها المسلمون كجزيرتي (زنجبار) و(بمبا) وساحل (تنجانيقا) وبعض المراكز في الوسط مثل (عروشه) و(طابوره) وفي بعض المدن على سواحل بحيرة (تنجانيقا) مثل (أوجيجي) و(كيجوما). ومعظم المدارس الإسلامية الخاصة تعتمد على اللغة العربية في تدريسها إلى جانب السواحيلية أحياناً. قد كانت جزيرة زنجبار مصدراً للعربية وثقافتها بالنسبة لكل شرقي إفريقية ثم ضعفت بمزاحمة الإنجليزية لها. وإلى جانب ذلك هناك لغات محلية تتكلمها بعض القبائل مثل (الماساي) و(الشامبولا) و(نياموزي) و(جندا).

المدن :

أشهر المدن في تانزانيا هي :

دار السلام : عاصمة الجمهورية الإتحادية، وتعد مدينة إسلامية حيث أن ٩٠٪ من سكانها البالغ عددهم ١٧٥ ألفاً من المسلمين، ولها ميناء هام محمى من الرياح، ومزود بأحسن وسائل التحميل والتفريغ.

زنجبار : مدينة إسلامية خالصة يبلغ عدد سكانها مائة ألف، وتقع على الساحل الغربي من الجزيرة التي تحمل الإسم نفسه وراء ميناء متسّع صالح لمهمته. وبيوت هذه المدينة بيضاء،

وأزقتها ضيقة ، وفيها كثير من مناهل الماء الجاري ، كما تكثر فيها أشجار النخيل ، وتبرز مآذنها الشامخة البيضاء بسمتها الإسلامية وقد أقام الإنجليز في زنجبار أحياء خاصة بهم إلى جانب المدينة العربية الإسلامية وتشتمل الأحياء الإنجليزية على المكاتب الإدارية وإدارات الشركات البحرية والملاعب والنوادي والملاهي .

تانجا : وهي أهم ميناء في الشمال ، يقع في حماية جزيرة بمبا ، ويبلغ عدد سكان هذه المدينة حوالي ٦٥ ألفاً ، وتتصل مع الداخل بخط حديدي .

كلوه : ميناء تجاري إسلامي له تاريخه ، وقد كانت كِلوه قاعدة أمبراطورية الزنج الإسلامية التي تأسست في القرن الرابع الهجري ، وقد زود الألمان الميناء بتجهيزات حديثة أثناء استعمارهم البلاد .

ليندي : الميناء الجنوبي .

وهناك عدد من الموانىء الأخرى مثل بانجاني عند مصب نهر بانجاني ، وبانجامويو مقابل جزيرة زنجبار .

أما المدن الداخلية فأهمها :

طابوره : وهي مدينة عربية قديمة ، اختط العرب منها عدة طرق لتجارة الذهب والعاج .

عروشه : وتقع في سفوح جبال (مرو) وعندها ينتهي الخط الحديدي القادم من ميناء (تانجا) .

موشي : وتقع في سفوح جبال (كليمنجارو) ، ويمر منها الخط الحديدي بين تانجا وعروشه .

أما الموانىء على البحيرات فأهمها :

(كيجوما) و **(أوجيجي)** وقد أنشأهما العرب على بحيرة (تنجانيقا) للتجارة مع بلاد الكونغو .

(موانزا) و **(بوكوبا)** وقد أنشأهما الألمان على بحيرة (فيكتوريا) ، وتتصل (موانزا) بخط حديدي مع (طابوره) .

(٣) جزائر القمر

تتكون من مجموعة من الجزر البركانية الصغيرة تقع شمالي شرقي جزيرة مدغشقر (ملاجاش) بين المدخل الشمالي لقناة موزمبيق والقارة الإفريقية. وأكبرها جزرها أربع هي: جزيرة القمر الكبرى في الشمال الشرقي (١١٤٧ كيلومتر) وعاصمتها موروني على الساحل الغربي، وجزيرة مايوته في الجنوب الشرقي (٣٧٥ كيلومتراً مربعاً) وعاصمتها زاودزي، وجزيرة أنجوان (٤٢٥ كيلومتراً مربعاً) وجزيرة موهيلي (٢٩٠ كيلومتراً مربعاً).

الإسلام في جزر القمر وما حولها:

نشطت التجارة الإسلامية في المحيط الهندي وبخاصة أيام قوة الخلافة وازدهار الحضارة وعرف المسلمون نظام الرياح الموسمية واستخدموه في الملاحة، فكانوا يخرجون من سواحل حضرموت وعمان وشرقي أفريقية إلى الهند تدفعهم الرياح الموسمية الصيفية، ويخرجون من السواحل الهندية إلى جزر أندونيسيا فجزيرة مدغشقر ثم الساحل الأفريقي تدفعهم الرياح الموسمية الشتوية الخارجة من قارة آسيا. وكانت جزر القمر إلى محطات في طريق هذه التجارة وهي شاهد على هذا التاريخ.

ومن أقرب تلك المحطات إلى سواحل بلاد العرب جزيرة **سقطرة أو سقطرى** وتقع إلى الجنوب الشرقي من مضيق عدن في الطريق من بلاد العرب أو من الساحل الأفريقي إلى بلاد الهند قال عنها ياقوت إنها «جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدة قرى ومدن، وهي إلى بر العرب أقرب من بر الهند السالك إلى بلاد الزنج يمر عليها». وذكر أنه يجلب منها الصبر والصمغ وأن أكثر سكانها نصارى عرب[1] ولعل ذلك كان بتأثير الحبشة التي احتلتها قبل الإسلام وقد أخذ الإسلام ينتشر في الجزيرة حتى غلب عليها. والعرب في الجزيرة أتوا بطبيعة الحال من سواحل بلاد العرب الجنوبية أما سكانها الأصليون فيبدو أن لسانهم على صلة بلهجات مهرة كما ذكر

(١) ياقوت: معجم البلدان مادة (سقطرى)

الهمداني وقد اختلط بعض السكان العرب في سقطره بالأفريقيين وكان بها تجار هنود وإيرانيون وصوماليون وغيرهم ويشتغل العرب اللذين يستوطنون القسم الشمالي الشرقي بالتجارة وهم يقيمون في قرى مساكنها مبنية من الحجر. أما اللذين يستوطنون القسم الشمالي الشرقي فيشتغلون بتربية الماشية والزراعة وقد استولى على الجزيرة البرتغاليون ثم حكمها أمير مسقط فالدولة السعودية في القرن ١٩م. ثم احتلت بريطانيا جزيرة سقطره عام ١٨٧٦م وكانت قد احتلت من قبل جزيرة بريم عام ١٨٥٨م. وتتبع الجزيرتان الآن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

وتطلق **جزائر القمر** على أرخبيل يتألف من أربع جزر كبيرة تقع إلى الشمال من مضيق موزنبيق بين جزيرة مدغشقر والساحل الأفريقي، وهي جزر مالوت وأنجوان وموهيلي ونجازنجا، وتعرف الأخيرة بقمر الكبرى ويقال إن العرب المسلمين نزلوها في القرن الرابع (١٠م) قادمين من مسقط. وذكر ياقوت عن القمر إنها جزيرة في وسط بحر الزنج «ليس في هذا البحر جزيرة أكبر منها فيها عدة مدن»[1].

وقد اعتنق سكان الجزيرة الإسلام منذ القرن الرابع الهجري أو ما قبل ذلك عن طريق المهاجرين القادمين من بلاد العرب الجنوبية والخليج. وغزاهم أمراء كلوه على الساحل الأفريقي في القرن الخامس (١١م) واستولوا على بلادهم. وبين القرنين العاشر والرابع عشر (١٦-٢٠م) حكم جزائر القمر عدة سلاطين من أهمهم سلاطين ثيبة وأنجوان ومايوت وموهيلي (محيلي). وقد قاومت الجزيرة الأخيرة على صغرها الاستعمار الفرنسي.

وقد نشأ عن امتزاج العرب في جزائر القمر مع غيرهم من سكانها السود البنتو والملاجاش سلالة مختلطة عرفت بالعرق القمري، وفي جزائر مايوت بوجه خاص نشأ عن الإختلاط ما عرف بالعرق الماهوري، ويفخر العرب في أنجوان بأصلهم العربي وقد وصلتها جماعة من شيراز بنت المساجد وأقامت سلطنة أنجوان. وسكان جزائر القمر مسلمون متدينون من أهل السنة،

(١) معجم ياقوت: مادة (قمر).

ويبنون دورهم بالحجر والحصي ويشتغلون بالزراعة وبعض الصناعات التي تعتمد على الحاصلات الزراعية ويتكلم بعضهم العربية ويتعلم الأطفال في المدارس الإبتدائية القرآن واللغة العربية.

كذلك انتشر العرب في **مدغشقر** وبخاصة في الشمال الشرقي والجنوب الغربي منها. وقد تكون الملجاش سكان الجزيرة من اختلاط الإفريقيين والعرب والملايو ويشتغل الرجال بالزراعة والنساء بالغزل والنسيج كما يشتغل الرجال في البناء وصناعات الحديد والنحاس والسلاسل الذهبية والفضية والفخار.

وتشغل قبيلة أنتيمورونا (Antaimorona) التي تدين بالإسلام جزءاً من الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة مدغشقر وقد هاجر إلى ذلك الجزء الكثير من أهالي الملايو المستعربين ولا سيما بعد عام ١٤٨٠هـ وثمة آراء ترجع بدخول الإسلام مدغشقر إلى القرن السادس أو السابع للهجرة (ق ١٣ أو ١٤م) كما ذكر جبرييل فران في بحثه عن المسلمين في مدغشقر وجزائر القمر وقد ارتاد البرتغاليون جزر القمر في القرن السادس عشر الميلادي ولكنهم واجهوا مقاومة من الأقالي في بعض الجزر فاضطروا إلى إخلائها[1]. ثم استعمرها الفرنسيون في القرن التاسع عشر الميلادي وكانوا يديرونها من مدغشقر. وقد تمتعت جزر القمر بالحكم الذاتي في عام ١٩٦١م ثم أعلن استقلالها.

الملامح الطبيعية :

هذه الجزر بركانية ولا يزال بركان كارتالا نشطاً في الجزيرة الكبرى. وترتفع كتل البازلت شاهقة إلى ارتفاع يتراوح بين ٥٠٠–٢٠٠٠ متراً، وسواحلها ضيقة ويحيط بسواحلها الحواجز المرجانية.

(١) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة ص ١٢٨–١٣٠، عبد الرحمن زكي : المسلمون في العالم اليوم، ٢ : إفريقية الإسلامية ص ١٤٠–١٤٥.

ويقع الأرخبيل بين دائرتي العرض ١١° و١٣° جنوب خط الاستواء. ومناخها مداري رطب وتسقط عليها الأمطار الموسمية من نوفمبر إلى أبريل في كميات كبيرة. وتصل درجة حرارتها إلى الذروة في فصل الشتاء (الجنوبي) فيما بين مايو وأكتوبر وينمو على الساحل غطاء نباتي كثيف من غابات المانجروف والغابات المدارية.

الاقتصاد :

تعتمد جزر القمر في اقتصادها على إنتاج المحاصيل المدارية ولا سيما التوابل (الفانيليا والقرفة) وتزرع أيضاً النباتات التي تدخل في صناعة العطور كما تزرع البن والفواكه المدارية مثل المانجو والحمضيات ولكن صادراتها أقل دائماً من وارداتها ويهاجر كثير من أهلها إلى ملاجاش (مدغشقر).

السكان :

يبلغ عدد سكان هذه الجزر نحو ثلث مليون نسمة. وهم موزعون توزيعاً غير متساو بين الجزر. ولكن كثافتهم مرتفعة تصل إلى ٢٤٥ شخصاً في الكيلومتر المربع في جزيرة أنجوان و١١٨/كم^2 في جزيرة القمر الكبرى وتقل إلى ٤٠/كم^2 في جزيرة موهيل وهذه الجزر بحكم موقعها في أحد أركان المحيط الهندي، كانت محطة للتجار الذين ارتادوا هذا المحيط فيما بين الساحل الإفريقي والساحل العربي والساحل الهندي وجزر أندونيسيا. ولذلك فسكان هذه الجزر خليط من الملايو والملاجاش وسكان مدغشقر الذين من أصل ملايوي كذلك) والعرب والهنود والصينيين والإيرانيين مع بعض الدماء الإفريقية. والإسلام هو الدين الغالب في هذه الجزر، والعربية هي لغة الإدارة ولغة التعليم الإسلامي، واللغة الدارجة هي السواحلية (وهي اللغة السائدة في شرق أفريقية كلها) وتكتب بحروف عربية، ويسكن موروني العاصمة نحو ١٢٥٠٠ نسمة وبورت أمودا في جزيرة أنجوان ٨٠٠٠ نسمة.

البلدان الاسلامية في قارة أوربة

محمود محمد شاكر

آخر بمدينة «البازان». ويلي ميناء دورازو في الأهمية ميناء «فلورا». هذا والمواصلات صعبة في أنحاء ألبانيا ومن هنا قلت فيها الخطوط الحديدية والطرق البرية المعبدة.

السكان :

ينتمي الألبانيون إلى العناصر الأليرية أقدم المجموعات التي سكنت جنوب شرقي أوربة، وتشبه بصفاتها الجسمية السلاف الجنوبيين من حيث القامة الطويلة، والرأس المستدير والأنف المقوسة والشعر الإسود. والسكان مجموعتان :

غنجاريا : ويعرف من ينتمي إليها باسم «الغج».

توسكاريا : ويسمى المنتمون إليها «التوسك».

ويفصل بين المجموعتين تقريباً مجرى نهر شكومبي وتقسم كل مجموعة إلى عدد من القبائل كما توجد عناصر أخرى من الصرب والرومان واليونان والأتراك والبلغار بالإضافة إلى عدد قليل من الغجر.

وقد ظل سكان الجبال منعزلين لا يختلطون بغيرهم، ويتم الزواج عادة كن خارج القبيلة. ويطلق الألبانيون على أنفسهم اسم «سكيتبار» ويسميهم الأتراك «الأزناؤوط».

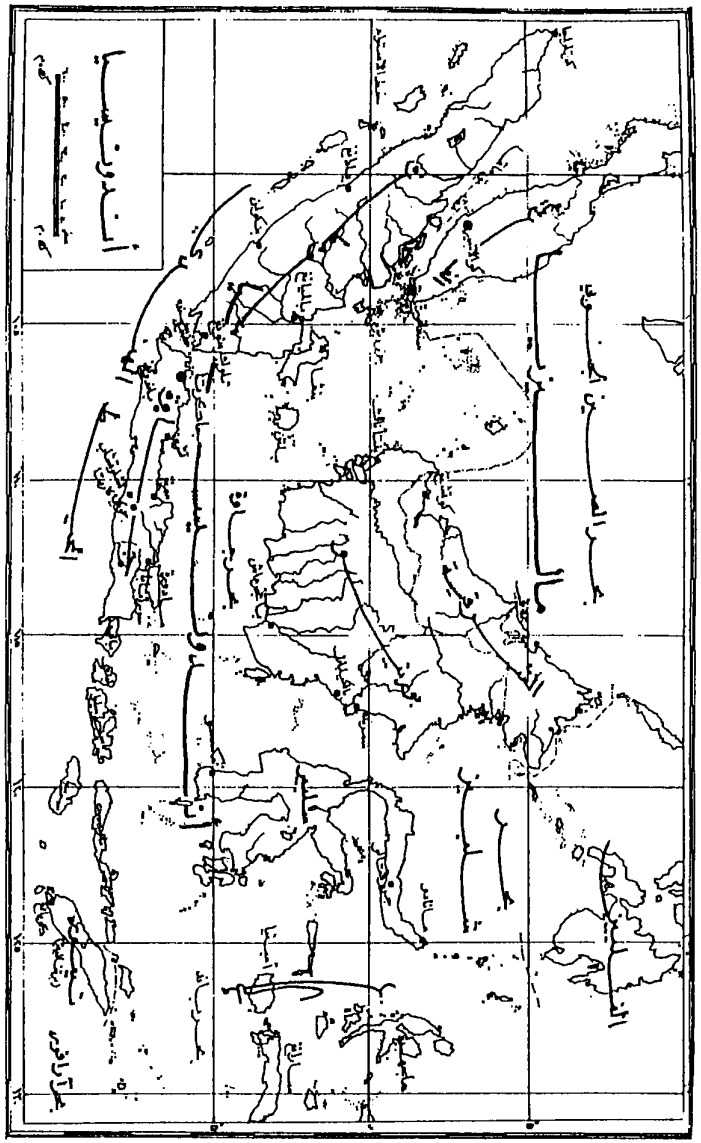
ويوزع السكان حسب العقائد الدينية على النحو التالي :

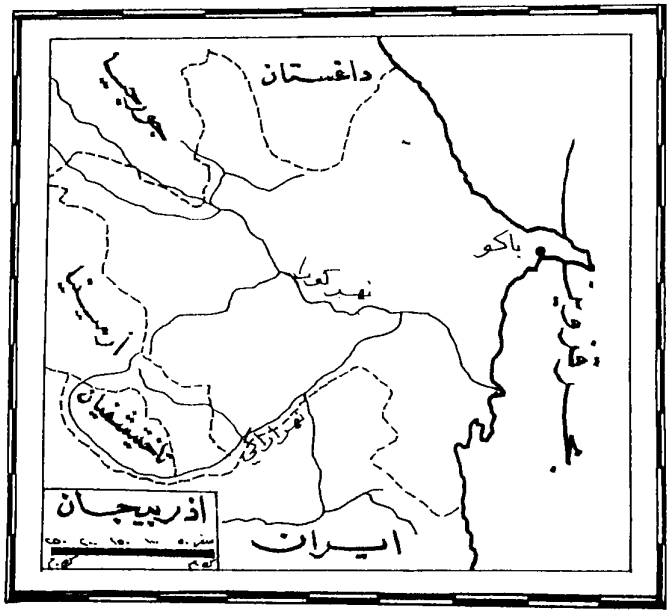
المسلمون	٧٢٪	وعددهم	١,٦١٧,٥٠٠ نسمة
النصارى «الارثذوكس»	١٧٪	وعددهم	٣٨٢,٥٠٠ نسمة
النصارى «الكاثوليك»	١٠٪	وعددهم	٢٥٠,٠٠٠ نسمة
	١٠٠٪		٢,٢٥٠,٠٠٠ نسمة

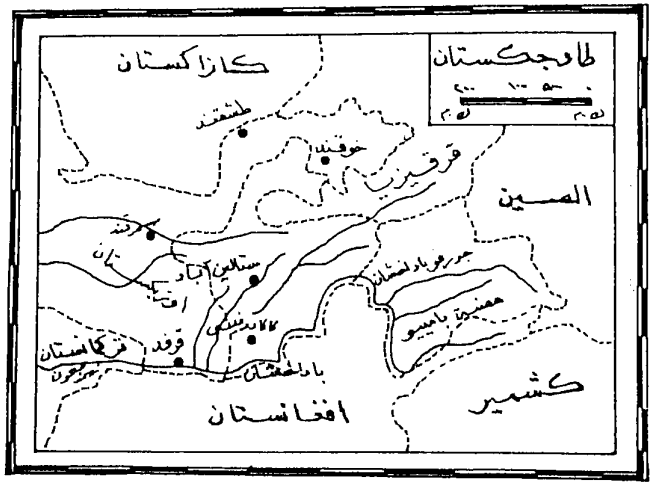
وإلى جانب ذلك يوجد قليل من اليهود.

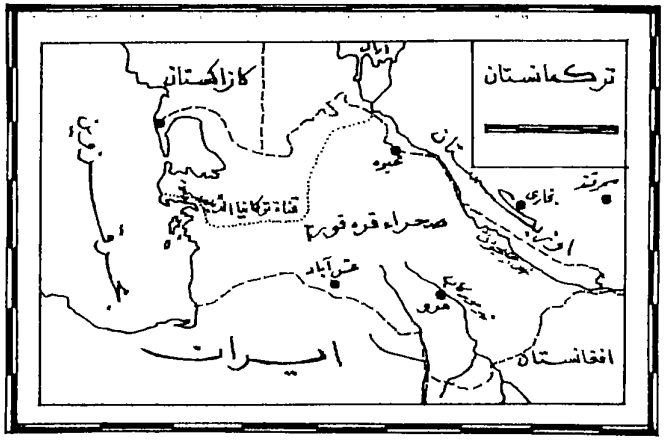
وتزيد الكثافة السكانية على ٨٠ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد.

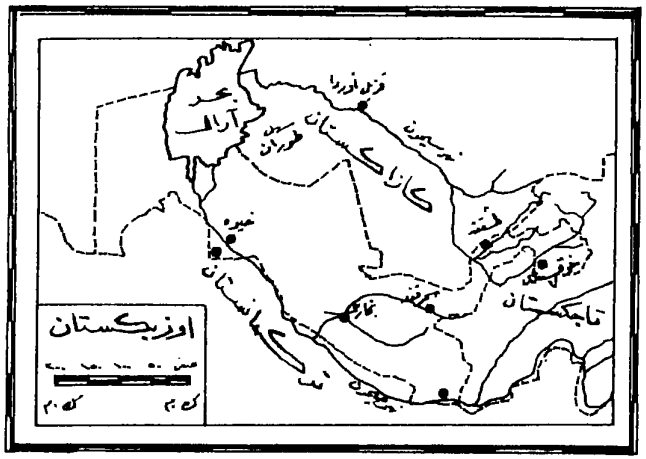
وقد وقف الألبانيون في وجه الغزاة الذين جاءوهم سواء من الشمال أو الشرق، وانعزلوا في جبالهم معتصمين في قلاعهم، واحتفظوا باستقلالهم.



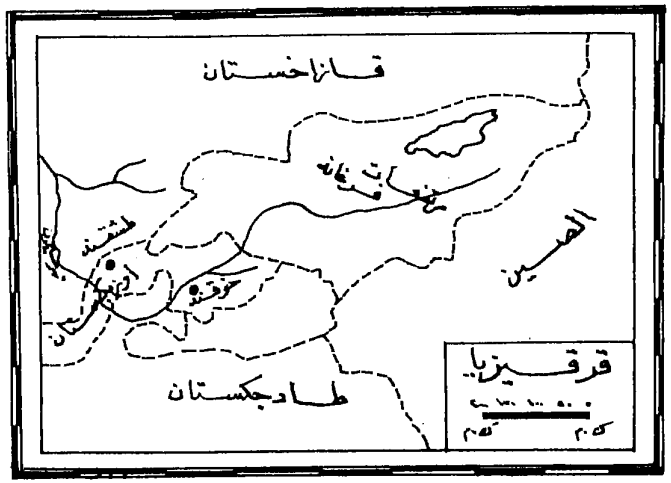

داغستان
باکو
اذربیجان
ایران


طاجیکستان
کازاکستان
الصین
کشمیر
افغانستان


ترکمانستان
کازاکستان
ایران
افغانستان


کازاکستان
اوزبکستان
تاجیکستان

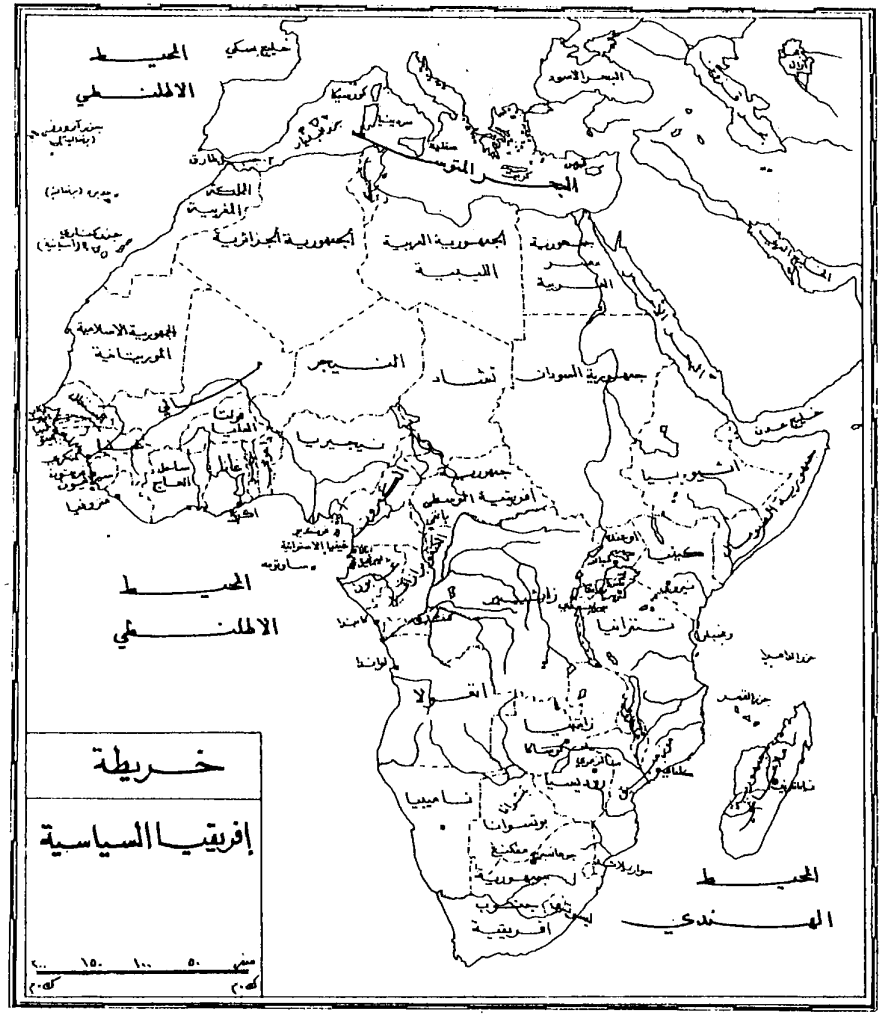


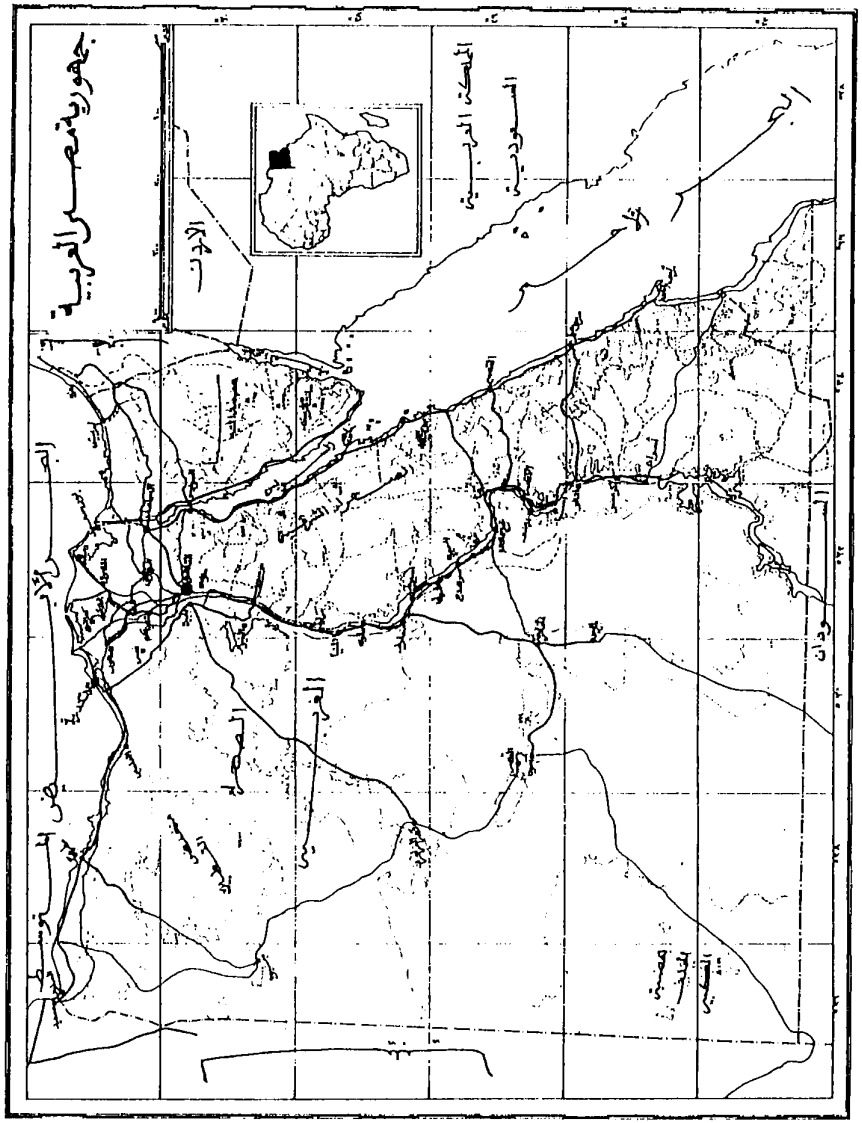


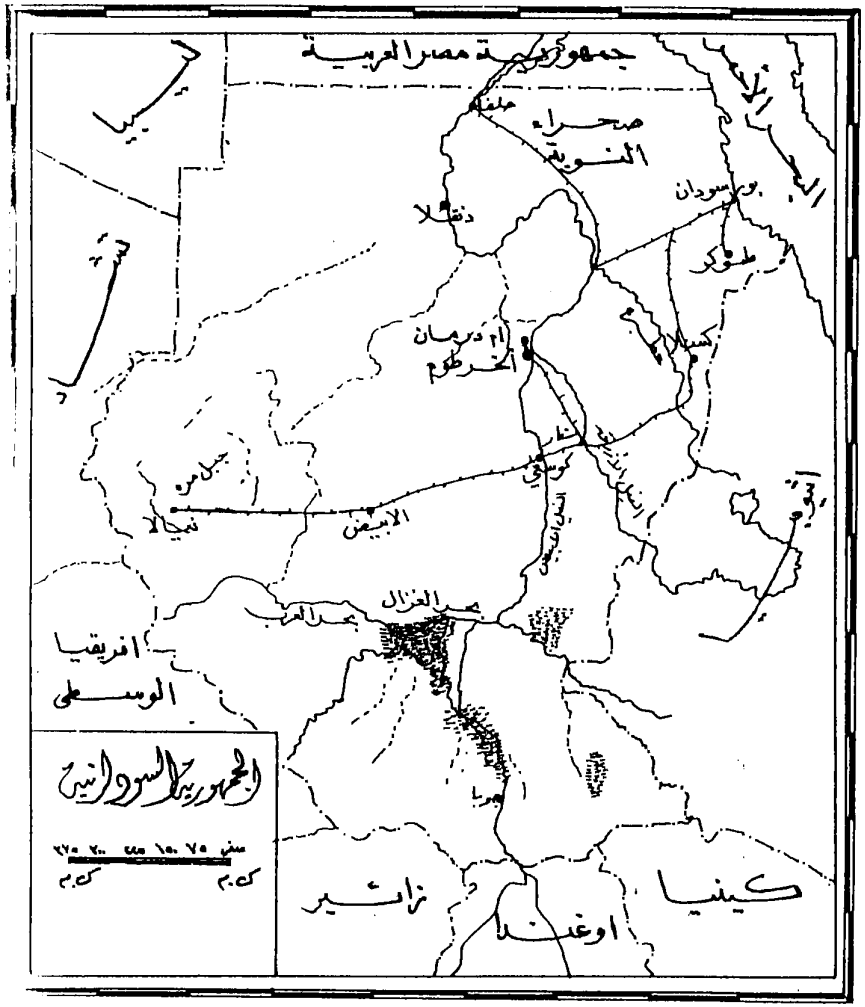
(ب) خرائط

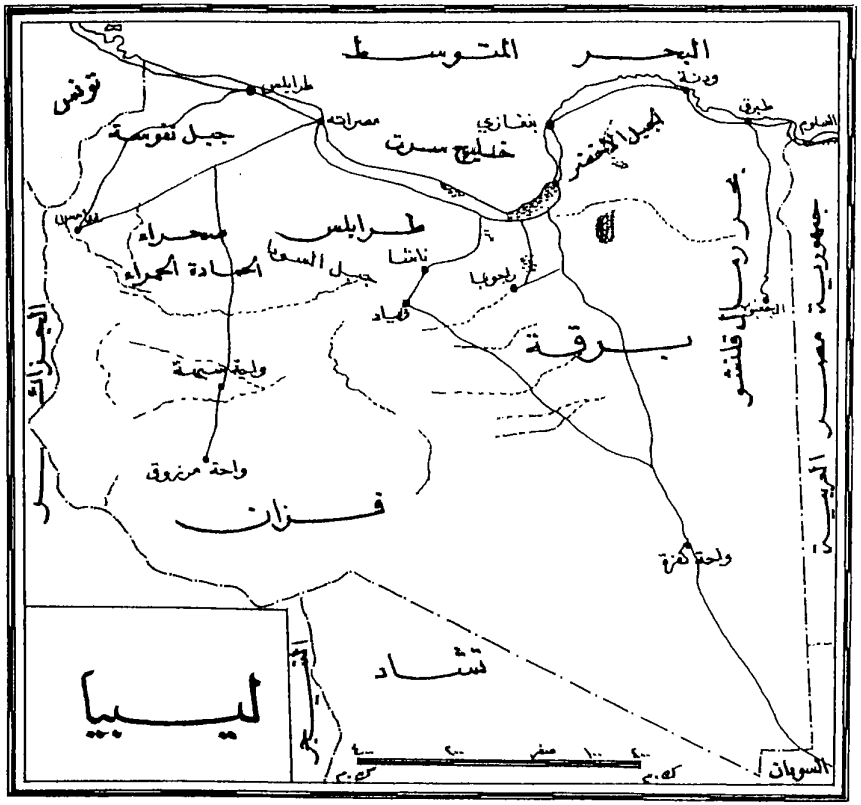
البلدان الاسلامية

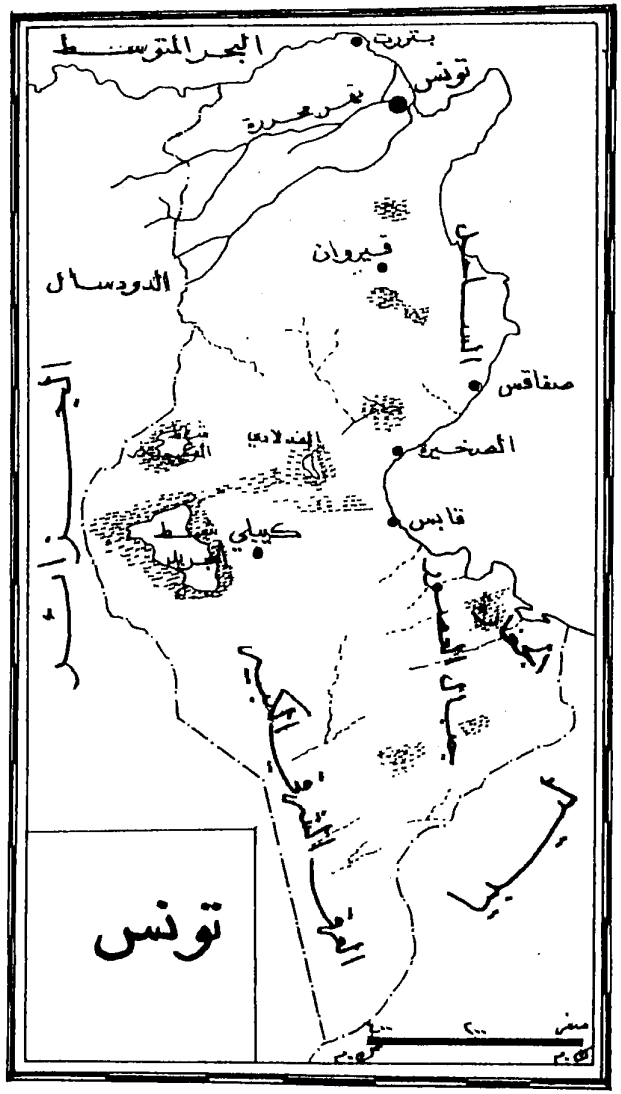
في قارة افريقية

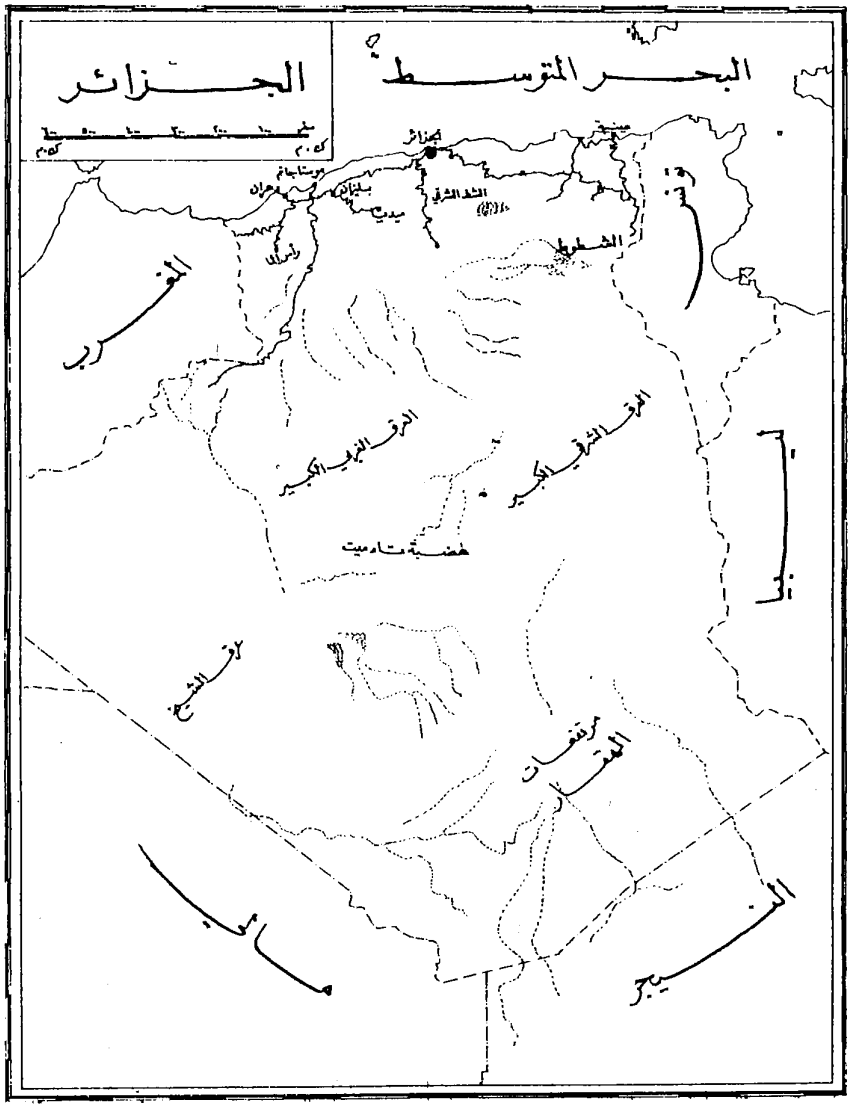

المحيط
الاطلنطي
البحر المتوسط
الجمهورية الجزائرية
الجماهيرية العربية الليبية
الجمهورية المصرية
الجمهورية الاسلامية الموريتانية
النيجر
تشاد
جمهورية السودان
نيجيريا
اثيوبيا
كينيا
تنزانيا
انغولا
ناميبيا
المحيط
الاطلنطي
المحيط
الهندي
خريطة
إفريقيا السياسية


جمهورية مصر العربية
السودان
البحر الأحمر
الحدود المصرية السودانية
البحر الأبيض المتوسط
ليبيا
تشاد

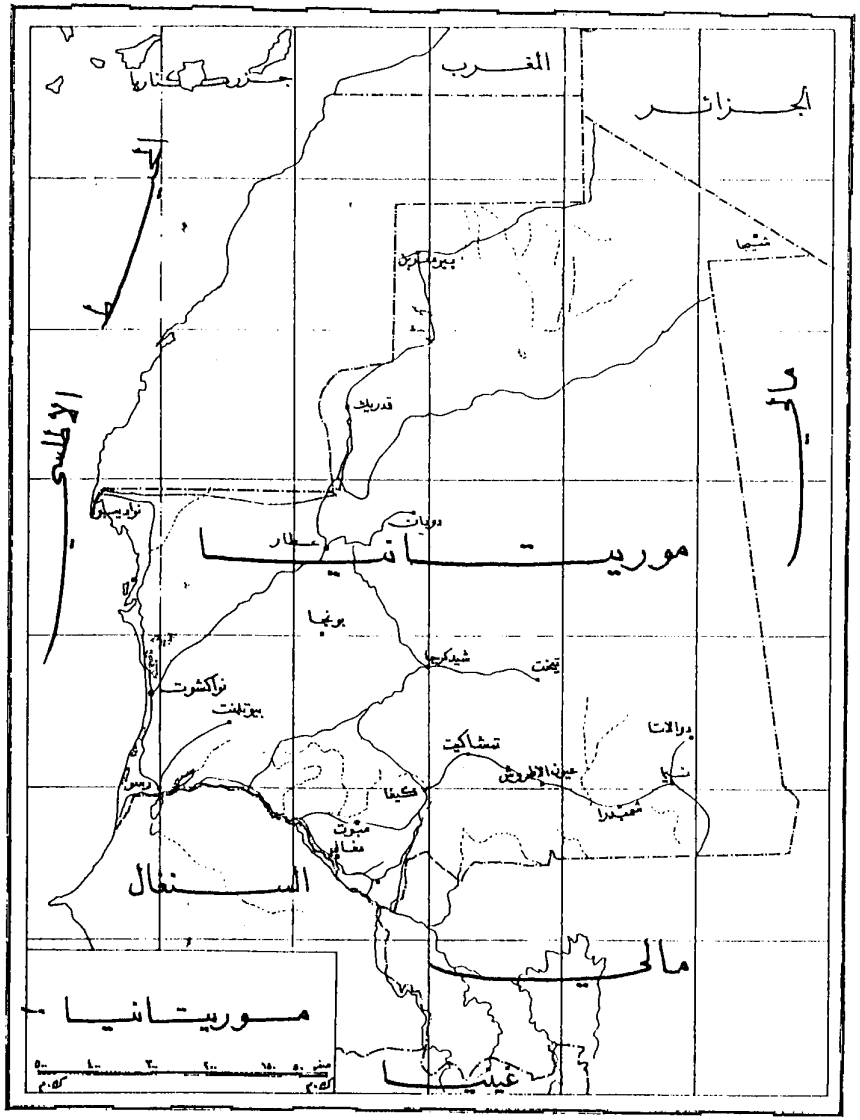

جمهورية مصر العربية
ليبيا
تشاد
صحراء النوبة
السودان
دنقلا
عطبرة
كسلا
أم درمان
الخرطوم
جبل مرة
نيالا
الأبيض
سنار
الدمازين
أثيوبيا
بحر الغزال
بحر العرب
افريقيا الوسطى
زائير
أوغندا
كينيا
الجمهورية السودانية
متر ٧٥ ١٥٠ ٢٢٥ ٣٠٠ ٣٧٥
ك.م

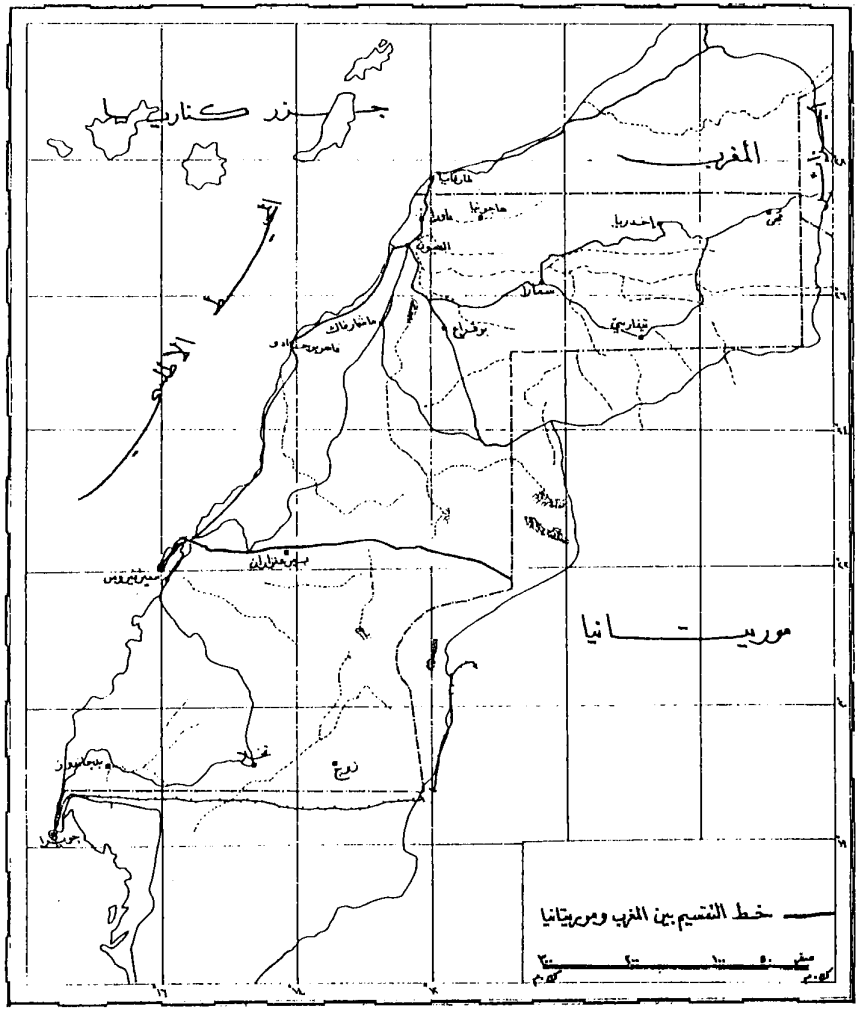

البحر المتوسط
طرابلس
ودنة
توغن
مصراته
بنغازي
طبرق
جبل نفوسة
خليج سرت
الجبل الأخضر
الصلوم
طرابلس
الصحراء
ناشا
ريبوبا
جبل السعدا
الحمادة الحمراء
بحر رمال قلنشو
جمهورية مصر العربية
قمياد
برقة
واحة سمنة
الجزائر
واحة مرزوق
فزان
واحة كفرة
تشاد
ليبيا
السودان


البحر المتوسط
بنزرت
تونس
تونس
القيروان
الدوسال
صفاقس
المنستير
المهدية
الصخيرة
قابس
كبيلي
الجزائر
تونس

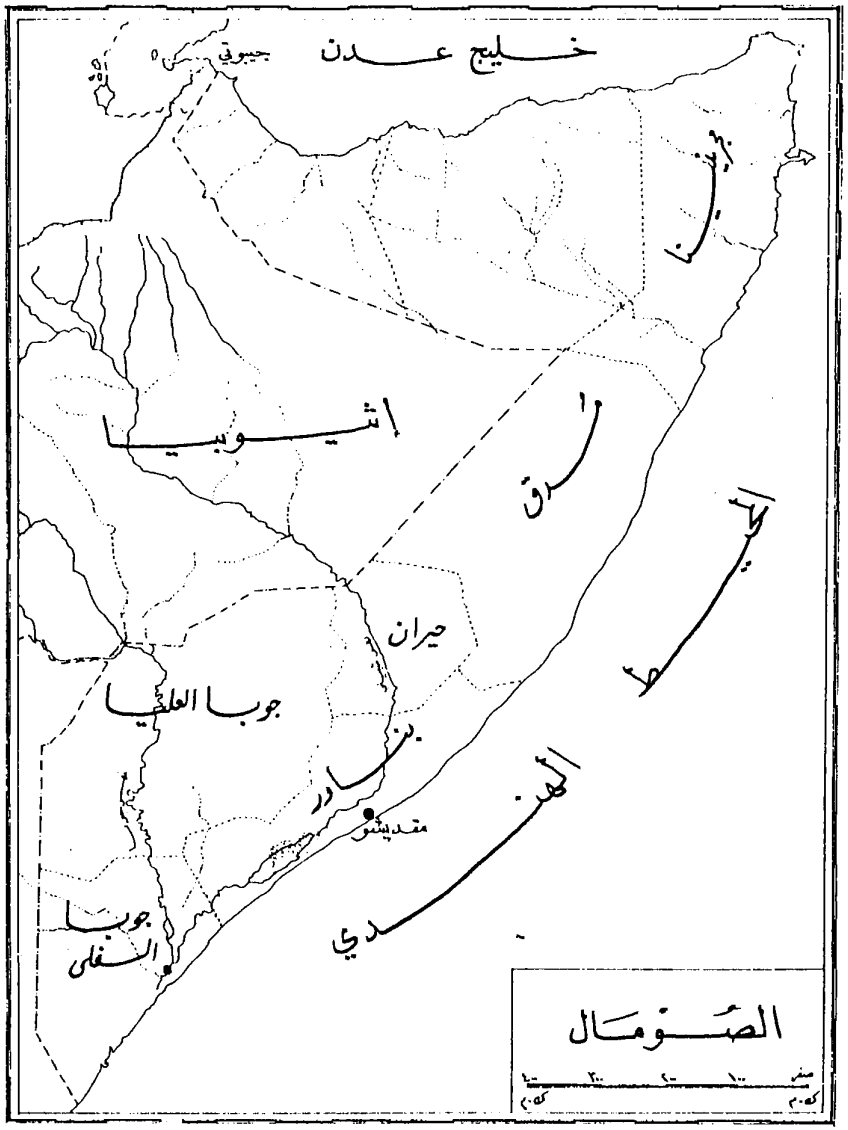

البحر المتوسط
الجزائر
المغرب
العرق الشرقي الكبير
العرق الغربي الكبير
هضبة تادميت
الحمادة
الحمادة
الحمادة
النيجر
ليبيا

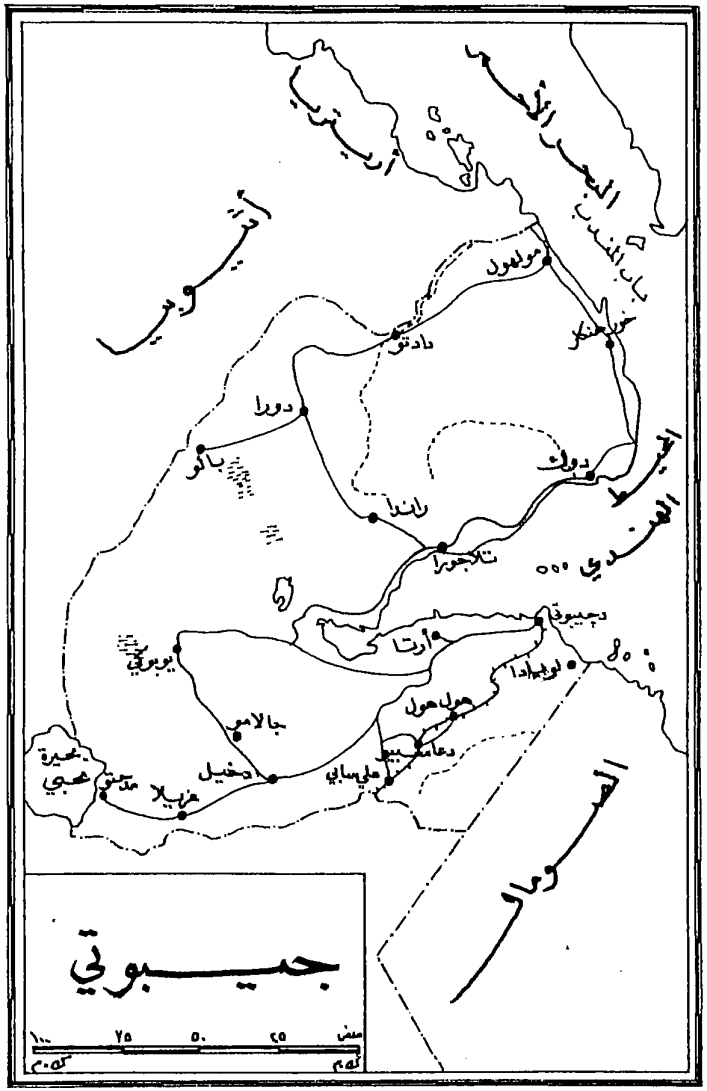

البحر المتوسط
المحيط الأطلنطي
الرباط
الدار البيضاء
الريف
الأطلس الوسطى
الأطلس العليا
الأطلس الصحراوي
آسفي
واد درعة
المملكة المغربية
المملكة المغربية





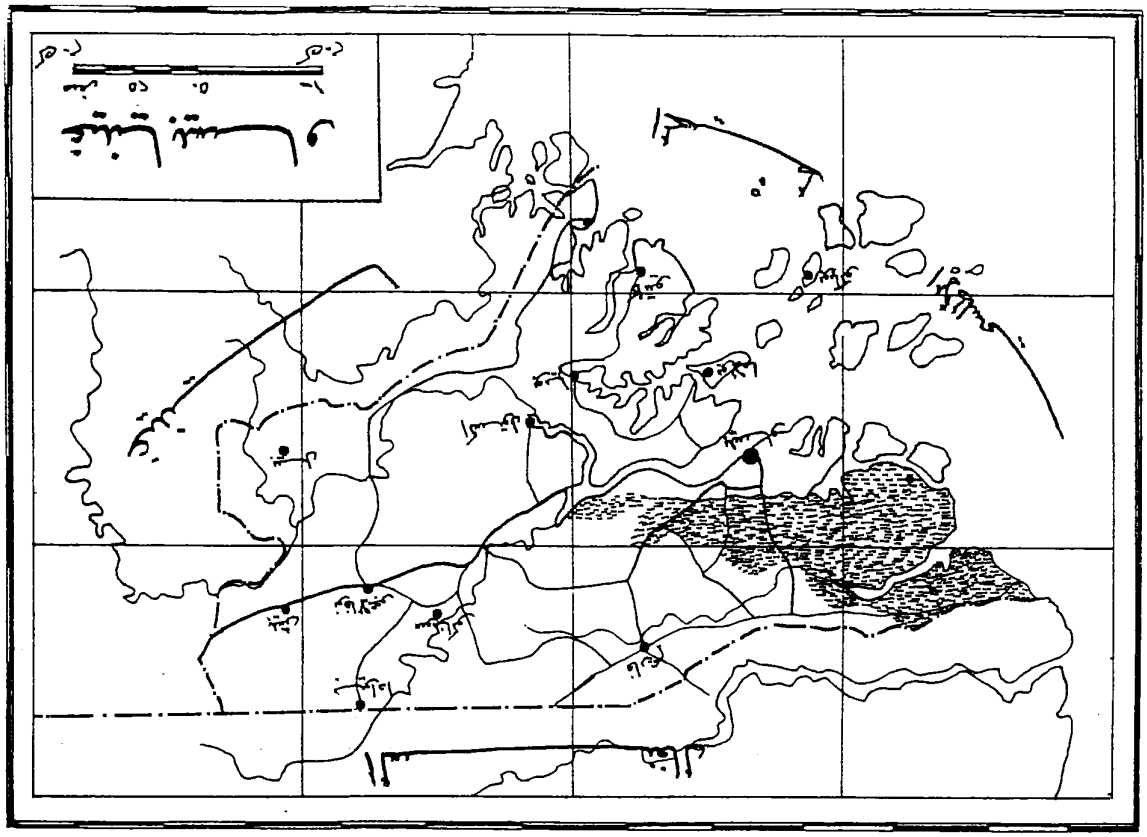
تقسيم الصحراء التي كانت تسمى "بالأسبانية"
بين المغرب وموريتانيا

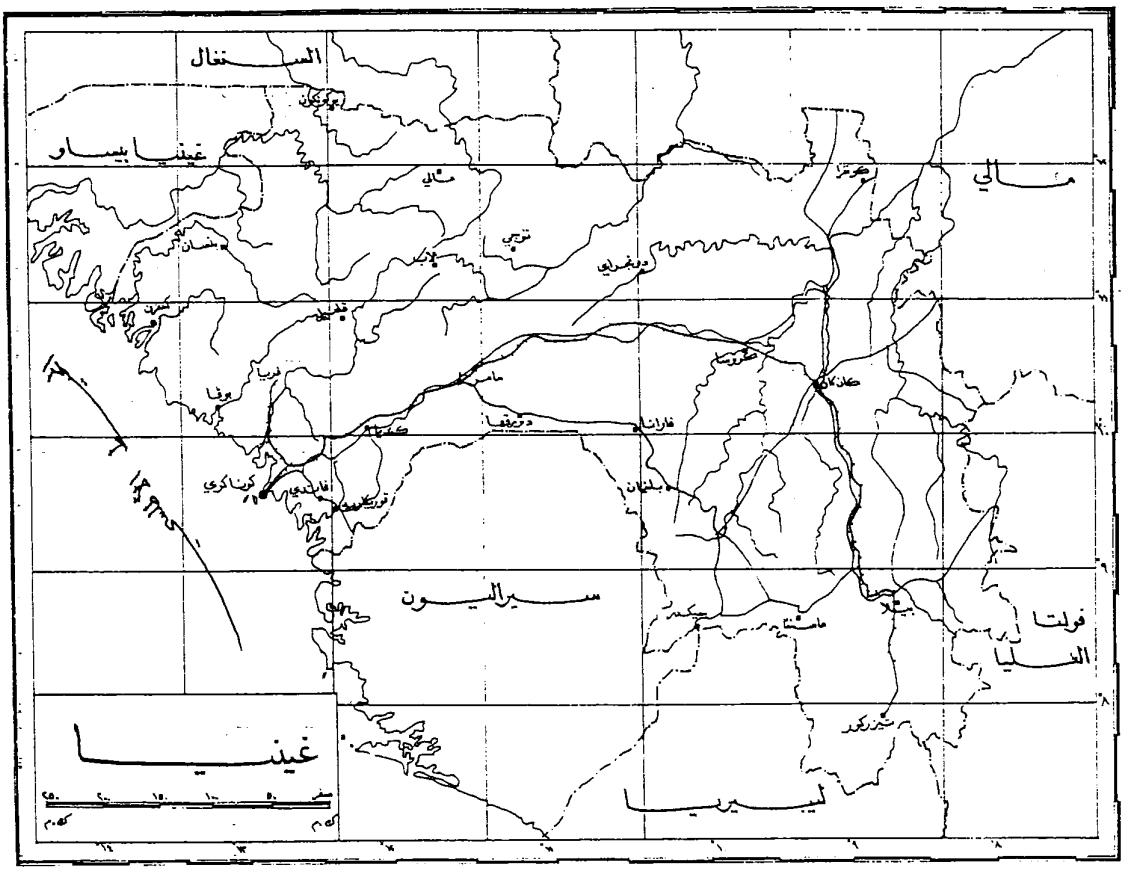

خليج عدن
جيبوتي
إثيوبيا
أوغادين
حيران
جوبا العليا
بنادر
مقديشو
جوبا السفلى
المحيط الهندي
الصومال

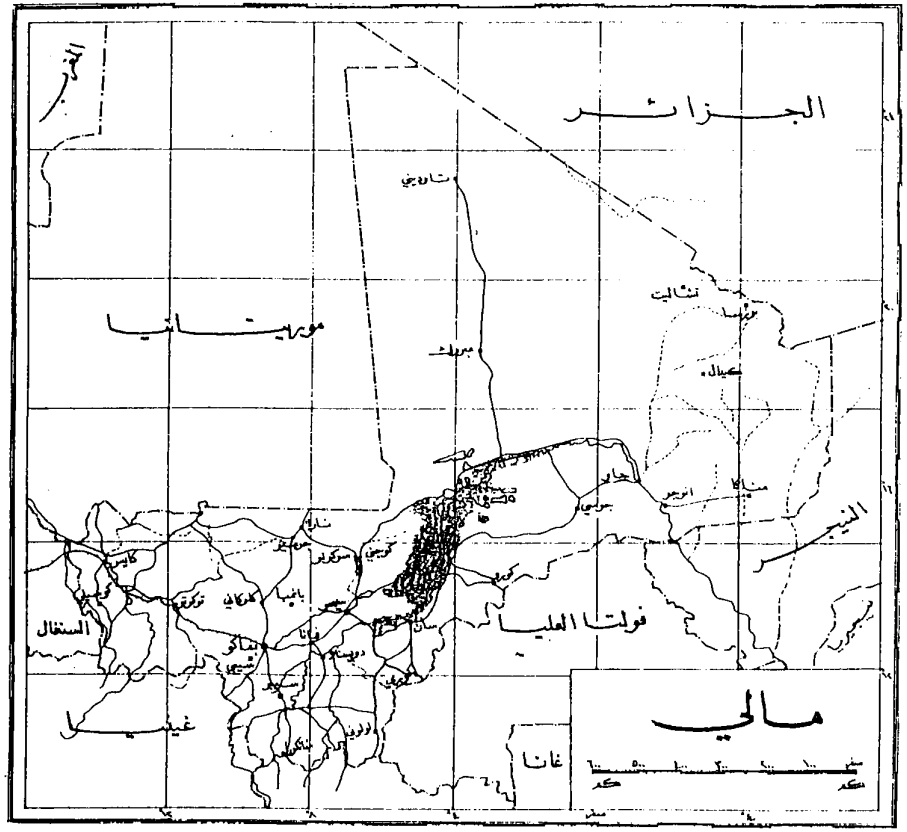

إثيوبيا
البحر الأحمر
خليج عدن
مولهول
دادتو
دورا
باكو
دوك
لاندا
تاجورا
جيبوتي
أوبيا
يوبوكي
لوبيادا
جالامو
دخيل
مديو
عبي
مزيلا
المحيط الهندي
الصومال
جيبوتي

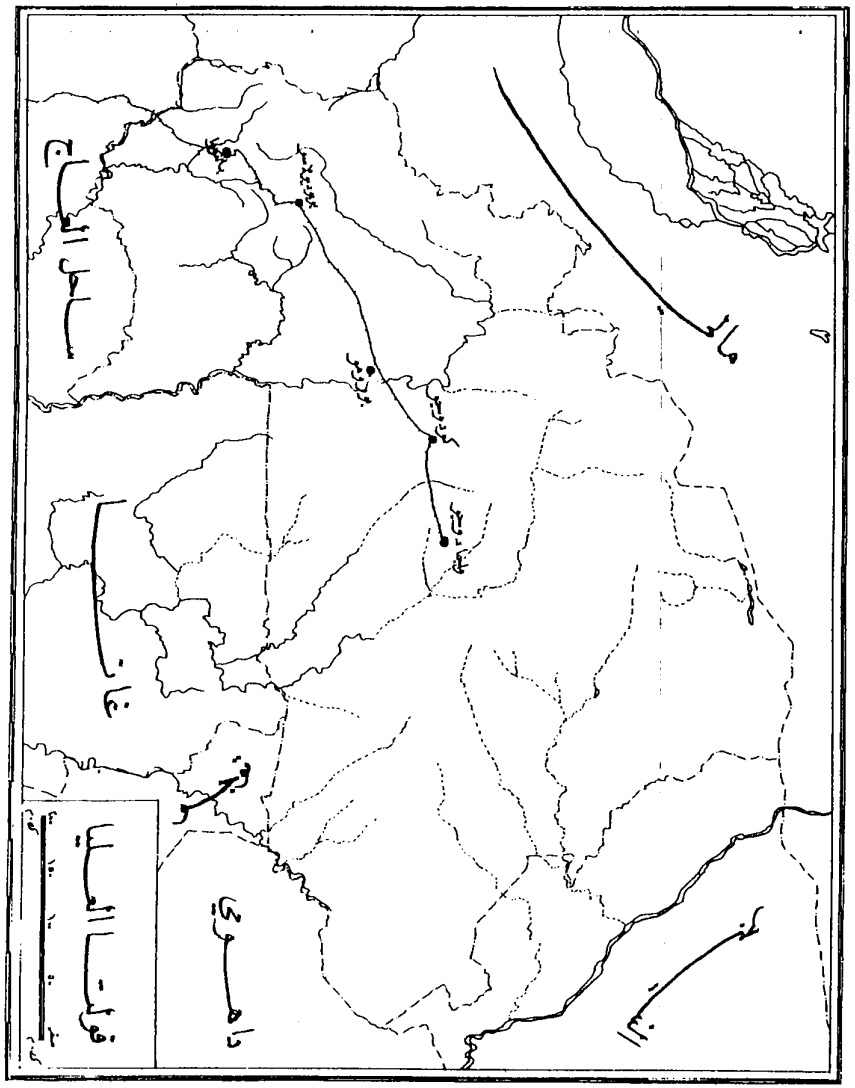
الأسكتفال
موريتانيا
غينيا بيساو
غينيا

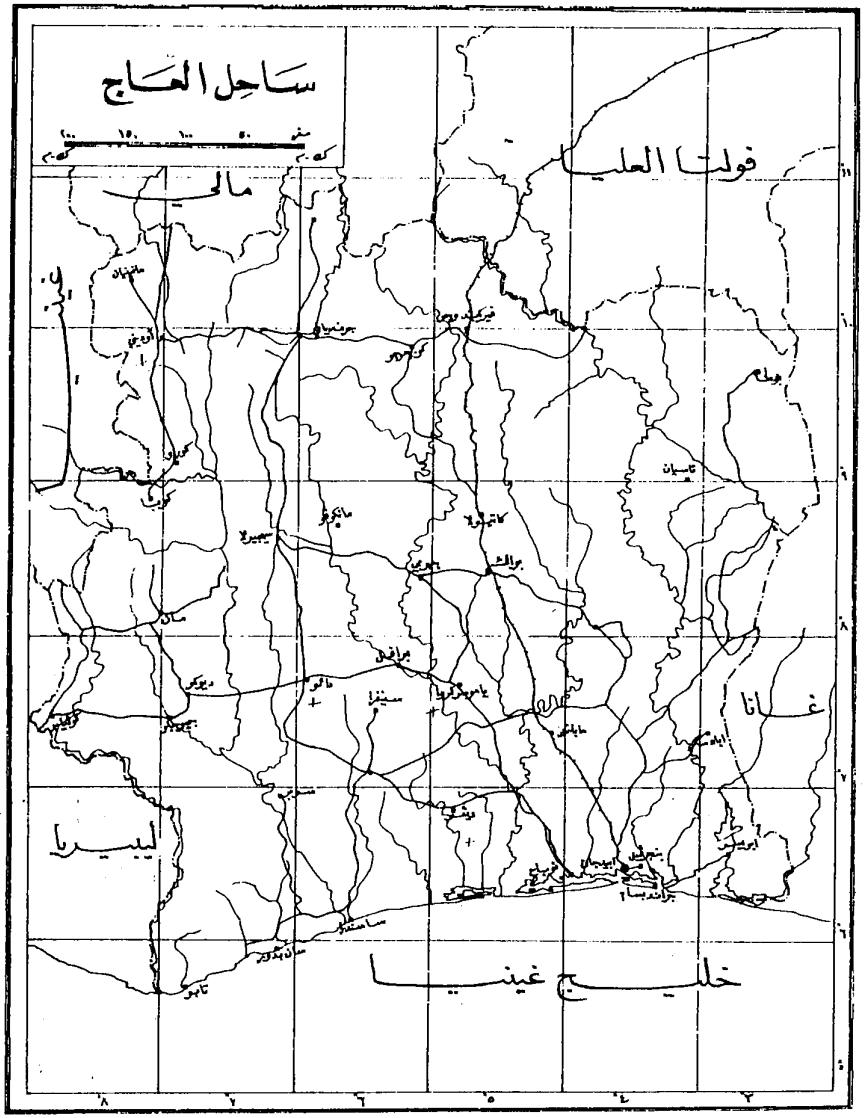
المحيط الأطلسي
الساقية الحمراء
وادي الذهب



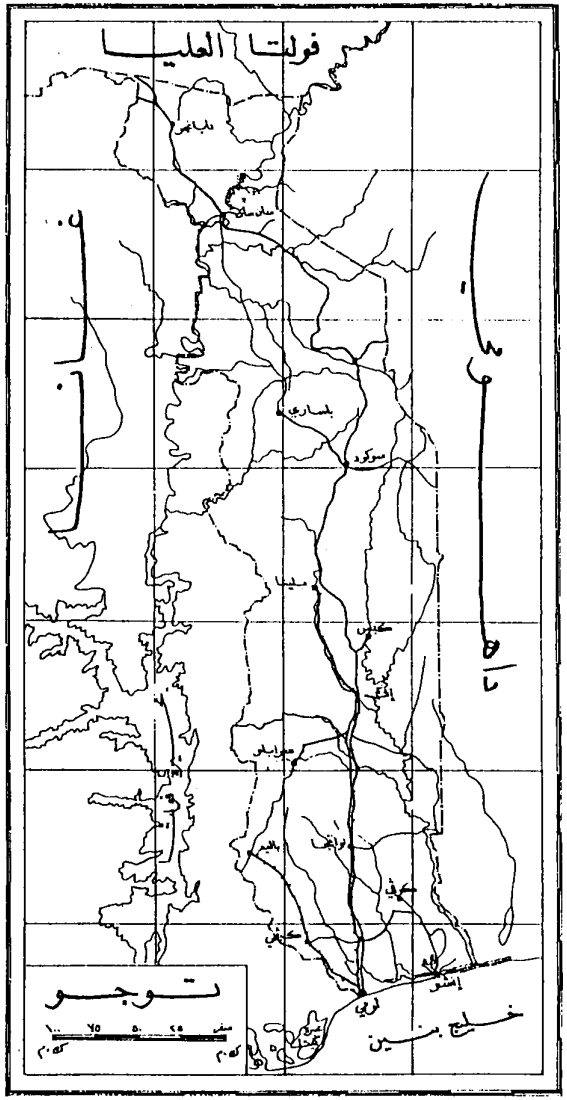

السنغال
غينيا بيساو
مالي
سيراليون
غينيا
ليبيريا
فولتا العليا

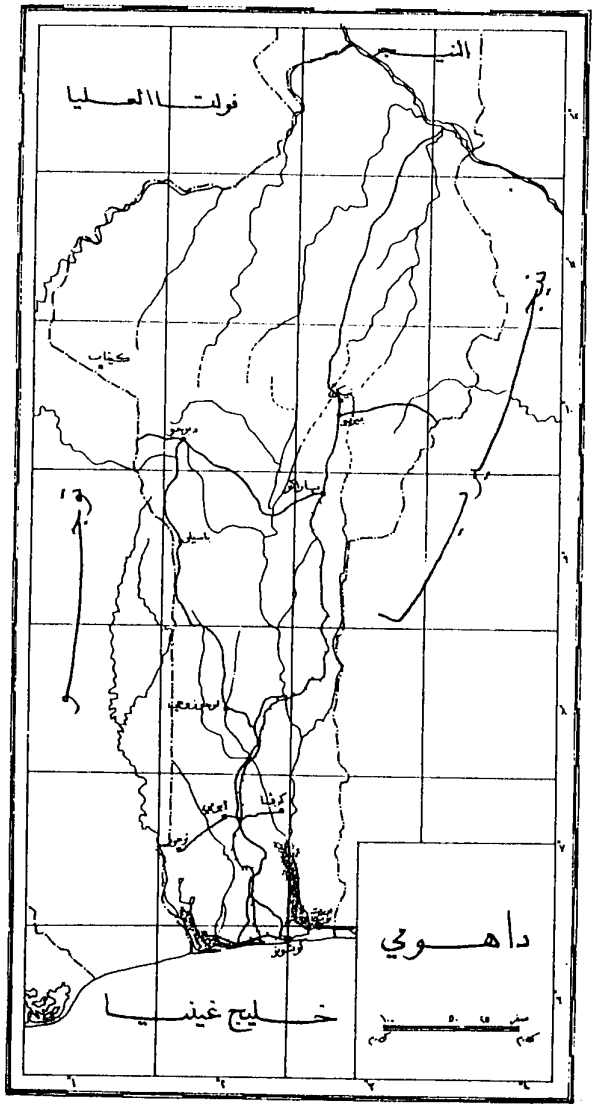

الجزائر
موريتانيا
النيجر
فولتا العليا
غانا
مالي


مالي
غانا
فولتا العليا


ساحل العاج
فولتا العليا
مالي
غانا
ليبيريا
خليج غينيا

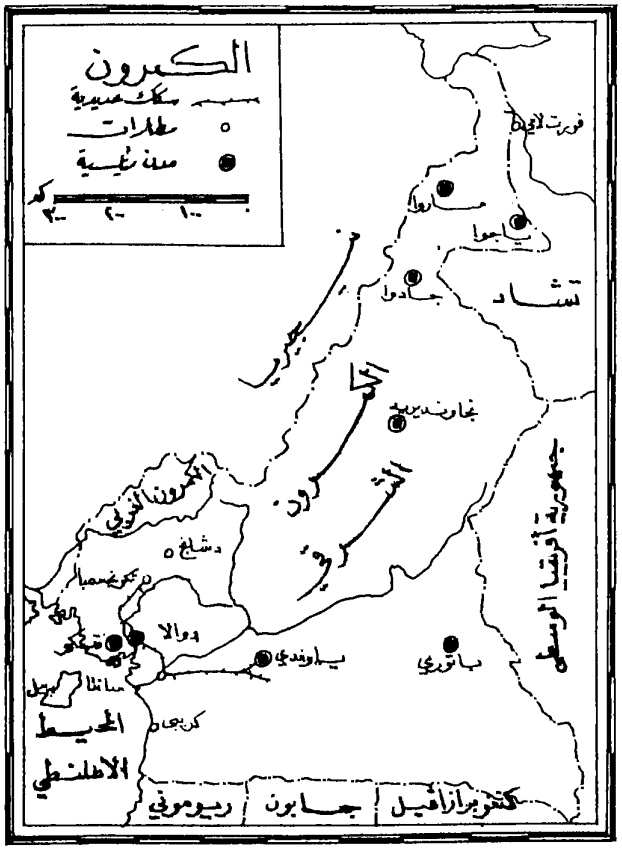

سيراليون

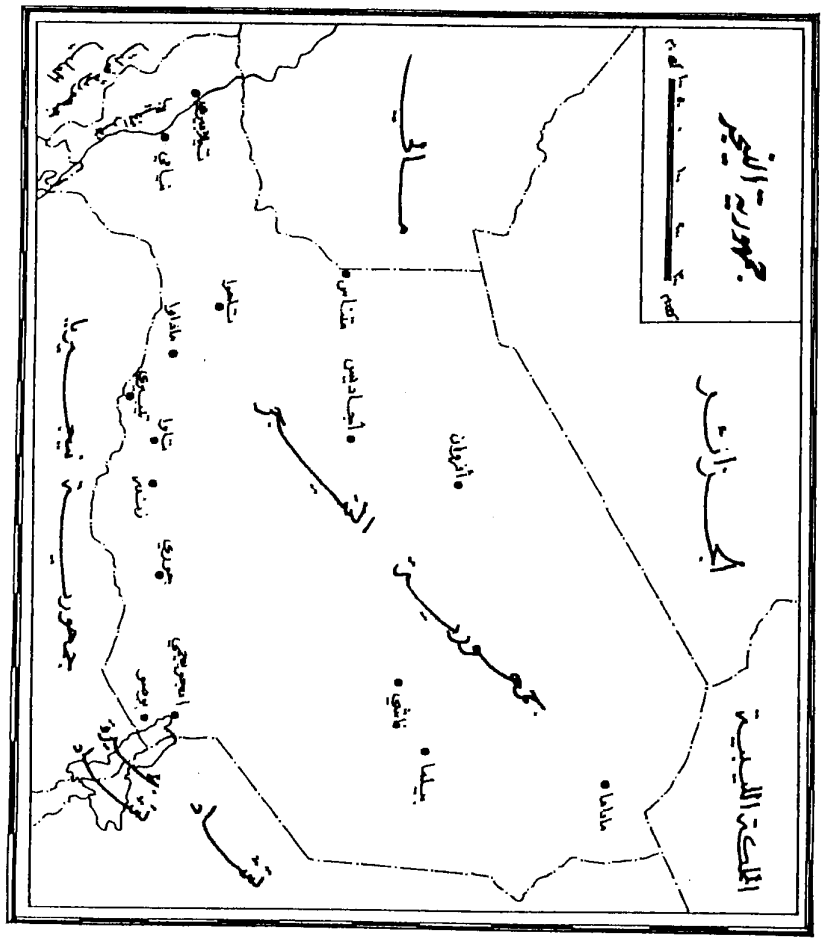

فولتا العليا
توجو
خليج بنين


النيجر
فولتا العليا
كيتاب
داهومي
خليج غينيا

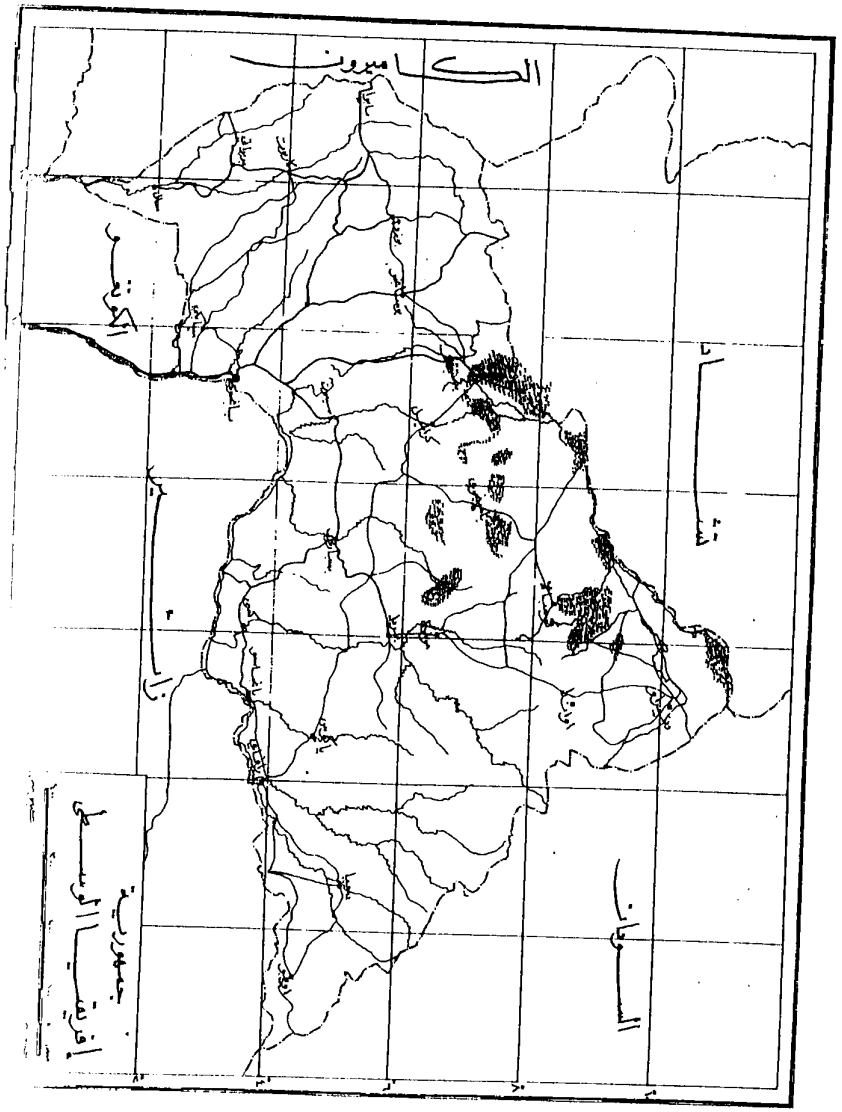
نيجيريا
الكاميرون
خليج غينيا
النيجر
تشاد
بحيرة تشاد
كانو
كادونا
إبادان
لاجوس
بنين
بورتو نوفو
بنوي
بنو
جوس
مايدوجوري
سوكوتو
كاتسينا
أوشي
أوندو
أنامبرا
إينوجو
أبا
كالابار
بورت هاركورت
أكوا
كالابار
الكاميرون
الجابون
غينيا الاستوائية
ساو تومي وبرنسيبي
ليبريفيل
بورت جنتيل
ليبرفيل
ساو تومي
برنسيبي
ألمبا
فرناندو بو
الجابون
غينيا الاستوائية
ساو تومي وبرنسيبي
ليبريفيل
بورت جنتيل
ساو تومي
برنسيبي
ألمبا
فرناندو بو

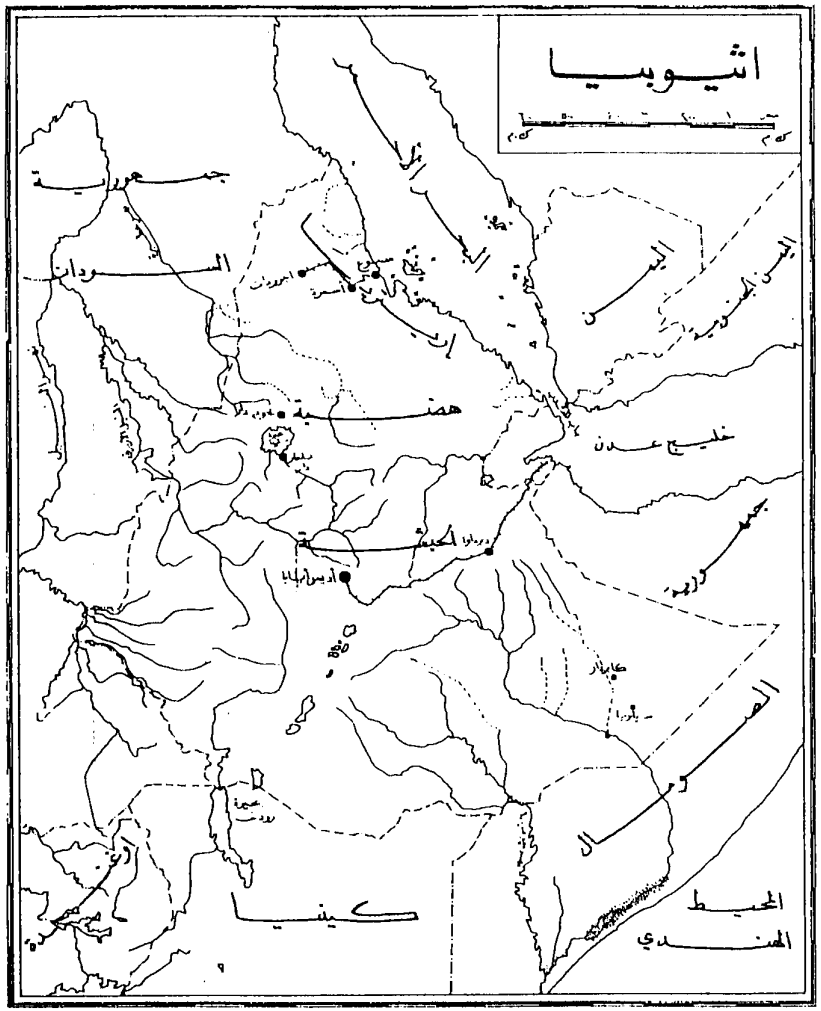
نيجيريا
الكاميرون
النيجر
تشاد
بحيرة تشاد
كانو
كادونا
إبادان
لاجوس
بنين
بورتو نوفو
بنوي
بنو
جوس
مايدوجوري
سوكوتو
كاتسينا
أوشي
أوندو
أنامبرا
إينوجو
أبا
كالابار
بورت هاركورت
أكوا
كالابار
الكاميرون
الجابون
غينيا الاستوائية
ساو تومي وبرنسيبي
ليبريفيل
بورت جنتيل
ساو تومي
برنسيبي
ألمبا
فرناندو بو
الجابون
غينيا الاستوائية
ساو تومي وبرنسيبي
ليبريفيل
بورت جنتيل
ساو تومي
برنسيبي
ألمبا
فرناندو بو

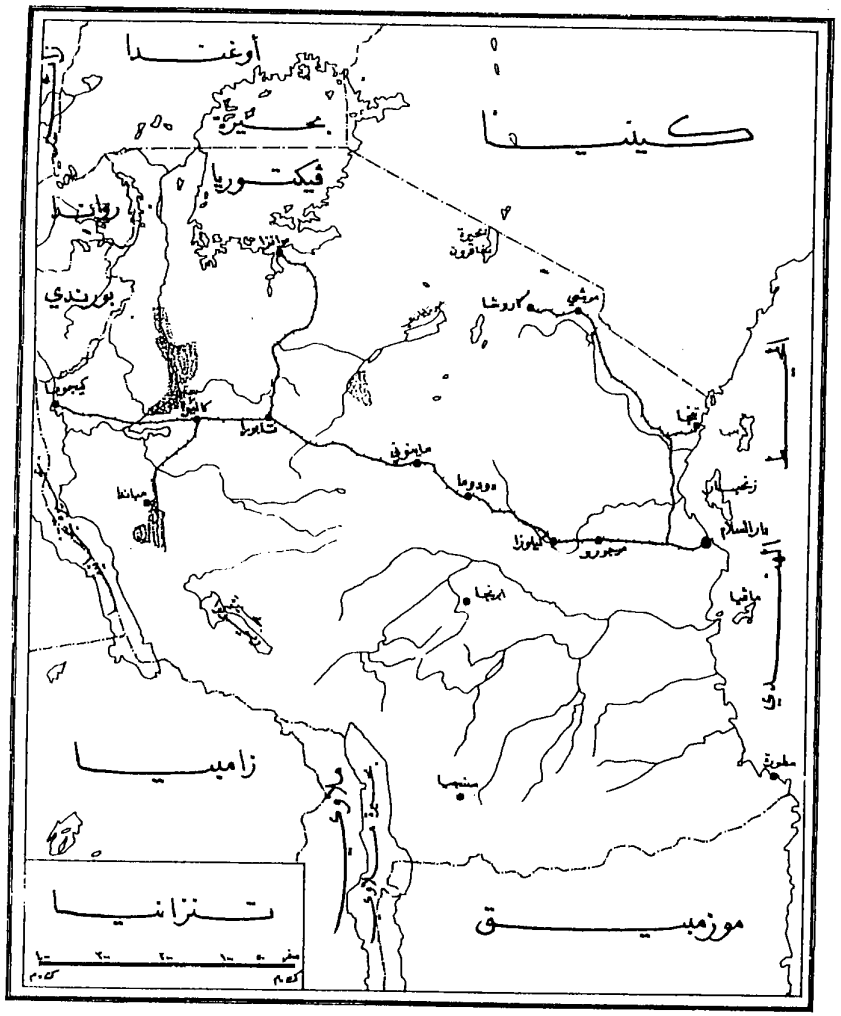

الكمرون
مدن رئيسية
عواصم
فورت لامي
مسارفوا
ياوندي
جادولا
تشاد
بحيرة تشاد
الكمرون
بحر الغزال
بحر شاري
بحيرة تشاد
بحاروندي
الكمرون الغربي
دشانغ
دوالا
ياوندي
ليبرفيل
كريبي
المحيط الاطلنطي
كنغو برازافيل
جابون
ريوموني
جمهورية افريقيا الوسطى

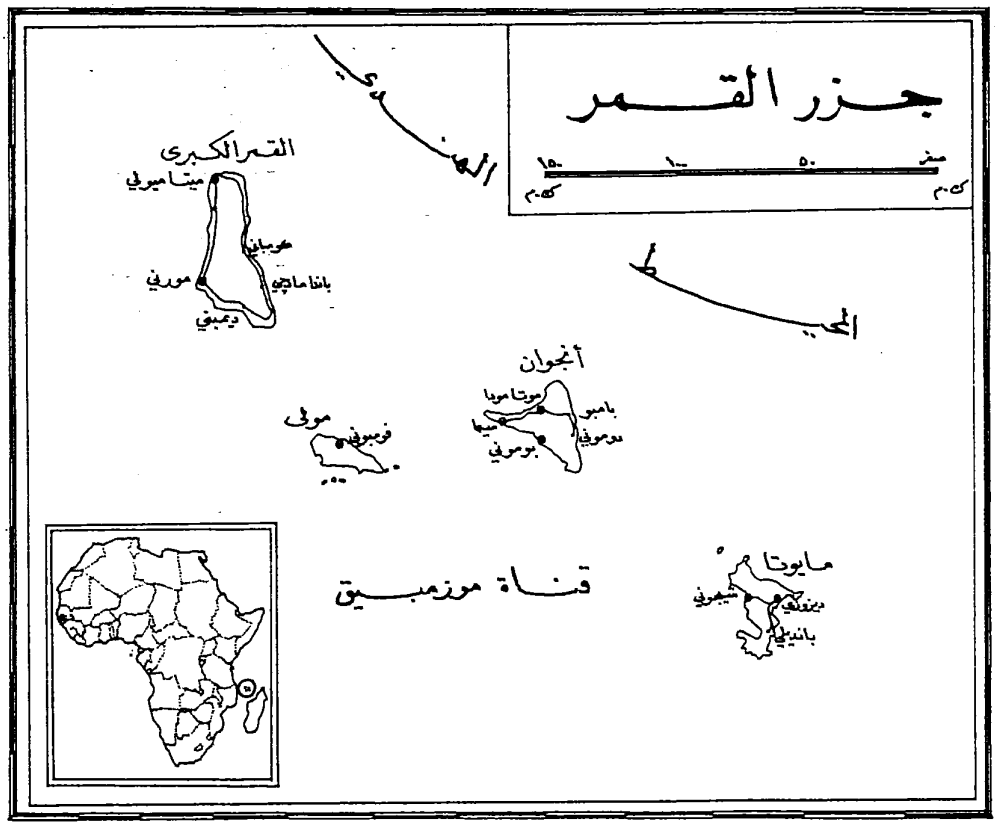

جمهورية النيجر
الجزائر
المملكة الليبية
مالي
النيجر
تشاد
نيجيريا
جمهورية بنين
توغو
غانا
بوركينا فاسو
ساحل العاج
غينيا
ليبريا
سيراليون
موريتانيا
السنغال
غامبيا
غينيا بيساو
أغاديس
أنيران
بلما
ماداما
زندر
تاهوا
ماداوا
نيامي
بوسو
سيغو
تمبكتو
أغاديس ناسر


تشاد
كتلة تيبستي
باروالي
قمة ايمي كوسي
(٣٤٠٠م)
حجار
منخفض بودليلي
عين ملاكا
فادا
عرف
چوادب
ارادا
ابشيه
ماماتشاد
بحيرة فيتري
فورت لامي
بركاس
فورت ارشامبولت
جمهورية
افريقية الوسطى
الكاميرون
السودان
جمهورية
النيجر


الكاميرون
جمهورية
افريقيا الوسطى
السودان


اثيوبيا
جمهورية
السودان
البحر الأحمر
اليمن
خليج عدن
بحر العرب
الصومال
المحيط الهندي
كينيا


أوغندا
كينيا
فيكتوريا
بحيرة
زامبيا
تنزانيا
موزمبيق


جزر القمر
القمر الكبرى
ميتا ميرلي
موريني
بانداماتشو
أنجوان
موتا موبا
بامبو
موموني
بوموني
موالي
فومبوني
مايوتا
ميرلي
بانديلي
قناة موزمبيق

(١٧) جمهورية باكستان ٢٤٤
(١٨) كشمير ٢٦٠
(١٩) جمهورية بنجلادش ٢٦٥
(٢٠) جمهورية الملديف ٢٧٤
(٢١) اتحاد ماليزيا ٢٧٩
(٢٢) بروناي ٢٩٢
(٢٣) جمهورية أندونيسيا ٢٩٤
(٢٤) جمهورية أذربيجان ٣١٢
(٢٥) جمهورية أوزبكستان ٣٢٥
(٢٦) جمهورية طاجيكستان ٣٣٨
(٢٧) جمهورية تركمانيا ٣٤٥
(٢٨) جمهورية قازاخستان ٣٥٤
(٢٩) جمهورية قرغيزيا ٣٦٢
مراجع هذا القسم من الكتاب ٣٧١-٣٧٢

● البلدان الإسلامية في قارة إفريقية :

أ. د. محمد السيد غلاب ٣٧٣-٥٦١

أولاً : البلاد الإسلامية العربية ٣٧٥-٤٦٥

(١) مصر ٣٧٥
(٢) السودان ٣٩٣
(٣) ليبيا ٤١٢
(٤) تونس ٤١٩
(٥) الجزائر ٤٣٠
(٦) المغرب ٤٤٠

(٧) موريتانيا ٤٤٧
(٨) الصومال ٤٥٦
(٩) جيبوتي ٤٦٤

ثانياً : البلاد الإسلامية في غربي إفريقية ٤٦٦-٥١٤

(١) السنغال ٤٦٦
(٢) جامبيا ٤٧٢
(٣) غينيا ٤٧٣
(٤) غينيا بيساو ٤٧٧
(٥) مالي ٤٧٨
(٦) فولتا العليا ٤٨٦
(٧) جمهورية ساحل العاج ٤٩٠
(٨) سيراليون ٤٩٣
(٩) جمهورية توجو ٤٩٦
(١٠) جمهورية دهومي ٤٩٩
(١١) نيجريا ٥٠١
(١٢) جمهورية الكاميرون المتحدة ٥١٢

ثالثاً : البلاد الإسلامية في وسط إفريقية ٥١٥-٥٢٨

(١) النيجر ٥١٥
(٢) تشاد ٥٢٠
(٣) أمبراطورية إفريقية الوسطى ٥٢٦

رابعاً : البلاد الإسلامية في شرقي إفريقية ٥٢٩-٥٦١

(١) إثيوبيا (الحبشة) وإرتريا ٥٢٩

الأقليات المسلمة في أوقيانوسيا

وإلى جانب جماعات المسلمين سالفة الذكر في أمريكا الجنوبية يوجد :

٥٠٠٠ مسلم في الشيلي.
١٥٠٠ مسلم في فنزويلا.
١٥٠٠ مسلم في كولومبيا.

* * *

وبهذا يقرب عدد المسلمين في الأمريكتين من ثلاثة ملايين ونصف المليون وهم موزعون في أرجائها على النحو التالي :

٣,٠٠٦,٥٠٠	مسلم في أمريكا الشمالية
١٠,٧٠٠	مسلم في أمريكا الوسطى
٣٤٢,٠٠٠	مسلم في أمريكا الجنوبية
٣,٣٥٩,٢٠٠	مجموع المسلمين في الأمريكتين

(٢) تانزانيا ٥٤٢
(٣) جزائر القمر ٥٥٨

• البلدان الإسلامية في قارة أوربا :

محمود محمد شاكر ٥٦٣-٥٦٨
ألبانيا ٥٦٥

• الأقليات المسلمة في العالم المعاصر:

محمود محمد شاكر ٥٦٩-٧٨٤
الأقليات المسلمة في قارة آسيا ٥٦٩-٦٤١
المسلمون الذين يعيشون باعتبارهم أقليات في آسيا ٥٧٣
(١) المسلمون في قبرص ٥٧٤
(٢) المسلمون في أرمينية ٥٧٧
(٣) المسلمون في جورجيا ٥٨٠
(٤) المسلمون في الهند ٥٨٣
(٥) المسلمون في سيلان ٥٩١
(٦) المسلمون في سنغافورة ٥٩٥
(٧) المسلمون في بورما ٥٩٦
(٨) المسلمون في تايلاند ٥٩٩
فطاني ٦٠١
(٩) المسلمون في الهند الصينية (فيتنام ، كمبوديا ، لاوس) ٦٠٥
(١٠) المسلمون في الفلبين ٦٠٦
(١١) المسلمون في الصين ٦١٣
أ -التركستان الشرقية (سينكيانج) ٦١٦